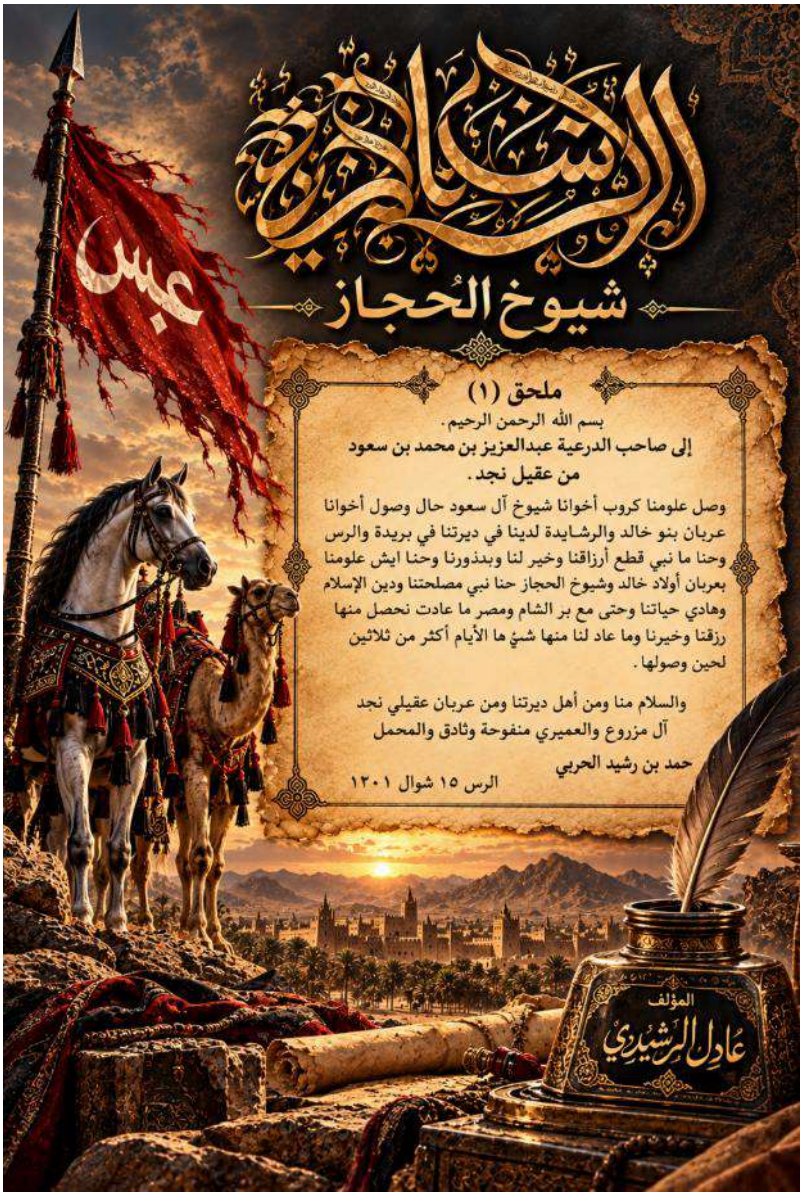

الرشايدة
شيوخ الحُجاز
عبس
ملحق (١)
بسم الله الرحمن الرحيم.
إلى صاحب الدرعية عبدالعزيز بن محمد بن سعود
من عقيل نجد.
وصل علومنا كروب أخوانا شيوخ آل سعود حال وصول أخوانا عربان بنو خالد والرشايدة لدينا في ديرتنا في بريدة والرس وحنا ما نبي قطع أرزاقنا وخير لنا وبدذورنا وحنا ايش علومنا بعربان أولاد خالد وشيوخ الحجاز حنا نبي مصلحتنا ودين الإسلام وهادي حياتنا وحتى مع بر الشام ومصر ما عادت نحصل منها رزقنا وخيرنا وما عاد لنا منها شئ ها الأيام أكثر من ثلاثين لحين وصولها.
والسلام منا ومن أهل ديرتنا ومن عربان عقيلي نجد
آل مزروع والعميري منفوحة وثادق والمحمل
حمد بن رشيد الحربي
الرس ١٥ شوال ١٢٠١
المؤلف
عادل الرشيدي



الرشايدة

شيوخ الحجاز

الطبعة الثانية

م2026

المؤلف: الروائي والمؤرخ عادل الرشيدي

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية

الملاحم – القبائل – اجتماعي – تاريخ الممالك

عدد الصفحات: 491 صفحة

قياس الكتاب: 17 × 21 سم

اللغة: العربية

ISBN:978-9921-0-3276-5

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف © 2026م

الرشايدة

شيوخ الحجاز

الطبعة الثانية

2026

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية

الملاحم – القبائل

ISBN:978-9921-0-3276-5

جميع الحقوق محفوظة



رحم الله خالد بن زبن العربيد، وأطال الله في عمر فراج بن زبن العربيد، هداج عبس ومن فيض كرمه، أكملنا المسيرة في توثيق تاريخ القبيلة وحفظ أمجادها، فأُهدي هذا الكتاب إلى أبناء عمومتنا الرشايدة، وإلى كل محبٍ ومهتمٍ بالتاريخ العربي العريق، راجيًا أن يكون إسهامًا في توثيق هذا الإرث الأصيل، وحفظ صفحاتٍ مشرقةٍ من تاريخ القبيلة وأمجادها.

رجال تعلمت منهم

الوالد – رحمه الله –، خنفور بن عوض بن غضوى – رحمه الله –، عايش بن مشعان بن غضوى – عافاه الله –، سعيّد بن محمد بن سعود الصقري – أطال الله في عمره –، مفلح بن علي الجبر – أطال الله بقاءه –، عبدالله بن فرحان الزعيتري (أبو ناشي) – رحمه الله –، صالح بن صنيدح النميان – مدّ الله في عمره – .

رجالٌ كان لهم في مسيرتنا أثرٌ ثابت، وحضورٌ مؤثّر، تعلّمنا منهم معاني المسؤولية، وقيمة الكلمة، وثبات الموقف، واحترام العهد، لم تكن توجيهاتهم عابرة، بل مبادئ راسخة انعكست على وعينا وخياراتنا، وهذا الكتاب يأتي امتدادًا لذلك الأثر، وتعبيرًا عن وفاءٍ لتلك القيم التي غرسوها فينا، فكانت أساسًا لما نكتب ونصنع.

شكر خاص

إلى الصديق فلاح بن محمد السوارج

رفيق الرحلات الميدانية

كذلك

أشكر الأستاذ

عيد بن نافع الحوقان

على جهوده في التدقيق الإملائي

والشكر موصولٌ بلا انقطاع إلى الدكتور عبدالله بن سعد العويمري، وإلى الشيخ محمد بن نويشر العماري، والسيد محمد بن عايد الشقاما المضيبري، وإلى شقيقة الأستاذ فضاض، والمحامي صالح الأزمع المضيبري، لما قدموه من تعاونٍ كريمٍ وجهودٍ مشكورة في تسهيل الرحلات الميدانية.

الداعمون

محمد بن عواض الحاضر

باتل راعي الرجمة

بدر بن عيد الشهري

سعيد بن عيد الصقري

المداعثة

مسعود ابن رميح أبو سيف

نواف بن ناصر بن عيد البراك

مقدمة الطبعة الثانية

نستهلّ مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا «**الرشايدة: شيوخ الحجاز**»، ونحن نستحضر عظمة التاريخ وهيبة الزمن، ونستعيد ما تركته الأجيال من آثار وشواهد، فنقول:

إن تاريخ الرشايدة أشبه ما يكون بتاريخ الأهرامات؛ فالأثر ظاهر، والشموخ قائم، والشواهد ماثلة على وجه الأرض، غير أن ما وراء تلك الآثار من أسرار، وما انطوت عليه القرون من أحداث وتحولات، لا يزال في كثير من جوانبه غامضًا، يستدعي عقل الباحث، ويستنهض همة المؤرخ، ويفتح أبواب التنقيب في أعماق الماضي، فالتاريخ ليس ما بقي من حجارة صامتة فحسب، ولا ما تناقلته الألسن من أخبار، بل هو مسيرة الإنسان في الزمان، وما تركه من أثر في الأرض والناس، وما حملته الذاكرة من وقائع، وروايات، وكلما امتدّ الزمن، ازدادت الحاجة إلى من يقرأ تلك الآثار بعين فاحصة، ويجمع شتات الأخبار، ويميز بين الرواية وما يسندها من قرائن وأدلة، وفي هذه الطبعة الثانية، نؤكد للقارئ الكريم أننا لم نُضف إلى الرؤية التي قدمناها بشأن نشأة قبيلة الرشايدة، ولم ننقص منها شيئًا يمسّ جوهرها؛ وإنما عُدنا إلى صفحات الكتاب بالمراجعة والتنقيح، فصححنا ما وقع فيها من أخطاء إملائية ولغوية، وأضفنا بعض التوضيحات، والشخصيات، والصور، رغبةً في أن تخرج هذه الطبعة أكثر إحكامًا في عبارتها، وأوضح في عرضها، وأقرب إلى الغاية التي ابتغيناها من هذا العمل، وقد أبقينا على الأساس الذي قامت عليه رؤيتنا التاريخية، وما أوردناه من أدلة وقراءات في شأن نشأة قبيلة الرشايدة، كما عرضناه في صفحات الكتاب، ونذكر هنا أن الرواية التي اعتمدناها في هذا السياق تربط نشأة القبيلة **برشيد العبسي**، الذي دُعي إلى الجهاد مع **نور الدين زنكي** لتحرير المسجد الأقصى وبلاد الشام من قبضة الصليبيين، وفق ما جرى بيانه وتفصيله في مواضع الكتاب، ونضع هذه الرؤية بين يدي القارئ في إطار البحث التاريخي الذي يتطلب النظر في الروايات ومصادرها، ومواصلة البحث فيما بقي من جوانب لم تُكشف بعد.

ولعل من الأسئلة التي تفرض نفسها على الباحث في تاريخ الرشايدة: كيف اتسعت رقعة القبيلة، وكيف دخل في نسيجها أناس من العرب، فأصبحوا منها جسدًا، وامتزجوا بها نسبًا وانتماءً وعيشًا؟

إن القبيلة، حين تتعاظم مكانتها، لا تكون مجرد جماعة يجمعها أب جامع أو أصل مشترك فحسب، بل قد تتحول إلى كيان اجتماعي واسع، يجد فيه الآخرون موضعًا للانتماء، وملاذًا للحماية، ومجالًا للمشاركة في القوة والمكانة، وكما أن الأوطان تتسع لمن يسكنها ويشارك في بنائها، فإن القبائل الكبيرة قد تستوعب جماعات وأفرادًا، فيغدو الداخلون في نسيجها جزءًا من بنيتها الاجتماعية، ويشاركون في تاريخها ومسيرتها، حتى تتداخل الروابط وتتشابك الأصول والفروع، ومن هذا المنظور، فإن دراسة تاريخ الرشايدة لا تقف عند حدود النسب وحده، بل تتجاوزه إلى بحث الامتداد الاجتماعي والجغرافي، ومسارات الانتقال، وأحوال التحالف والاندماج، والعوامل التي أسهمت في اتساع دائرة الانتساب إلى القبيلة عبر العصور، وقد امتدت مواطن الرشايدة، بحسب ما تناولناه في هذا الكتاب من روايات ومسارات تاريخية، من خليج العرب شرقًا إلى محيط المغرب غربًا، ومن سواحل بحر العرب جنوبًا إلى تخوم الأناضول شمالًا، وهذه الرقعة الواسعة ليست مجرد مساحة جغرافية تُرسم على الخرائط، بل هي مسرح لتاريخ طويل، تعاقبت فيه الهجرات، وتبدلت فيه مواطن الاستقرار، وتداخلت فيه حياة القبيلة مع التحولات الكبرى التي شهدها الوطن العربي، ولم يجرِ على قبيلة الرشايدة تاريخ ثابت لا يتغير، بل تعاقبت عليها تقلبات وأحوال، وكأنها صورة من صور التاريخ العربي الذي عرف فترات من القوة والاتساع، ثم مرّ بأزمنة من التفرق والتراجع وتبدل موازين النفوذ، فما من جماعة بشرية إلا وتؤثر فيها حركة التاريخ، ولا من كيان اجتماعي يظل على حال واحدة مهما طال به الزمن، والقبيلة، بوصفها كيانًا بشريًا، تتأثر بما يحيط بها من أحداث سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وبما تفرضه الهجرات، وتبدل المواطن، وتوزع الفروع من تحديات جديدة، ولئن أسهم انتشار الرشايدة في أرجاء الوطن العربي في اتساع حضورهم الجغرافي، فإن التوزع المكاني قد يترتب عليه، في بعض الظروف، تراجع في وحدة النفوذ وتماسكه، ولا سيما حين تتباعد مواطن الاستقرار، وتختلف البيئات والظروف المحيطة بكل جماعة، غير أن اتساع الرقعة لا يعني بالضرورة زوال الإرث؛ فقد تبقى الذاكرة، وتحفظ الروايات، وتتناقل الأجيال ما استطاعت صونه من أخبار الآباء والأجداد، وهكذا بقي من إرث الرشايدة ما تناقلته القرون، وإن أصابه النقص، وإن تعرض بعضه للنسيان أو محاولات الطمس عبر العقود، وما

يضيع من التاريخ لا يُستعاد بالتمني، وإنما بالبحث، وجمع الشواهد، ومراجعة المصادر، وإحياء ما بقي محفوظًا في الذاكرة والوثائق.

وهذا الكتاب الذي بين يديك، أخي القارئ، يأتي جوابًا عن سؤال يتردد على ألسنة من يسأل عن الرشايدة وتاريخهم: لماذا لا نجد في هذا التاريخ من المدونات والمصادر ما يوازي عظمة القبيلة واتساع انتشارها؟

وإنني، وإن كنت قد آثرت الاختصار في مواضع كثيرة، فإن صفحات الكتاب تحمل من المعلومات والروايات ما أرجو أن يكون معينًا للباحث، ومادة نافعة للقارئ، ومدخلًا إلى مزيد من الدراسة والتقصي، وما هذا العمل إلا محاولة لجمع ما تيسر من الأخبار، وترتيب ما تفرق من الروايات، وتقديم رؤية تاريخية أرجو أن تسهم في حفظ جانب من الذاكرة التي حملتها الأجيال، ولست أقدم هذا الكتاب من باب العصبية أو المفاخرة، ولا أراه مجالًا لإعلاء قوم على قوم، أو الانتقاص من تاريخ جماعة لحساب أخرى؛ وإنما أقدمه من باب العلم والنفع، والوفاء لقوم أنا منهم، والشعور بالمسؤولية تجاه تاريخ يستحق أن يُبحث ويُدوّن ويُصان، فإن المؤرخ، حين يتصدى لكتابة تاريخ قومه، يحمل أمانة لا تنحصر في سرد المآثر، ولا تقتصر على تعداد الأسماء والوقائع، بل تمتد إلى البحث عن الحقيقة، وإظهار ما يمكن إثباته، والتمييز بين ما تواتر من الروايات وما يحتاج إلى مزيد من التحقيق، وعليه أن يدرك أن التاريخ أمانة، وأن القلم قد يبني ذاكرة أجيال، كما قد يورثها خطأً إذا لم يُحسن صاحبه التثبت والمراجعة، وقد منحني الله، فيما أرجو وأعتقد، قدرة على قراءة أحداث التاريخ، وسبر أغواره، وتأمل مساراته، والاستنباط من شواهده ووقائعه، ومن هذا المنطلق رأيت أن أكون قلم الرشايدة ومداد تاريخهم؛ لا ادعاءً للإحاطة بكل ما جرى، ولا زعمًا بأن ما كتبته قد استوفى جوانب هذا التاريخ، وإنما قيامًا بما أستطيع من واجب، وأداءً لما أراه مسؤولية تجاه قوم أنتمي إليهم، وذاكرة أؤمن أن حفظها لا يكون إلا بالعلم والعمل.

إن تاريخ الرشايدة، كما نراه في هذا الكتاب، ليس صفحة مطوية من الماضي، بل مسيرة ممتدة في الزمان والمكان، تحمل في ثناياها أخبار الرجال، وتحولات المواطن، ومسارات الانتشار، وما شهدته القبيلة من عصور القوة والتفرق، وكل صفحة من صفحاته تفتح بابًا إلى سؤال جديد، وكل رواية تستحق أن تُقرأ بعين الباحث، وكل أثر باقٍ قد يكون مفتاحًا لفهم

جانب من جوانب الماضي، وإننا إذ نقدم هذه الطبعة الثانية، فإنما نرجو أن تكون خطوة في طريق أطول، وأن يجد فيها القارئ مادةً نافعة، ويجد الباحث فيها ما يستحق المراجعة والتدقيق، وأن يواصل أبناء الرشايدة والمهتمون بتاريخهم البحث عن تراثهم، لا بعاطفة الانتماء وحدها، بل بعقل يطلب الحقيقة، وقلم يصون الأمانة، ونفس تدرك أن عظمة الأمم والقبائل لا تكون بما تتغنى به عن ماضيها فحسب، وإنما بما تحفظه منه، وتفهمه، وتضيف إليه من علم ومعرفة، فالتاريخ الذي لا يُكتب قد يضيع، والتاريخ الذي يُكتب بلا تثبت قد يُشوَّه، أما التاريخ الذي يجتمع فيه الانتماء إلى جانب العلم، والوفاء إلى جانب الأمانة، فإنه أحق بأن يبقى شاهدًا للأجيال.

والله ولي التوفيق.

الروائي والمؤرخ

عادل الرشيدي | هدلان.

مقدمة الطبعة الأولى

قبيلة الرشايدة قبيلةٌ ممتدة في شتى اتجاهات الوطن العربي، بل وخارجه أيضًا. يلمس الباحث امتدادها من خليج العرب إلى أطراف المغرب العربي، فيقف متسائلًا ومندهشًا: متى كانت البداية؟ وما أسباب هذا الانتشار الواسع؟ غير أنه يصطدم بندرة المعلومات، رغم وضوح الأثر على الأرض، في مشهدٍ يشبه الأهرامات؛ أثرٌ قائمٌ شامخ، ومعلوماتٌ محدودة، رغم جهود الباحثين عبر عقودٍ طويلة لفك غموضه.

بدأتُ البحث منذ عقدين من الزمن، متنقلًا بين الكتب والمكتبات، أفتش عن أصل التكوين وبداية نشأة قبيلة الرشايدة. وكان المنهج يقتضي العودة إلى الجذور، لأن معرفة البداية هي المفتاح لفهم المسار. إلا أن ما وجدته لم يتجاوز رواياتٍ متفرقة تفتقر إلى الدليل المتماسك، فكان البحث شاقًا، مرهقًا للنفس، ومكلفًا للوقت والمال. ومع مرور الأيام، وتواصل البحث وإن كان متقطعًا، بدأت تتكشف أجزاء الصورة، وظهرت شواهد متناثرة على امتداد جزيرة العرب، ومن خلالها بدأت ملامح البدايات تتضح شيئًا فشيئًا.

ولا شك أن قراءة التاريخ تتطلب نظرًا متأنيًا، وفحصًا دقيقًا لمسارات الأحداث وأسبابها، حتى يمكن استنباط ما غاب من تفاصيل، وتوضيح ما أغفلته صفحات التاريخ أو اختصرته سطور الرواية.

بادية الشام، ظهرت فيها آثار واضحة تشير إلى أن أفرادًا من الرشايدة أسسوا قبائل وتزعموا قيادتها قبل نحو أربعة قرون، غير أنه لم يبقَ من تلك الزعامات إلا زعامة آل أبا جاموس على قبيلة الدعجة (قاموس العشائر في الأردن وفلسطين – حنا عماري -)، كما شهدت مصر استقرار أعداد كبيرة من الرشايدة، حيث انتقلوا من حياة البادية إلى الحاضرة، سواء في سوهاج أو في بوادي مصر. ويمتد مسار البحث إلى ليبيا، حيث توجد البراعصة الرشايدة، وهم غير برعص الأمازيغ، ثم إلى الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا، ويربط كثير من الباحثين بين هؤلاء وبين موجات الهجرة المتأخرة للرشايدة إلى السودان.

كما تشير الشواهد التاريخية إلى أن هجرات الرشايدة بدأت منذ القرن السادس الهجري (نحو 1100م)، واستمرت حتى القرن الرابع عشر الهجري (نحو 1800م)، وكانت أبرز وجهاتها السودان، حيث استقر قسمٌ كبير منهم.

ينطلق هذا الكتاب في قراءته التاريخية من قبيلة عبس، التي تمثل الأصل الذي تنحدر منه قبيلة الرشايدة، مرورًا بإطلالة موجزة على تاريخها، ودور الدولة الأموية في نهضة العرب وتعزيز مكانتهم، ثم يتناول بإيجاز دور الدولة العباسية وما شهدته تلك المرحلة من تحولات أثرت في القبائل العربية، ومنها القبائل القيسية. كما يتناول الكتاب شخصية رشيد العبسي، الذي يُنسب إليه تأسيس قبيلة الرشايدة، ويوضح كيف أصبحت القبيلة قوة ممتدة على طول الحجاز، حتى عُرف شيوخها بشيوخ الحجاز.

ويعرض الكتاب كذلك ما تعرض له شيوخ الحجاز من تحالفات قبلية معادية، خاصة مع دخول العثمانيين إلى الحجاز، وما ترتب على ذلك من صراعات امتدت لعقود، وانتهت بنزوح قسمٍ من الرشايدة عن أراضيهم، مقابل بقاء بطونٍ رئيسية في موطنها، مثل المهيمزات، والرشيد، والفردوس، والغني، إلى جانب فروع أخرى استمرت في أرضها ولم تُذكر ضمن هذه البطون.

كما يتناول الكتاب دور الرشايدة في مساندة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في توحيد البلاد تحت راية التوحيد، وما برز بعد ذلك من شخصياتٍ من الرشايدة كان لها حضورها وإسهامها في بناء الدولة.

إن تاريخ قبيلة الرشايدة تاريخٌ عريق وممتد، وما هذا الكتاب إلا قراءة موجزة، ومحاولة لجمع أطراف هذا التاريخ وتقديمه في صورةٍ أقرب إلى الوضوح، إسهامًا في إثراء المكتبة العربية والعالمية بأحد التواريخ القبلية المهمة، سائلين الله التوفيق والسداد.

هدلان
ليلة عرفة 1445هـ
الموافق 15 / 6 / 2024م

الفصـــــل

الأول

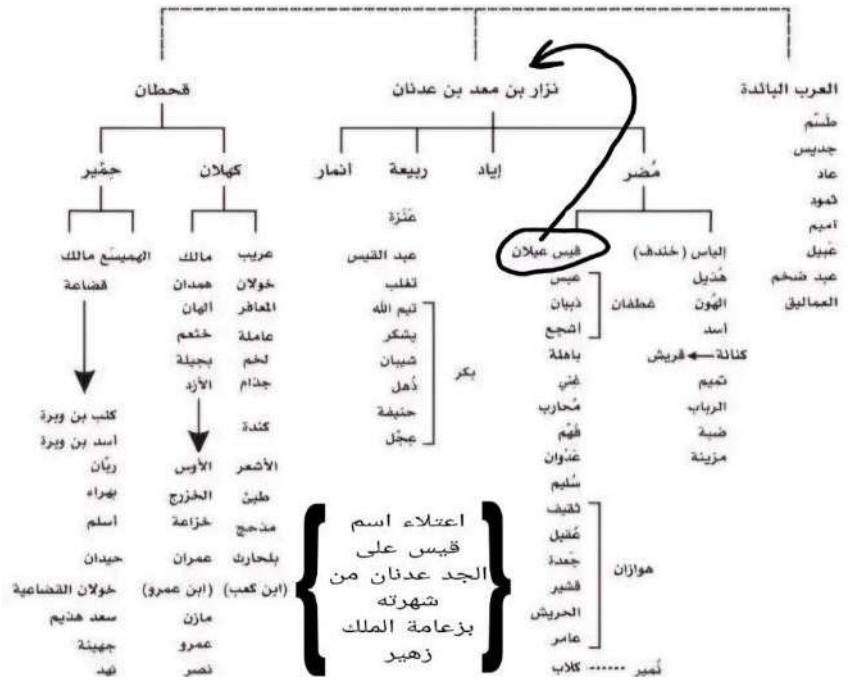
زمن التكون

عَبس

سادت قبيلة عبس وتزعمت قبائل قيس عيلان حين تولّى زعامتها زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، وذلك قبل الإسلام بنحو قرن من الزمان، حتى لُقّب بالملك، لما بلغته عبس في عهده من قوةٍ، ونفوذٍ، ووحدةٍ بين القبائل القيسية، ويذكر **الدكتور جواد علي** (رحمة الله) في كتابه – **المُفصلَ في تاريخ العرب قبل** الإسلام - أن اسم **قيس عيلان** بلغ من الشهرة، والمكانة قبل الإسلام حدًا جعل العرب يقسمون أنفسهم على أساسه، **فقالت العرب:**

"قيس وقحطان".

بدلًا من التقسيم الأشهر **(عدنان وقحطان)**، كان ذلك نتيجة لما حققته قيس عيلان من سيادةٍ واتساع نفوذٍ في ظل زعامة **الملك زهير العبسي،** حتى أصبح اسم قيس عَلَمًا بارزًا يفوق في التداول اسم الجد الأعلى عدنان، بَيد أن هذه السيادة لم تدم على حالها؛ إذ قُتل الملك زهير بن جذيمة على يد بني عامر، فكان لمقتله أثر بالغ في تفكك وحدة قيس عيلان، وتفرّق بطونها، واندلاع النزاعات بينها، فدارت الحروب بين عبس ومُعظم القبائل القيسية، ثم اتسعت دائرة الصراع لتشمل قبائل عربية أخرى، بعد أن كانت عبس في طليعة القبائل قيادةً وسيادة، وعرفت تلك المعارك بحرب داحس والغبراء.


العرب البائدة
نزار بن معد بن عدنان
قحطان
مُضر
إياد
ربيعة
انمار
كهلان
حِمْير
قيس عيلان
إلياس (خندف)
عيس
ذبيان
اشجع
غطفان
هُذيل
الهُون
أسد
كنانة
قريش
تميم
الرباب
ضبة
مزينة
باهلة
غني
مُحارب
فَهْم
عَدْوان
سُليم
هوازان
ثقيف
عُقيل
جَعدة
قشير
الحريش
عامر
نُمير
كلاب
عَنَزة
عبد القيس
تغلب
بكر
تيم الله
بشكر
شيبان
ذُهل
حنيفة
عِجْل
عريب
خولان
المعافر
عاملة
لخم
جذام
الأزد
كندة
الأشعر
طيئ
مذحج
بلحارث
(ابن كعب)
مالك
همدان
الهان
خثعم
بجيلة
الأوس
الخزرج
خزاعة
عمران
(ابن عمرو)
مازن
عمرو
نصر
الهميسَع مالك
قضاعة
كلب بن وبرة
اسد بن وبرة
ربّان
بهراء
اسلم
حيدان
خولان القضاعية
سعد هذيم
جهينة
فهد
اعتلاء اسم قيس على الجد عدنان من شهرته بزعامة الملك زهير

موطن عبس

اختلف المؤرخون في تحديد مواطن قبيلة عبس، اعتمادًا على ما ورد في شعر **عنترة بن شداد** من ذكرٍ للمنازل، والمواضع التي حلّوا بها، فاتخذ بعض الباحثين تلك الإشارات دليلًا على مواطنهم الأصلية، غير أن هذا الاستنتاج أغفل ظرفًا تاريخيًا بالغ الأهمية، وهو أن عبس كانت آنذاك في خضم صراعٍ مع بني عمومتهم من قبائل قيس عيلان، وهي حروب أدت إلى اضطراب استقرارهم ورحيلهم عن ديارهم الأولى، فالمواضع التي ذكرها عنترة في شعره لم تكن بالضرورة مواطنهم الأصلية، بل قد تكون منازل نزلوها أثناء تنقلهم في زمن الحرب والترحال، أما موطن عبس الأقدم، فتشير الشواهد إلى أنه كان يقع شمال شرق طيبة، وتحديدًا في المنطقة المحيطة بجبال العلم، حيث استقروا قبل أن تؤدي الحروب القبلية إلى تفرقهم، وانتقالهم إلى مواضع أخرى.

داحس والغبراء

بعد مقتل الملك زهير بن جذيمة العبسي على يد بني عامر، اشتعلت نار الثأر، فشنت عبس حربًا على بني عامر وقبيلتهم هوازن، طلبًا للقصاص واستعادة الهيبة.،وكانت عبس يومئذٍ في ذروة قوتها، فهابتها القبائل، وتراجعت أمام بأسها، فرارًا من سيفها وبطشها، وفي خضم تلك الاضطرابات، اندلعت فتنة داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وهي أشهر حروب العرب،ولم تقف الحرب عند حدود القبيلتين، بل اتسعت رقعتها لتشمل قبائل قيس عيلان، التي دخلت في الصراع تباعًا، غير أن عبس تمكنت من تحقيق انتصارات متكررة، عززت مكانتها وزادت من مهابتها بين القبائل، ومع استمرار الحرب واتساع نطاقها، ارتحلت عبس عن مواطنها، سعيًا لاحتواء الفتنة، وتهدئة الأوضاع، إلا أن نار الصراع لم تخمد، بل ازدادت اشتعالًا، حتى تجاوزت حدود قيس، وشملت قبائل عربية أخرى، التي رأت في قوة عبس خطرًا يهدد توازن القوى، فتحالفت ضدها، وقاطعتها، وخاضت معها معارك متتابعة، كان من أبرزها معركة شِعب جبلة، التي شكلت مرحلة فاصلة في مسار تلك الحروب.

الصداقة لدى عبس إرث

يوم الهَباءة كان يومًا فارقًا بين عبس وقبيلتهم غطفان؛ ففيه قُتل سيدا ذبيان: **حذيفة بن بدر** وأخوه **حَمْل بن بدر**، ومن هنا يبرز أصل الإرث العبسي في الوفاء والصداقة؛ إذ رثى **قيس بن زهير العبسي** صديقه حذيفة بن بدر الذبياني، على الرغم مما كان بينهما من قتال ومكائد، غير أن **قيسًا** لم ينسَ ما جمعهما من خُلّة، فخلّد وفاءه بأبياتٍ رثائية بقيت تتناقلها الأجيال، شاهدةً على أن الصداقة عند عبس عهدٌ لا يُمحى، وعرفانٌ لا يزول، فقال:

تعلّم أنَّ خيرَ الناسِ ميّتٌ على جَفْرِ الهَباءةِ ما يَريمُ
ولولا ظُلمه ما زلتُ أبكي عليه الدهرَ ما طلعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى حَمْلَ بنَ بدرٍ بغى والبغيُ مرتعُه وخيمُ
أظنُّ الحلمَ دلَّ عليَّ قومي وقد يُستضعفُ الرجلُ الحليمُ
ومارستُ الرجالَ ومارسوني فمَعوجٌّ عليَّ ومستقيمُ

شِعب جبلة

يذكر كثير من المؤرخين أن يوم شِعب جبلة كان يومًا لعامر على تميم، غير أن التدقيق في سياق الأحداث يبين أنه في حقيقته امتدادٌ مباشر **لمعارك داحس والغبراء**، وجزءٌ من سلسلة الصراعات التي اندلعت بسببها، إلا أن قلة الدراسات المتعمقة في تفاصيل تلك المعارك أدت إلى إغفال ارتباط هذه المعركة بها، رغم أن القبائل التي اجتمعت في ذلك اليوم كانت تسعى للأخذ بثأرها من عبس، بعد ما مُنيت به من هزائم سابقة أمامها، وقد اغتنمت قبيلة تميم فرصة نزول عبس بجوار بني عامر، فسعى حاجب بن زرارة، سيد تميم، إلى توحيد القبائل التي كان لها ثأر أو خصومة مع عبس، فأرسل إليهم يدعوهم إلى القتال، فاستجابت لدعوته قبائل عديدة، منها **طيء**، و**بطون من قيس عيلان** وعلى رأسها بنو **ذبيان**، وكذلك **تيم**، و**الرباب**، و**بنو كلب**، وانضم إليهم **جيش الحيرة**، و**جيش هجر** بقيادة **ابن الجون الكندي**، إضافة إلى

قبائل من **ربيعة** وغيرها من القبائل، وتذكر المصادر التاريخية أن عدد هذا الحشد بلغ نحو **ثلاثين ألف مقاتل**، وهو عدد ضخم بمقاييس ذلك العصر، مما جعل معركة **شِعب جبلة** تُعد من أكبر معارك العرب قبل الإسلام، وفي المقابل، لم يتجاوز عدد مقاتلي عبس وحلفائهم من بني عامر ثلاثة آلاف مقاتل، فكان الفارق العددي هائلًا، في مواجهةٍ جسدت حجم التحالف الذي تكوّن خصيصًا لمواجهة عبس وكسر شوكتها.



قيس الرأي

وأرى في قيس بن زهير العبسي، المعروف بلقب الملك قيس بن زهير، المنقذ الحقيقي لقبيلة عبس في أحلك مراحل تاريخها، حين تكالبت عليها قبائل العرب، وانضمت إليها جموع من العرب والعجم، في محاولةٍ للقضاء عليها وكسر شوكتها، وقد برز قيس في تلك الظروف قائدًا حكيمًا، جمع بين الحزم، وبُعد النظر، حتى أصبح مضرب المثل في رجاحة الرأي، فكانت العرب تلقبه

بـ **قيس الرأي**، وإذا أرادوا وصف رجلٍ بحسن التدبير وصواب الرأي قالوا:

أصوب من قيس.

وقد بلغ من مكانة قيس بن زهير بين قومه أن التفّت حوله عبس في السلم والحرب، وأطاعته طاعةً كاملة، لما رأت فيه من أهلية القيادة وصفاء البصيرة، ويتجلى ذلك فيما رواه التاريخ من حوارٍ دار بين **الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، والشاعر جرول بن أوس العبسي، المعروف بالحطيئة، حين سأله عمر متعجبًا عن حالهم في حربهم، يقصد بذلك حروب داحس والغبراء.

فأجابه الحطيئة بقوله: **كنا ألف فارس حازم**.

فسأله عمر رضي الله عنه: **وكيف ذلك!**

فقال الحطيئة: **كان زعيمنا قيس، فلا نعصي له أمرًا، وكان مستشارنا الربيع بن زياد، وكان فارسنا عنترة، وشاعرنا عروة بن الورد.**

فقال عمر رضي الله عنه: **صدقت.**

وتُظهر هذه الرواية مكانة القيادة في قوة القبيلة، وتؤكد أن عبس لم تكن تعتمد على كثرة العدد بقدر اعتمادها على وحدة الصف، وحكمة القيادة، ووجود رجالٍ جمعوا بين الرأي، والشجاعة، والبيان، وكان في مقدمتهم قيس بن زهير، الذي حفظ لعبس بقاءها، وهيبتها في وجه أعظم التحالفات التي واجهتها في تاريخها، ولمعرفة تفاصيل أكثر عن تلك الأحداث، يُمكن الرجوع إلى رواية - **ركبان الموت** -.

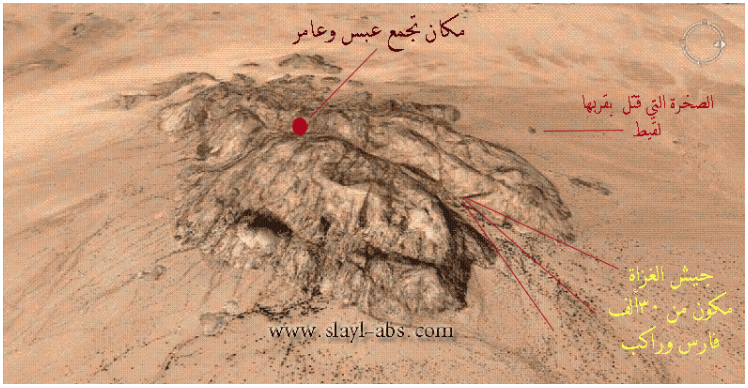
روح الأمس بوجوه اليوم

يُعد قيس بن زهير العبسي شخصيةً استثنائية في تاريخ العرب، حتى غدا أقرب إلى الأسطورة بما امتلكه من دهاءٍ، وحكمةٍ، وحسن تدبير، ولولا ما فُرض عليه من حروبٍ متتابعة، لكان له شأنٌ أعظم في تاريخ العرب، وقد تجلت عبقريته القيادية يوم شِعب جبلة، حين اجتمعت قبائل العرب على قتال عبس، في محاولةٍ لإنهاء وجودها، وكسر شوكتها، غير أن تلك الجموع انهزمت، نتيجة الخطة المحكمة التي وضعها قيس، والتي أنقذت عبس وبني عامر من مصيرٍ كان يُراد له أن يكون الفناء.

وأعقبت تلك المعركة موجةٌ واسعة من الحزن في قبائل العرب، بعد أن امتلأت ديارهم ببيوت العزاء، فتأججت مشاعر النقمة على عبس، واستمرت آثار تلك الحروب زمنًا، غير أن الصلح عاد لاحقًا بين عبس وبني عمومتهم من ذبيان، فخمدت نار الثأر، وتهيأت الظروف لمرحلةٍ جديدة.

ثم جاء الإسلام بعد نحو أربعة عقود، فكان نقطة تحولٍ كبرى، إذ طوى صفحات الثأر، وأزال أسباب الفرقة، ووحّد القبائل العربية تحت رايةٍ واحدة، قائمة على العقيدة بدل العصبية، وعلى الأخوة بدل الثأر، إلا أن سنن الحياة لا تتبدل، والتاريخ كثيرًا ما يعيد نفسه بصورٍ مختلفة، ففي القرن العاشر الهجري، تكررت مشاهد الصراع حين صدر أمر شريف مكة بقتال عبس، الذين عُرفوا في تلك المرحلة باسم **الرشايدة**، فعادوا إلى مواجهة التحديات، والصراعات من جديد، واستمرت تلك الحال حتى قيام الدولة السعودية، التي نجحت في جمع القبائل تحت مظلة حكمٍ واحد، فأعادت الاستقرار، وأنهت مراحل طويلة من النزاع.

وستتناول الصفحات الآتية تفصيل الأحداث التي مرت بها القبيلة، وتوضح مسارها التاريخي في تلك المرحلة المفصلية.



جبل جبلة الواقع جنوب مدينة نفي الصورة من موقع سلايل عبس

إدارة مفلح الخضيري



جبل جبلة



الروائي عادل الرشيدي يشير إلى المدخل الوحيد لشِعب جبلة الذي دخل منه الحلفاء لقتال عبس وعامر



أراضي قبائل قيس عيلان قبل الإسلام وبزعامة عبس حيث كانت قبيلة واحدة متماسكة

وبعد الإسلام انتشروا في البلاد التي حل فيها نور الإسلام.

مما قيل في قيس عيلان

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحتاها سهلها وحزومه

وقد نال آفاق السماوات مجدنا لنا الصّحو من آفاقها وغيومها.

***

ألا إنما قيس نجوم مضيئة يشق دجى الظلماء بالليل نورها

تعد لقيس من قديم فعالهم بيوت أواسيها طوال وسورها

فوارس قيس يمنعون حماهم وفيهم حماة الخيل تدمي نحورها

وقيس هم قيس الأعنة والقنا وقيس حماة الخيل تدمي نحورها

سليم وذبيان وعبس وعامر حصون إلى عز طوال عمورها

ألم ترى قيسا لا يرام لها حمى ويقضي بسلطان عليك أميرها

ملوك وأخوال ملوك وفيهم غيوث الحيا يحيي البلاد مطيرها

فإن جبال العز من آل خندف لقيس فقد عزت وعز نصيرها

الخلافة الراشدة

تزعمت قبيلة عبس قبائل قيس عيلان في زمن الفتوحات الإسلامية، لما عُرف عنها من قوةٍ ومكانةٍ وقيادةٍ راسخة بين بطون قيس. وقد بلغ من إقرار العرب بهذه الزعامة أن أحد رجال بني ذبيان اعترض عند الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على ترؤس عبس للقيسيين، فما كان من أبي بكر إلا أن أجابه بكلمةٍ جامعة، تُثبت أهليتهم وتقر مكانتهم، فقال:

"والله إنهم لخليقون بها".

إقرارًا بما لبني عبس من سابقةٍ، وشرفٍ، وقدرةٍ على القيادة.

معركة القادسية

كان لعبس دورٌ بارز في الفتوحات الإسلامية، إذ تولّى **عبدالله بن معتم العبسي** قيادة قبائل قيس عيلان، التي أسندت إليها ميمنة الجيش الإسلامي، تحت القيادة العامة للصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ويعكس هذا التكليف مكانة عبس بين القبائل، وثقة قادة المسلمين ببأسهم وثباتهم، حيث كانت ميمنة الجيش موضع قوةٍ وحسم، لا تُسند إلا لمن عُرفوا بالشجاعة والانضباط وحسن القيادة.

الدولة الأموية

كانت قبيلة عبس، ومعها قبائل قيس عيلان، من أبرز القوى التي ارتكزت عليها الدولة الأموية، فكان لهم حضورٌ مؤثر في ميادين القيادة والإدارة، وتقلّدوا مواقع متقدمة، وكانوا من وجوه الدولة وأعمدتها. وقد علا شأنهم واتسع نفوذهم في تلك المرحلة، حتى إذا قامت الدولة العباسية، واتخذت السواد رايةً لها، شملهم ما شمل غيرهم من القبائل التي ارتبطت بالأمويين، فتبدلت موازين القوى، ودخلت القبائل القيسية مرحلةً جديدة من التراجع بعد أن كانت في صدارة النفوذ والسيادة.

الدولة العباسية

مع قيام الدولة العباسية، بدأ التحول الحاد في ميزان القوى، حيث شرع بنو العباس، بقيادة مؤسس دولتهم عبدالله بن محمد، الملقب **بالسفاح**، في ملاحقة بني أمية، والقضاء على نفوذهم، فلم يفرقوا بين صغيرٍ أو كبير، ولا بين رجلٍ أو امرأة، بل اتسعت حملتهم لتشمل أعوان الأمويين وأنصارهم، وفي مقدمتهم القبائل القيسية التي كانت تمثل ركيزة الدولة الأموية وقوتها، وقد نقل ابن كثير في **البداية والنهاية** موقفًا بالغ الدلالة للإمام الأوزاعي، حين أُدخل على السفاح، وكان القتلى من حوله، في مشهدٍ يجسد قسوة تلك المرحلة، فخاطبه السفاح قائلًا:

يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد، أجهادٌ ورباطٌ هو؟

فأجابه الإمام الأوزاعي بكلامٍ اتسم بالحكمة والتعريض، دون مواجهةٍ مباشرة، فقال: سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول: سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت **رسول الله ﷺ يقول**:

"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

ففهم السفاح مغزى قوله، إذ جعل الحكم على الأفعال متعلقًا بالنيات، لا بمجرد الشعارات، ثم انصرف الإمام الأوزاعي من ذلك المجلس، وقد شهد بأم عينه مشهدًا جسيمًا من مشاهد التحول السياسي، وما صاحبه من دماءٍ أُريقت إيذانًا بقيام دولةٍ جديدة على أنقاض دولةٍ سبقتها.

أفول شمس العرب

عندما تولّى بنو العباس الحكم سنة 132هـ، تبدلت موازين القوى داخل الدولة، فبرز دور العناصر غير العربية، وأصبح للعجم حضورٌ واسع في مفاصل السلطة والإدارة، في حين تراجع نفوذ القبائل العربية التي كانت عماد الدولة الأموية، وقد اتجهت السياسة العباسية إلى الحد من قوة التجمعات القبلية العربية، خاصة تلك التي كان لها شأنٌ أو تأثير، كما حدث مع القبائل القيسية والربيعية في ديار بكر، حيث تعرضوا لضغوطٍ سياسية وعسكرية أدت إلى إضعاف وجودهم، وتشير بعض الروايات إلى تحالف العباسيين مع روم الأناضول لمواجهة نفوذ القبائل **القيسية والربيعية** وإجبارهم على النزوح من مواطنهم، وفي تلك المرحلة، شهدت حركة الفتوحات الإسلامية تراجعًا ملحوظًا مقارنةً باتساعها في العهد الأموي، واقتصر التوسع العباسي على حملاتٍ محدودة، كان من أبرزها فتح عمورية وبعض الجزر، بينما انصرفت الدولة إلى تثبيت أركانها داخليًا ومواجهة التحديات السياسية والعسكرية، ومع مرور الزمن، تصاعد التوتر في بعض مناطق الجزيرة العربية، فشهدت نجد تحركاتٍ قبلية قادتها بطون من قيس عيلان، مما دفع الخليفة الواثق بالله إلى إرسال القائد **بغا الكبير** لإخماد تلك الاضطرابات، فاستمرت المواجهات عدة سنوات، في محاولةٍ لإعادة فرض السيطرة، وفي ظل هذه التحولات، اتجهت بعض بطون القبائل القيسية، ومنهم **بنو سليم** و**بنو عامر**، إلى مناطق أخرى خارج الجزيرة العربية، حيث شاركوا في أحداثٍ سياسية وعسكرية كبرى، وكان لهم دورٌ في تحولات بلاد المغرب، وأسهموا في تشكيل واقعها القبلي والسياسي ضمن سياق الصراعات بين القوى القائمة آنذاك.

الشوكة التركية

اشتد نفوذ العناصر الفارسية ثم التركية في الدولة العباسية، حتى بلغ الأتراك منزلة القوة الحاكمة الفعلية، وأصبح لهم تأثيرٌ مباشر في توجيه شؤون الدولة، وقد بلغ هذا النفوذ ذروته في عهد الخليفة **جعفر المتوكل على الله بن المعتصم**، الذي أدرك خطر تغلغل القادة الأتراك في مفاصل الحكم، فسعى إلى الحد من نفوذهم، وحاول إعادة التوازن داخل الدولة، وكان من بين مساعيه التفكير في نقل مركز الثقل إلى دمشق، لتكون منطلقًا لإعادة هيكلة السلطة، وتقليص هيمنة القوى العسكرية التركية، غير أن تلك المحاولات واجهت واقعًا يفوق قدرته على تغييره، إذ كانت السلطة الفعلية قد انتقلت إلى القادة العسكريين، الذين رأوا في توجهاته تهديدًا مباشرًا لنفوذهم، وفي يوم عيد الفطر سنة 247هـ، قُتل المتوكل على الله، في حادثةٍ شكلت نقطة تحولٍ خطيرة في تاريخ الدولة العباسية، حيث ترسخ بعدها نفوذ الأتراك، وأصبحوا القوة المهيمنة على القرار السياسي، إيذانًا بمرحلةٍ جديدة، تراجع فيها سلطان الخلفاء، وصعد فيها نفوذ القادة العسكريين.

الخليفة نور الدين زنكي

مع مطلع الألفية الميلادية، تداعت الأمم الأوروبية تحت راية الصليب، مدفوعةً بنداءاتٍ دينية أطلقها البابا، الذي دعا إلى حربٍ مقدسة بزعم تحرير أرض المقدس من المسلمين، ووعد المشاركين فيها بصكوك الغفران، ودخول الجنة، فاستجابت جموعٌ غفيرة من أنحاء أوروبا، ولم يبقَ قادرٌ على حمل السلاح إلا وانخرط في تلك الحملات التي عُرفت لاحقًا بالحروب الصليبية، وتحركت تلك الجموع بأعدادٍ هائلة، اجتاحت المدن الإسلامية، وأسقطت حصونها، وارتكبت مذابح مروعة بحق سكانها، حتى تمكنت من احتلال القدس سنة 492هـ الموافق 1099م، في واحدةٍ من أشد النكبات التي ألمّت بالمسلمين، وبقيت القدس تحت الاحتلال الصليبي أربعةً وعشرين عامًا، حتى بدأت مرحلة المقاومة المنظمة بقيادة **عماد الدين زنكي**، الذي تولّى زمام المواجهة، فنهض بالجهاد، وأعاد بث روح المقاومة في الأمة، وحقق انتصاراتٍ أعادت الثقة للمسلمين، حتى اغتيل وهو في ذروة جهاده، فخلفه ابنه **نور الدين محمود زنكي**، الذي واصل المسيرة بعزمٍ أشد، فكان قائدًا حازمًا، أعاد بناء القوة

الإسلامية، وضيّق الخناق على الصليبيين، حتى دبّ الخوف في صفوفهم، وبدأ ميزان القوى يميل من جديد لصالح المسلمين.

نبش قبر الرسول ﷺ

لم تقتصر أطماع الصليبيين على احتلال مدن الشام والقدس، بل امتدت محاولاتهم لتشمل أطهر بقاع الإسلام، فقد سعوا إلى بلوغ مكة المكرمة عبر البحر الأحمر، في محاولةٍ جريئة تستهدف قلب العالم الإسلامي، غير أن تلك المحاولة باءت بالفشل، بعدما تصدى لهم المسلمون، وأُحبطت خطتهم قبل أن تبلغ غايتها، كما يذكر عددٌ من كبار مؤرخي الإسلام حادثةً خطيرة وقعت سنة 557هـ الموافق 1162م، حين سعى بعض الصليبيين إلى تنفيذ مخططٍ لنبش قبر النبي محمد ﷺ في المدينة المنورة، طمعًا في نقل الجسد الشريف أو العبث به، في محاولةٍ تمس مكانة المسلمين الدينية والمعنوية، إلا أن هذا المخطط كُشف وأُفشل قبل تنفيذه، فحُفظت المدينة المنورة، وصان الله قبر نبيه ﷺ من كل سوء، وتُظهر هذه الوقائع مدى خطورة المرحلة التي مرت بها الأمة الإسلامية آنذاك، كما تعكس في المقابل يقظة المسلمين، وحرصهم على الدفاع عن مقدساتهم، حتى في أشد مراحل الضعف والتحدي.

لم يبقى نوم

رأى نور الدين محمود زنكي في منامه النبي ﷺ، وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول:

" أنجدني، أنقذني من هذين ".

فاستيقظ فزعًا، فتوضأ وصلى، ثم عاد إلى النوم، فرأى الرؤيا نفسها مرةً ثانية، ثم ثالثة، فقام من نومه وقال:

" لم يبقَ نوم ".

كان لنور الدين وزيرٌ صالح يُعرف **بجمال الدين الموصلي**، فاستدعاه وأخبره بما رأى، فقال له الوزير:

" وما مقامك؟ اخرج في ساعتك إلى المدينة، واكتم أمرك "

تجهز السلطان في ليلته، وخرج متوجهًا إلى المدينة المنورة بصحبة وزيره، حتى بلغها، ودخل المسجد النبوي، ولما اجتمع أهل المدينة، أعلن الوزير أن السلطان جاء زائرًا للنبي ﷺ، وأحضر معه أموالًا للصدقة، وطلب تدوين أسماء أهل المدينة ليُعطى كل واحدٍ منهم نصيبه، فصار السلطان يتأمل وجوههم واحدًا واحدًا، باحثًا عن الصفة التي رآها في منامه، حتى انفضّ الناس، دون أن يرى الرجلين، فسأل السلطان: **هل بقي أحد؟**

فقيل له: **لم يبقَ إلا رجلان من المغاربة، معروفان بالزهد وكثرة الصدقة، ولا يأخذان من أحد شيئًا.**

فطلب إحضارهما، فلما رآهما عرفهما على الفور، فقد كانا هما الرجلين اللذين أشار إليهما النبي ﷺ في رؤياه.

سألهما عن أمرهما، فقالا إنهما من بلاد المغرب، قدما للحج، واختارا المجاورة بجوار المسجد النبوي. فأمر السلطان بتفتيش منزلهما، وكان قريبًا من الحجرة الشريفة، وبينما كان يتفقد المكان بنفسه، رفع حصيرًا، فإذا بسردابٍ محفورٍ يمتد باتجاه الحجرة الشريفة، فارتاع

السلطان، وأمر بالقبض عليهما، وبعد التحقيق والضغط، اعترفا بأنهما نصرانيان، أُرسلا متخفيين بين الحجاج، وكُلّفا بمهمة الوصول إلى الجسد الشريف، وكانا يحفران ليلًا، ويُخفِيان التراب في محافظهما، ثم يطرحانه في البقيع أثناء تظاهرهما بالزيارة.

فلما انكشف أمرهما، بكى نور الدين بكاءً شديدًا، حمدًا لله أن حفظ نبيه، وأمر بقتلهما، ثم أصدر أمرًا عاجلًا بتحصين الحجرة الشريفة، فحُفر خندقٌ عميق حولها، وصُبّ فيه الرصاص المذاب، ليكون حاجزًا منيعًا يحول دون أي محاولةٍ مماثلة، ثم وزع نور الدين العطايا على أهل المدينة، وأعلن عزمه على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين، فالتف الناس حوله، واشتد ساعده، وبدأت مرحلةٌ جديدة من المقاومة، كان لها أثرٌ عظيم في تغيير مسار الصراع، وإعادة الهيبة والقوة للمسلمين.

رَشيد

منتصف القرن السادس الهجري، وتحديدًا سنة 557هـ الموافق 1162م، يبرز اسم رشيد العبسي بوصفه الشخصية التي يُنسب إليها بدء ظهور مسمى **الرشايدة**، القبيلة التي امتد وجودها عبر القرون، حتى يومنا هذا سنة 1445هـ الموافق 2024م، من **خليج العرب** إلى **محيط المغرب**، وفي سنة 558هـ الموافق 1163م تقريبًا، انطلق رشيد إلى قومه من عبس، الذين كانوا يقيمون في ديارهم قرب المدينة المنورة، يدعوهم إلى الجهاد ضد الصليبيين، بعد أن بلغت جرأتهم حدّ محاولة الوصول إلى قبر **النبي** ﷺ، وقد رأى رشيد أن هذا الخطر، إن لم يُواجَه، سيمتد إلى قلب الجزيرة العربية، وأن الوقوف إلى جانب السلطان نور الدين محمود زنكي واجبٌ لحماية المقدسات ودفع العدوان، وكان نور الدين، في نظر العرب، قائدًا عادلًا صالحًا، يجلّ العرب ويُقدر مكانتهم، ويؤمن بأنهم القوة القادرة على صدّ الصليبيين واستعادة المسجد الأقصى، بخلاف بعض القادة التُرك الذين انتقصوا من شأنهم، استجاب العبسيون لدعوة رشيد، الذي سار إلى بطون غطفان، ثم إلى قبيلتهم الأم قيس عيلان، يدعوهم إلى الجهاد، فلبّوا النداء، واجتمعوا تحت قيادته، وسار بهم نحو بلاد الشام للانضمام إلى جيش نور الدين، ومنذ ذلك الحين، عُرفوا بين الناس باسم **قوم رشيد** أو **الرشايدة**، نسبةً إلى قائدهم الذي جمعهم وقادهم في تلك المرحلة المفصلية.

أدرك نور الدين أهمية هذه القبائل في المواجهة، فنشر الرشايدة في مواقع استراتيجية، فنزل بعضهم قرب قلعة الكرك، إحدى أعظم قلاع الصليبيين وأشدها تحصينًا، وأقام آخرون في نواحي جرش وقلعة عجلون ولبنان، فكانوا بمثابة طوقٍ دفاعي يحيط بفلسطين، كما أُرسل قسمٌ منهم إلى سيناء والإسكندرية، لحماية السواحل وصدّ الغارات البحرية الصليبية، ولم يكن هذا الدور مقتصرًا عليهم وحدهم، بل شمل قبائل عربية أخرى شاركت في الجهاد، ومنهم **بنو عوف**، الذين يُعدون اليوم بطنٌ من قبيلة **حرب**.

كان نور الدين في حاجةٍ ماسة إلى الرجال، وهو يواصل المسيرة التي بدأها والده عماد الدين زنكي، الذي وحّد الشام وأرسى دعائم المقاومة، وقد أكمل نور الدين هذه المسيرة، فاستعاد معظم مدن الشام من الصليبيين، ولم يتبقَ لهم إلا بعض الحصون الساحلية وقلعة الكرك،

ومع اقتراب ساعة الحسم، واستعداد المسلمين للتقدم نحو القدس، حشد الصليبيون جموعًا ضخمة لوقف هذا الزحف، بلغ تعدادها عشرات الآلاف، في حين لم يتجاوز عدد المسلمين ربع ذلك العدد أو ثلثه، كما ذكر مؤرخو الحملات الصليبية، ومنهم المؤرخ **ستيفن رونسيمان**، غير أن القدر سبق الأحداث، إذ عاجلت المنية السلطان نور الدين محمود زنكي سنة 569هـ، وهو في أوج استعداده لإسقاط الكرك، وفتح القدس واجتثاث الوجود الصليبي، وقد بلغ من العمر ثمانيةً وخمسين عامًا، وبوفاته، انتقلت قيادة المرحلة التالية إلى من سيكمل المسيرة، ويحمل راية التحرير حتى تحقيق النصر.

صلاح الدين الأيوبي

بعد وفاة السلطان نور الدين محمود زنكي، شهدت بلاد الشام حالة من الاضطراب والتفرق، إلا أن صلاح الدين الأيوبي نهض بالمهمة، فعمل على إعادة توحيد الصف الإسلامي، وترسيخ وحدة القيادة، حتى استقرت له مقاليد الحكم، وأصبح قادرًا على مواجهة الصليبيين بقوةٍ منظمة وإرادةٍ ثابتة، وفي سنة 583هـ الموافق 1187م، خاض صلاح الدين معركته الفاصلة ضد الصليبيين في **معركة حطين**، قرب بحيرة طبريا، حيث تمكن من تحقيق نصرٍ حاسم، سحق فيه القوة العسكرية الصليبية، وأنهى تفوقهم الذي دام عقودًا، وكانت تلك المعركة نقطة تحولٍ كبرى، مهدت الطريق لتحرير القدس، وإعادة المقدسات إلى حوزة المسلمين بعد نحو قرنٍ من الاحتلال، وبعد هذا النصر، اتجه صلاح الدين إلى تعزيز المواقع الساحلية، إدراكًا منه أن البحر كان شريان الإمداد الرئيسي للصليبيين، سواء من أوروبا أو من حصونهم الممتدة على الساحل، فعمل على تمركز القبائل، والقوات في مواقع استراتيجية، وكان **للرشايدة** موقعٌ مهم جنوب قلعة صور، حيث رابطوا في تلك الناحية، حتى عُرف الموضع باسم **الرشيدية**، نسبةً إليهم، تخليدًا لوجودهم ودورهم في حماية الثغور.

عمّ الفرح أرجاء العالم الإسلامي بتحرير القدس، بعد أن عانت المدينة عقودًا من الاحتلال، وما صاحبه من انتهاكٍ للمقدسات، وقطعٍ للطرق، واضطرابٍ في الأمن، وقد أسفرت معركة حطين عن سقوط أعدادٍ هائلة من القتلى والأسرى في صفوف الصليبيين، حتى وصف المؤرخ **ابن الأثير الجزري** ذلك المشهد في كتابه **الكامل في التاريخ** بقوله:

"من رأى القتلى لم يقل إن هناك أسرى، ومن رأى الأسرى لم يقل إن هناك قتلى."

المِحراب

كان السلطان نور الدين محمود زنكي قد صنع منبرًا عظيمًا في حلب، وأعدّه للمسجد الأقصى، وهو في خضم جهاده لتحريره من الصليبيين، إيمانًا منه بأن يوم التحرير آتٍ لا محالة، فجعل ذلك المنبر رمزًا لعزمه، وشاهدًا على يقينه بالنصر، غير أن الأجل أدركه قبل أن تتحقق أمنيته، فرحل عن الدنيا، وقد ترك وراءه مشروع التحرير وأسبابه قائمة، فلما أتمّ صلاح الدين الأيوبي المهمة، وحرر القدس سنة 583هـ، لم ينسَ فضل نور الدين، ولا ما أعدّه للأقصى، فأمر بإحضار المنبر من حلب، ونقله إلى المسجد الأقصى، حيث وُضع في مكانه الذي صُنع له، وفاءً لذكرى نور الدين، وتقديرًا لدوره العظيم في تمهيد الطريق للتحرير، إذ كان هو الذي أرسى الأساس، ووحّد الشام، وأطلق مسيرة الجهاد التي أثمرت باستعادة القدس، وتحرير أرض الشام من الصليبيين.

الغنائم

تقاسمت القبائل العربية أسرى الصليبيين فيما بينهم، وساقوهم لأراضيهم في جزيرة العرب، واستخدموهم بالرعي والصناعة، وكانوا قد تعلموا اللغة العربية بعد أن مكثوا في أرض الشام قُرابة القرن من الزمان، فغلبت عليهم لهجة أهل الشام، وانتشروا في قرى وبوادي الجزيرة وأقاليمها، فمنهم من أسلم، ومنهم من بقي على صليبه.

أُولى التحالفات القبيلة و نشآت أسماء القبائل

كثيرًا ما يتساءل الناس عن أسباب المسميات التي عُرفت بها القبائل العربية، مثل **الرشايدة، والخوالد، وشمر، والظفير، وعتيبة، وحرب، ومطير** وغيرها، وعن منشأ هذه الأسماء، ومتى ظهرت، وما الظروف التاريخية والاجتماعية التي أفضت إلى نشأتها، ولا شك أن أسماء القبائل لم تكن جميعها على نسقٍ واحد؛ فبعضها حمل اسم جدٍّ أو زعيمٍ اجتمعت حوله بطونٌ وفروع، وبعضها ارتبط بموطنٍ أو صفةٍ أو حادثةٍ أو حلفٍ قبلي، ثم استقر الاسم بمرور الزمن حتى أصبح عنوانًا جامعًا لهويةٍ قبليةٍ مستقلة.

وقد قادني البحث في هذا الجانب، على مدى **عشرين عامًا**، ومع ما يكتنف تاريخ القبائل العربية من شُحٍّ في المصادر المكتوبة، وتفرّقٍ في الأخبار والروايات، إلى استنباطٍ تاريخي يقوم على قراءة ما توفر من النصوص والمصادر، وموازنتها بالروايات الشفوية الموروثة، وما بقي من الشواهد الاجتماعية، والثقافية، والقبلية، وعلى الرغم من ندرة التدوين المباشر في بعض المراحل، فإن تضافر هذه الشواهد قد يساعد في رسم صورةٍ أقرب إلى كيفية تشكل القبائل وتطور مسمياتها عبر العصور، ويعنيني هنا، على وجه الخصوص، **قبيلة الرشايدة**، إذ تشير الشواهد التي توصلت إليها إلى أن هذا المسمى القبلي تشكل في صورته الجامعة خلال **منتصف القرن السادس الهجري**، أي قبل نحو تسعمئة عام.

ففي تلك المرحلة تجمعت بطونٌ وفروع من القبائل القيسية تحت قيادةٍ **عبسية**، والتفت حول **رشيد العبسي**، الذي أصبح اسمه علمًا جامعًا لتلك الجماعات، فنُسبوا إليه، وعُرفوا باسمه، وغلبت عليهم تسمية **الرشايدة**، ولم يكن هذا الاجتماع مجرد تبدلٍ في الاسم، بل مثّل تشكلًا لكيانٍ قبلي جديد حمل معه إرثًا أقدم، فالقبيلة، حين تتكون حول اسمٍ جامع، لا تنفصل بالضرورة عن جذورها السابقة، بل تحتفظ بكثيرٍ من موروثها، وتعيد صياغته داخل هويتها الجديدة، ومن هنا ورث الرشايدة جانبًا من الموروث العبسي والقيسي، بما اشتمل عليه من أعرافٍ قبلية، ونداءات، وأشعار، وأمثال، وقيمٍ اجتماعية، ظلت آثارها محفوظة في الذاكرة القبلية.

كما بقيت **الوسوم القبلية** من أبرز الشواهد التي تعكس استمرار الصلة بالأصول القديمة، إذ كانت الوسوم في المجتمع العربي البدوي أكثر من مجرد علاماتٍ تُجعل على الإبل؛ بل كانت، في كثير من الأحيان، رمزًا للانتماء، ووسيلةً للتعريف بالقبيلة والفخذ، ومن أبرز الوسوم **وسم الكفّة**، الذي ارتبط بالموروث القيسي، وتُنسب جذوره، وفق ما أرى، إلى عصورٍ قديمة تعود إلى عهد **الملك زهير بن جذيمة العبسي**، حيث عُرف بوصفه علامةً جامعة في البيئة القيسية تكُفها، وبقي هذا الوسم محفوظًا لدى **بني عبس** ومن تفرع عنهم، بوصفه شاهدًا من الشواهد التي تربط الحاضر بالماضي، ومن خلال استمرار مثل هذه الرموز، إلى جانب الموروث الشفهي، والشعري، والاجتماعي، يمكن تتبع جانبٍ من الامتداد التاريخي للهوية القبلية، وفهم الكيفية التي انتقلت بها بعض الجماعات من مسمياتٍ أقدم إلى مسمياتٍ أحدث، مع احتفاظها بجزءٍ من ذاكرتها، وأصولها، وموروثها.

وعليه، فإن تسمية **الرشايدة** لا يمكن النظر إليها باعتبارها مجرد اسمٍ ظهر دون جذور، بل باعتبارها مرحلةً من مراحل تشكل هويةٍ قبليةٍ اجتمعت فيها بطونٌ قيسية ذات امتداد عبسي حول اسم رشيد العبسي، فغلبت النسبة إليه، واستقر الاسم عبر الزمن، بينما بقيت في داخل هذه الهوية الجديدة شواهد من الإرث القديم، تؤكد استمرارية الامتداد القيسي والعبسي عبر القرون.

الرشايدة

تكوُّن قبيلة الرشايدة فتح الطريق، فيما يبدو، لتشكُّل كياناتٍ قبليةٍ أخرى، أو قبائل بمسمياتٍ جديدة، تُنسب إلى مكان، أو صفة، أو إلى الرجل الذي دعا إلى الاجتماع والتحالف، فقد شهدت الجزيرة العربية، في القرون الوسطى للهجرة، تحولاتٍ في بنيتها القبلية، دفعت كثيرًا من البطون والفروع إلى البحث عن إطارٍ أوسع يجمعها، ويمنحها القوة، والمنعة، والمكانة في محيطٍ لم يكن مستقرًا، تحكمه المنافسة على الموارد، ومواطن النفوذ، ومواقع المياه، ومسالك التنقل.

وفي هذا السياق، يبدو أن تجربة الرشايدة في الاجتماع تحت اسمٍ جامع قدّمت نموذجًا لتشكُّل الكيانات القبلية الكبرى، إذ اجتمعت بطونٌ وفروعٌ ذات أصولٍ متقاربة تحت قيادةٍ ومسمى واحد، فتحول هذا الاجتماع مع مرور الزمن إلى قبيلةٍ ذات هويةٍ مستقلة واسمٍ معروف، ومن هنا يمكن القول إن الرشايدة كانوا من القبائل الرائدة في هذا النمط من التشكُّل، وأن ظهورهم في هذه الصورة أسهم في ترسيخ فكرة الاجتماع، والتحالف القبلي تحت مسمياتٍ جديدة، ولا يعني ذلك أن التحالفات القبلية لم تكن معروفة قبلهم، فهي قديمة في تاريخ العرب، إلا أن الذي يميز هذه المرحلة هو تحوُّل بعض تلك الاجتماعات من أحلافٍ مؤقتة إلى كياناتٍ قبليةٍ مستقرة، تحمل أسماءً جامعة، وتورّث هويتها من جيلٍ إلى جيل، وقد سارت قبائل أخرى في القرون الوسطى للهجرة وما بعدها، في نمطٍ مشابه، مدفوعةً بالحاجة إلى القوة والمنعة واتساع الحضور.

ويجسّد المثل البدوي المشهور: - **عدَّ رجالك وأورد على الماء** - أهمية العدد، ودوره في تحقيق الحماية وفرض الحضور في ذلك الوقت؛ فالعدد لم يكن مجرد كثرةٍ بشرية، بل كان يمثل القوة التي تستطيع القبيلة من خلالها حماية نفسها، وتأمين مواردها، والدفاع عن مصالحها، وفرض مكانتها بين القبائل الأخرى، وتُعد **قبيلة الرشايدة** من أوائل القبائل التي تشكّلت على هذا النحو، إذ أصبح اجتماعها تحت مسمى جامع نموذجًا لتكوين القوة القبلية، ثم ظهرت أو توسعت قبائل أخرى تحت مسمياتٍ جديدة، مثل **الخوالد، وحرب، وشمر، والظفير**، حيث اجتمعت بطونٌ وفروعٌ متعددة تحت أسماء أصبحت فيما بعد عناوين لكياناتٍ قبليةٍ مستقرة ومعروفة.

أما قبيلة **عنزة**، فإنها تمثل حالةً مختلفة؛ إذ لم يتغير اسمها، وظل حاضرًا عبر العصور، إلا أن اتساعها وانتشارها جعلا اسمها يحل في مواضع كثيرة محل المسمى الأوسع **ربيعة**، حتى أصبح اسم عنزة هو الأكثر تداولًا في تلك المواطن، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه عند الحديث عن تطور المسميات القبلية.

وقد أجرى الدكتور ناصر بن فارس التميمي بحثًا عن القبائل العربية ومدى قِدمها وانتشارها، فذكر أن قبيلة الرشايدة تُعد من أوسع القبائل انتشارًا في الوطن العربي، إذ توجد في أربع عشرة دولة، وقدّر تاريخ تكوّنها بنحو 750 سنة.

غير أن هذا التقدير يبدو، في ضوء ما تشير إليه الشواهد التاريخية والقراءات المتوفرة لدَي، غير منسجمٍ مع تاريخ التشكُّل الذي ترجحه هذه الدراسة؛ إذ تشير تلك الشواهد إلى أن تكوّن قبيلة الرشايدة يعود إلى مرحلةٍ أقدم، تقارب 950 سنة، كما تقدم ذكره، والفارق بين التقديرين لا يتعلق بمجرد اختلافٍ في عدد السنوات، بل يرتبط بتحديد المرحلة التي يُؤرَّخ منها لتكوُّن القبيلة؛ **هل يبدأ التأريخ من أول ظهورٍ صريح للاسم في المصادر، أم من مرحلة الاجتماع والتحالف التي سبقت استقرار الاسم وانتشاره؟** وهذه مسألةٌ مهمة في دراسة تاريخ القبائل، إذ إن الكيان القبلي لا يتكوّن في يومٍ واحد، بل يمر بمراحل تبدأ بالاجتماع، ثم التحالف، ثم استقرار الاسم، حتى يصبح هويةً متوارثة، وكيانًا معروفًا.

الفصل الثاني

زمن الانتشار

الرشايدة في الشامِ و مِصر

كانت جموع الرشايدة آنذاك كبيرة العدد، فعاد قسمٌ منهم إلى ديارهم في جزيرة العرب محمّلين بالغنائم، بينما بقي آخرون في بلاد الشام، حيث اكتسبوا نفوذًا ومكانة، ونُسبت إليهم **مواضع وأراضٍ** حملت أسماءهم، كما في **جرش**، **والكرك**، **وجنوب لبنان**، و**فلسطين**، وبقيت هذه التسميات شاهدة على وجودهم إلى يومنا هذا، كما اتجه فريقٌ منهم إلى مصر، حيث برز منهم أمراء وقادة، ومنهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدي (655هـ – 1257م)، الذي كان له شأنٌ في تلك المرحلة، ومع مرور الزمن، انتشر الرشايدة في الأمصار، وبدأ اسم **الرشيدي** يشيع في أرجاء المنطقة، معلنًا بداية مرحلةٍ جديدة من امتدادهم الجغرافي، واتساع حضورهم.

القاضي سالم الرشيدي

من أعلام الرشايدة في الحجاز **القاضي سالم الرشيدي**، الذي كان من أعيان المنطقة ومشاهيرها في القرن التاسع الهجري، وذلك سنة 876هـ الموافق 1472م، وقد عُرف بمكانته ومنزلته بين أهل زمانه، وورد ذكره ضمن أعلام الحجاز في كتاب ***الدرر الفرائد المنظمة*** **لعبدالقادر الجزيري**، الباب الرابع، ص13، مما يدل على حضوره، وتأثيره في الحياة العلمية والقضائية في تلك المرحلة.

ذروة المجد

تعاظمت قوة الرشايدة وترسخ نفوذهم في جزيرة العرب مطلع القرن التاسع الهجري، نحو سنة 800هـ الموافق 1400م، واتسع انتشارهم في الحجاز، حتى دخلت في ظل نفوذهم جماعات من القبائل العربية، مستندةً إلى قوتهم ومكانتهم في تلك المرحلة، وقد أشار الرحالة ابن بطوطة إلى هذا الامتداد، عندما ذكر نزوله عند زعيم العجارمة أثناء توجهه إلى الحج، فقال:

"كان سفري مع طائفة من العرب تُدعى العجارمة، أميرهم محمد بن رافع، كبير القدر في الأمراء."

ويُفهم من هذا النص أن نفوذ زعيم العجارمة كان متصلًا بامتداد القوة القبلية التي كانت الرشايدة إحدى أبرز دعائمها آنذاك.

تُعد قبيلة العجارمة في الأردن اليوم قبيلة مستقلة، إلا أن بعض رواياتهم تشير إلى أن مرجعهم يعود إلى الرشايدة، في حين لا يزال العجارمة في جزيرة العرب ينتسبون إلى الرشايدة، وزعامتهم في **بيت ابن صبح**، وهو بيت زعامةٍ له مكانته وتقديره إلى يومنا هذا، ومع ازدياد قوة الرشايدة واتساع نفوذهم، ظهرت زعامات خرجت من عباءتهم، واستقلت لاحقًا، مكوِّنةً قبائل قائمة بذاتها، خاصة في بادية الشام، ويجد الباحث في أنساب القبائل الشامية وجود أعدادٍ كبيرة من الرشايدة ضمن بطونها، إذ كانوا في فترةٍ من الزمن أصحاب السيادة والنفوذ فيها، ولم يبقَ من الزعامات التي يُنسب أصلها إليهم في تلك الديار إلا زعامة **آل جاموس**، زعماء قبيلة الدعجة.

ومن الشواهد على امتداد هذا الأصل القبلي، أن اسم الدعجة أو الدعيجي يُعد لقبًا معروفًا لدى الرشايدة في الكويت، كما أن عزوتهم وصيحتهم **"خيال صبحا."** هي نفسها الصيحة المعروفة لدى العجارمة في الأردن، تمثل دليلًا واضحًا على وحدة الجذر، واستمرار الارتباط في الموروث القبلي، رغم تباعد المواطن وتغير الأزمان.

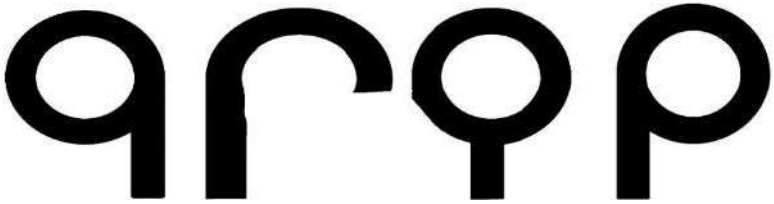
على مدى الحجاز

امتدت قبيلة الرشايدة على طول ساحل تهامة، ولهذا يجد الباحث آثار لهم على طول الطريق، أو كما ذكر الشيخ رفيع بن محمد الذبياني من مواليد عام 1345هـ - 1926م نقلا عن مسنين لحق بهم:

"أن الرشايدة كانوا موجودين على الساحل من قيال إلى الليث، رفيقهم ما يضيق به الحال، ولا يحار، ولا يحمل معه زاد".

والمسافة بين قيال والليث تناهز 1250كم وبعد البحث تبين أنه يتحدث عن القرن العاشر إلى الحادي عشر هجري (900هـ - 1000هـ).

كما تؤكد الشواهد المادية هذا الانتشار، من خلال المساجد والمواضع التي ارتبطت بهم، ونقوش وسم الكفّة المنتشرة على امتداد الحجاز، إضافة إلى الجزر في البحر الأحمر التي سكنوها، أو حملت أسماء بعضهم، ويُشير ذلك إلى صلةٍ وثيقة بينهم وبين البحر، حتى أصبح لدى كثيرٍ منهم إلمامٌ واسعٌ بمسالكه وأحواله، ومعرفةٌ بعالمه، شأنهم في ذلك شأن أهل السواحل الذين ارتبطت حياتهم بالبحر وطرقه.



وسم الكفة لقبيلة الرشايدة له أشكال مختلفة، الأشهر منها الذي على اليمين ثم الذي يليه،

وهو وسم من قبل الإسلام لعبس، ويكف القبائل القيسية، ولهذا أطلق عليه الكفه.





نقوش وسم الكفة و أشكالها

الذبياني و المعيقلي

يذكر الشيخ رفيع الذبياني أن جماعاتٍ من قبيلة الرشايدة سكنوا ضباء، ممتدين من موضع مسجدهم إلى ضحكان، وكانوا يقيمون في بيوت الشعر، متجاورةً بمحاذاة الساحل، في صورةٍ تعكس استقرارهم وترابطهم، وكانوا يملكون الإبل والأغنام، ويجمعون بين حياة البادية ومعرفة البحر، حتى عُرفوا بمهارتهم في الإبحار والإلمام بشؤونه، ويضيف أن جماعات من الرشايدة اتخذوا من الجزر موطنًا لهم، فسكنوا جزيرة أم قصور، وجزيرتي صنافير وتيران، وهو ما يدل على امتداد وجودهم في سواحل البحر الأحمر وجزره، واتصال حياتهم بالبر والبحر على حدٍ سواء*. (كتاب ومضة رحيل ص 137)*

الشيخ حمود بن أحمد بن صالح بن محمد المسعود المعيقلي البلوي، ذكر أن جده صالح البالغ من العمر 130عاما قال له في عام 1388 هـ - 1968م :

" إن الطِرقي* (المُسافر)* يسير من الوجه إلى أملج إلى ينبع، ما يحمل معه زاد لأنه يلقي على عرب، ومن عرب إلى عرب لكثرة الرشايدة في المناطق الساحلية، ولا تزال آثارهم باقية."* (ومضة رحيل ص 135)*

تدل هذه الرواية على اتساع انتشار الرشايدة على امتداد الساحل، حتى غدت مواطن وجودهم محطاتٍ يقصدها المسافرون والعابرون، فيجدون عندهم الضيافة والمؤازرة، ولا تزال آثارهم باقيةً في تلك الديار، شاهدةً على امتداد وجودهم وحضورهم على سواحل البحر الأحمر عبر القرون.

شيوخ الحجاز



جامعة القاهرة

كلية الآداب

يصدرها قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد السادس عشر

يناير ١٩٩٦

١ — الأبحاث والدراسات :

- التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن ١٨ في ضوء الوثائق المحلية.
  د. عبد العليم على أبو هيكل
- المرأة الأندلسية في عصر أموي الأندلس .
  د. محمد بركات البيلي
- موقف بريطانيا من فتح قنصلية أمريكية في الكويت (١٩٤٦ — ١٩٥١) .
  د. عبدالله سراج منسي
- الأبعاد التاريخية لرحلة هاملتون في الجزيرة العربية عام ١٩١٧ .
  د. عبدالوهاب بن صالح بابعير
- سلطة أوقاف الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠—٩٠٠هـ/١٢٠٠—١٥٠٠م)
  د. غيثان بن علي بن جريس
- الخلافات المذهبية في أفريقية الأغلبية .
  د. محمد بركات البيلي
- المميزات العامة لشخصية الأمير عبدالله بن بلقين آخر مملكة غرناطة من خلال كتابه (التبيان) .
  د. نورة عبدالعزيز التويجري .

٢ — عرض الكتب :

- البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة .
  تأليف الدكتور / محمد حرب
  عرض وتقديم أ. د. سيد أحمد علي الناصري
- Nasser and American Foreign Policy (1952 - 1956)
  تأليف : محمد عبدالوهاب سيد أحمد
  عرض وتقديم : أ. د. سيد أحمد علي الناصري

المؤرخ المصرى العدد السادس عشر يناير ١٩٩٦ ص ص ١١ – ٤٤

ومن ناحية أخرى فقد أدت تلك العلاقة التجارية المصرية مع نجد فى تلك الفترة الغامضة إلى خلق اعتقاد لدى بعض القناصل أمثال (سوهراب) مفادة أن قوات محمد على لم تتجه إلى الدرعية عن طريق الشمال عبثاً بل كان هذا التوجة عن إدراك وتخطيط مدروس لما يمثله (القصيم) وطريقه الشمالى المؤدى إلى مصر من أهمية (استراتيجية) لباقى إقليم نجد بالنسبة للعاصمة السلفية آنذاك (الدرعية) ومن ثم فإن مفهوم (العزلة) الذى يعتقد أن إقليم نجد قد عاش فيه أغلب فترات تاريخه فى حاجة إلى إعادة نظر خاصة مع ما كشفته تلك الوثائق من (اختراق) مصرى لوسط شبه الجزيرة العربية قبيل وصول قوات محمد على إليها بوقت ليس بالقصير .

نظراً لصعوبة قراءة الصورة الوثائقية لطبيعة (الخط) الذى كتبت به والمدى الزمنى البعيد الذى مضى عليها فسوف نوردها هنا (كتابة طبق الأصل) لصور من بعضها .

ملحق (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الدرعية عبد العزيز بن محمد بن سعود

من عقيلى نجد

وصل علومنا كروب أخوناً شيوخ آل سعود حال وصول أخوانا عربان بنو خالد والرشايدة لدينا فى ديرتنا فى بريدة والرس وحنا ساعتى قطع أرزاقنا وخير لنا وبذورنا وحنا ايش علومنا بعربان أولاد خالد وشيوخ الحجاز حنا فى مصلحتنا ودين الإسلام وهادى حياتنا وحتى مع بر الشام ومصر ما عادت نحصل منها رزقنا وخيرنا وما عاد لنا منها شئ وها الأيام أكثر من ثلاثين لحين وصولها .

والسلام منا ومن أهل ديرتنا ومن عربان

عقيلى مجد آل مزروع والعميرى منفوحة ثادق والمحمل

حمد بن رشيد الحربى الرس ١٥ شوال ١٢٠١

عام 1202هـ الموافق 1787م، بعث **الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود** إلى القائمين على شؤون العقيلات في القصيم يطلب منهم الإذن **لبني خالد والرشايدة** بالنزول في أراضيهم. فجاء ردهم بأن مواردهم ومؤونتهم لا تكفي أبناءهم، فكيف يمكنهم استيعاب **أولا خالد وشيوخ الحجاز** والإيفاء بما يترتب على ذلك من تبعات*.

(مخطوطة ذكرت في مجلة المؤرخ المصري العدد 16 ص 40)*

تُفهم من سياق العبارة دلالة واضحة على أن المقصود بـ **شيوخ الحجاز** هم الرشايدة، فقد ورد في رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود طلب السماح لبني خالد والرشايدة بالنزول، بينما جاء رد العقيلات بقولهم:

"فكيف بنزول أولاد خالد وشيوخ الحجاز".

هذا التحول في التسمية من «**الرشايدة**» إلى «**شيوخ الحجاز**» يشير إلى أن العقيلات استخدموا وصفًا مرادفًا للرشايدة، في إشارة إلى مكانتهم ومشيختهم المعروفة في الحجاز، وأنهم الطرف ذاته المشار إليه في الرسالة، وعليه، فإن العبارة تؤكد أن الرشايدة هم المعنيون بوصف «***شيوخ الحجاز***»، وهو توصيف يعكس حضورهم، ونفوذهم في تلك الديار في ذلك العهد وما قبله.

محمد بن بسام التميمي

يزداد هذا المعنى ثبوتًا بما قرره عَلامةُ عصره في أنساب القبائل وأسر جزيرة العرب، وأحد كبار شيوخ الدولة السعودية الأولى، الشيخ محمد بن بسام التميمي، الذي نصَّ على الرشايدة في كتابه نصًا صريحًا، وذكرهم بأرفع الأوصاف، مثبتًا مشيختهم، ومؤكدًا مكانتهم الراسخة في الحجاز، بوصفهم من القبائل ذات السيادة والحضور المعتبر في ذلك الزمان حيث قال عنهم:

(ذوي رشيد الذين قامت بتوضيح أفعالهم الأسجاع، والأناشيد، الجايدون إذا الجود عُدم، الصادمون للحرب إذا لم يجد أهلها منصدم، شادوا عمادها، وأحيوا من السنة الشهباء جمادها، عدد سقمانهم 10,000 آلاف، ولا أظن لهم من الخيل مطاف.)*

(كتاب الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر ص 188)*

كما أشار إليهم أيضًا في مواضع وجودهم قرب **جبل الطور** في سيناء، وهو ما يعكس سعة انتشارهم وحضورهم خارج حدود الحجاز، وكان الشيخ محمد بن بسام التميمي عالمًا دقيق المعرفة بالتعداد البشري لقبائل الدولة السعودية الأولى وما سبقها، وقد خطَّ كتابه في بغداد بعد خروجه من الدرعية إثر ما لحق بها من دمار، وذلك بطلبٍ من الملحق البريطاني جيمس كولد، الذي رغب في توثيق أحوال القبائل وأنسابها، فاستجاب البسام، ودوَّن خلاصة علمه بإيجازٍ العالم الواثق، فظلَّ هذا العمل محفوظًا في المتحف البريطاني سنين طويلة، حتى تولى المحقق سعود الجمران ترجمته، وإخراجه.

جاءت شهادة البسام في الرشايدة شهادةَ عالمٍ خبيرٍ عاصر القبائل، وعرف أقدارها، إذ ذكر أن الناس كانوا يتغنَّون بمآثرهم، ويضربون بهم المثل في الكرم حين يقلُّ الكرم، وفي الشجاعة حين يتراجع الناس، ووصفهم بأنهم أهل بأسٍ ونجدة، ثابتون على الكتاب والسنة، متمسكون بالدين، بل ومن الذين أحيوا شعائر الدين الحنيف، وأقاموها قولًا وعملًا.

أول ذِكر لهم في الكُتب

سبق ذلك بقرنٍ من الزمان ما دوَّنه الرحالة التركي أوليا جلبي سنة 1065هـ الموافق 1655م، في كتابه الشهير «**سياحة نامة**»، حيث ذكر الرشايدة في مواضع متعددة، منها العقبة (سياحة نامة المجلد العاشر ص551، وص163)، كما أشار إلى وجودهم في بلاد لبنان، وعدَّهم من قبائل العرب التي أعلنت الطاعة للسلطان سليم الأول، مما يثبت قدم حضورهم واتساع نطاقهم في بلاد الشام والحجاز.

مُدن بادية الشام باسم الرشايدة

أثبت أوليا جلبي كذلك انتشار الرشايدة في بوادي الشام، وذكر أن أهل الشام كانوا يطلقون أسماء القبائل على مدن بواديهم، مثل **بني رشيد**، و**بني عمر**، و**بني رباع**، و**بني زهد (سياحة نامة المجلد العاشر ص103)**، وهي دلالة واضحة على علو شأنهم، حتى أصبحت أسماؤهم عَلَمًا على المواطن والديار، وهو مقام لا تبلغه إلا القبائل ذات السيادة الراسخة والنفوذ الممتد.

ذكر أوليا جلبي أيضًا حادثة ذات دلالةٍ بالغة، إذ أشار إلى أن جيشًا قوامه سبعة آلاف مقاتل، يحمل المال والسلاح ويرافقه الحجاج في طريقه إلى الحجاز، قد اعترضته قبيلة الرشايدة في العقبة سنة 1089هـ الموافق 1678م، وكان معهم آل زهد وآل عمر، فوقع اشتباكٌ شديد انتهى بتراجع الجيش، واضطراره إلى طلب المدد من القاهرة (**المجلد العاشر ص551**). كما أشار إلى أن الرشايدة كانوا يعترضون طريق الحاج (**ص550**).

لم يكن ذلك الفعل بدافع السلب المجرد، بل جاء في سياق المواجهة مع السلطة العثمانية، وإعلانًا صريحًا لرفض نفوذها، ضمن صراعٍ قائمٍ في تلك المرحلة مع القوات العثمانية، ومع شريف مكة وحلفائه، يعكس هذا الحدث قوة شوكتهم، واستقلال إرادتهم، وقدرتهم على فرض حضورهم ومواجهة الجيوش النظامية في واحدٍ من أهم طرق العالم الإسلامي آنذاك.

السلطان سليم العثماني

شهد عام 923هـ الموافق 1517م تحولًا مفصليًا في تاريخ المنطقة، حين دخل **السلطان سليم** الأول مصر بعد أن ألحق الهزيمة بدولة المماليك، التي كانت تسيطر على الشام ومصر والحجاز، فانتقلت السيادة إلى الدولة العثمانية، وأصبحت تلك الأقاليم تحت حكمها المباشر.

سعى السلطان سليم الأول إلى ترسيخ نفوذ دولته وتعزيز توجهاتها الدينية في الأراضي التي ضمها، فحظيت **الطرق الصوفية** بمكانة بارزة، ونالت دعمًا واضحًا، وانتشرت الزوايا والتكايا في المدن والمراكز الدينية، واتسع حضور الأضرحة والمزارات، في إطار سياسة هدفت إلى تثبيت السلطة وترسيخ نفوذها الديني والاجتماعي.

عكست هذه السياسة الطابع الديني الذي اتسمت به الدولة العثمانية في تلك المرحلة، حيث شكّلت الطرق الصوفية إحدى الركائز التي استندت إليها الدولة في بسط نفوذها وتعزيز حضورها في المجتمعات الخاضعة لحكمها.



السلطان سليم الأول تاسع سلاطين الدولة العثمانية (1512–1520م)

التصوف العثماني

يُكثر بعض الكُتّاب والمؤرخين من إطلاق تسمية «**الخلافة العثمانية**» على دولة بني عثمان، وكأن هذه التسمية حقيقةٌ لا تقبل النقاش، مع أن مسألة الخلافة في الإسلام أكبر وأعمق من أن تُمنح لمجرد السيطرة السياسية أو اتساع رقعة الدولة، فالخلافة في مفهومها الإسلامي ليست لقبًا يُطلق على كل سلطانٍ قوي، ولا مجرد دولة استطاعت أن تفرض سلطانها على عدد من الأقاليم والشعوب، وإنما هي مسؤولية عظيمة وولاية على أمة الإسلام، يُفترض فيها أن تقوم على أصول الدين، وأن تحفظ عقيدة الأمة، وأن تحكم بما أنزل الله، وأن تكون حارسةً للتوحيد الذي بعث الله به رسله جميعًا، وختم رسالاتهم برسالة محمد ﷺ، ونحن المسلمين، إنما ديننا قائم على ما جاء به رسول الله ﷺ، وعلى كتاب الله وسنة نبيه، وعلى عبادة الله وحده لا شريك له، فلا ولي يُدعى مع الله، ولا وسيط يُتقرّب به إليه، ولا قبر يُصرف له شيء من العبادة، ولا تميمة تُعلّق اعتقادًا بأنها تجلب النفع أو تدفع الضر، ولا ممارسات تُضاف إلى الدين بغير دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ.

ولهذا فإن الحكم على أي دولة بأنها «**خلافة إسلامية**» لا ينبغي أن يكون حكمًا عاطفيًا أو قائمًا على الانتصارات العسكرية واتساع الأراضي، بل ينبغي أن يُنظر إلى حقيقة ما قامت عليه تلك الدولة من عقيدة ومنهج وسياسة دينية، ومن هنا تأتي الإشكالية في وصف دولة بني عثمان بالخلافة على الإطلاق، دون مناقشة أو تمييز؛ إذ ارتبط تاريخ الدولة العثمانية، في مراحل متعددة، بمؤسسات وطرق صوفية وممارسات دينية يرى كثير من علماء المسلمين أنها خرجت عن هدي الكتاب والسنة، ودخلت فيها البدع والغلو في الأشخاص والمشايخ والقبور، وانتشرت في بعض المناطق الخاضعة لسلطان الدولة ممارسات لا تنسجم مع التوحيد الخالص الذي دعا إليه الإسلام!

فكيف يمكن تجاهل هذا الجانب عند الحديث عن الخلافة؟ وكيف يُكتفى بذكر القوة السياسية والفتوحات والسلطة، بينما تُهمل قضية العقيدة، وهي أصل الدين وأساسه؟

ومن الوقائع التي يستشهد بها في هذا السياق ما ارتبط بالسلطان سليم الأول بعد دخوله بلاد الشام، فقد وردت روايات تاريخية عن اهتمامه بقبر **محيي الدين ابن عربي**، أحد أبرز أعلام التصوف، وأنه سأل عن موضع قبره، ثم أُقيم على المكان بناء وضريح، وأصبح قبر ابن عربي من المزارات التي حظيت بعناية السلطة العثمانية، وتُنقل رواية مفادها أن السلطان سليم، عندما سيطر على بلاد الشام، سأل أهل حلب عن قبر ابن عربي، فقيل له إن موضعه كان مهملاً، بل تذكر بعض الروايات أنه كان في موضع يُلقى فيه القذر والنفايات، وهو ما يُفهم منه أن ابن عربي لم يكن يحظى بالمكانة عند أهل المنطقة، وأن المجتمع الإسلامي كان ينظر بعين الريبة أو الرفض إلى كثير من أفكاره وآرائه الصوفية والفلسفية، ثم قام السلطان سليم بالاهتمام بموضع القبر، وأمر ببناء ضريح عليه وإظهار مكانته، في تحول واضح من إهمال الموضع إلى رعايته رسميًا من قبل السلطة، وتُذكر في بعض المصادر العثمانية والرحلات التاريخية، ومنها ما ذُكر في كتاب «**سياحة نامه**» للرحالة أوليا جلبي، أخبار وروايات تتعلق بالأضرحة والأولياء وتعظيمهم في العهد العثماني، وهنا تبرز المسألة التي ينبغي للباحث أن يتوقف عندها:

ما معنى أن تتحول رعاية الأضرحة والمزارات وتعظيم رموز الطرق الصوفية إلى جزء من المشهد الديني الرسمي في دولة تُوصف بأنها خلافة إسلامية؟

إن السلطان، بوصفه صاحب سلطة سياسية ودينية واسعة، لم يكن مجرد رجل يزور قبرًا من القبور، بل كانت تصرفاته وسياساته تؤثر في التوجه الديني للمجتمعات الواقعة تحت حكمه، وعندما تتبنى الدولة رعاية الأضرحة وتوسيع مكانتها وتشجيع التعلق برموزها، فإن ذلك يترك أثرًا عميقًا في الحياة الدينية وفي فهم الناس لعلاقتهم بالله والدين، وقد كان أهل التوحيد عبر عصور الإسلام يحذرون من الغلو في الصالحين، لأن الغلو في الأشخاص كان من أعظم أبواب الانحراف عند الأمم السابقة، وقد حذر النبي ﷺ أمته من اتخاذ القبور مواضع للعبادة والغلو

في أصحابها، لأن الإسلام جاء ليقطع الطريق أمام كل ما يمكن أن يحول بين العبد وربه أو يدفعه إلى صرف شيء من العبادة لغير الله.

ولهذا فإن القضية لا تتعلق بشخص ابن عربي وحده، ولا بقبره وحده، وإنما تتعلق بمنهج كامل، وبالتحول الذي حدث عندما أصبحت الطرق الصوفية والأضرحة والمشايخ جزءًا من البنية الدينية والسياسية في الدولة العثمانية، فالأرض قد تُحتل ثم تُستعاد، والدول قد تسقط ثم تقوم دول أخرى، أما فساد العقيدة، وانتشار الشرك، والبدع، والانحرافات باسم الدين، فهو خطر يتجاوز خسارة الأرض؛ لأنه يمس أساس العلاقة بين الإنسان وربه، فالإسلام لا يُعرف بالدول، بل الدول هي التي تُوزن بالإسلام.



صورة تخيلية لرفض قبيلة الرشايدة في جزيرة العرب للوجود العثماني فيها.

أبو نُمي

أسهم تمكُّن العثمانيين من بسط نفوذهم على مكة المكرمة في نشر معتقداتهم وممارساتهم في أنحاء جزيرة العرب، والتنكيل بمن جاهر بإنكار ما رآه من انحرافات وفساد، ودعا إلى نبذ التصوف والعودة إلى صفاء التوحيد ودين الله الخالص، كما ظهر لاحقًا في دعوة الإمام المجدد **الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي**، وهو ما سيأتي تفصيله في الصفحات القادمة.

بايع الشريف أبو نُمي السلطان سليم الأول، فأقرّه على إمارة مكة، وجعل الحجاز تابعًا للدولة العثمانية، مع الإبقاء على حكم الأشراف بوصفهم ولاةً تحت السيادة الجديدة، مثّل هذا التحول انتقالًا سياسيًا كبيرًا، فرض واقعًا مختلفًا على قبائل الجزيرة العربية، التي وجدت نفسها أمام سلطة وافدة تسعى إلى بسط نفوذها وإحكام سيطرتها.

كان الرشايدة في جزيرة العرب، على إرثهم القيسي العريق، معروفين بشدة تمسكهم باستقلالهم، ورفضهم الخضوع لسلطةٍ يرونها غريبة عن بيئتهم، وعندما دخل النفوذ العثماني حدود الحجاز، تصاعد التوتر، وارتفعت نبرة الرفض، فنهض زعماء الرشايدة معلنين موقفهم، واتجهوا إلى العصيان والمواجهة، لم يكن لهم في تلك المرحلة رئيسٌ جامع يكفهم تحت رايةٍ واحدة، غير أنهم اجتمعوا على موقفٍ موحد، قائمٍ على مقاومة الوجود التركي، والدفاع عن استقلالهم، أمام هذا التحدي، سعى الشريف أبو نُمي إلى احتواء الموقف وحماية سلطته، فحشد قبائل موالية، وجمعها تحت مسمى **شِبابه**، لتكون قوةً تواجه هذا العصيان، وتعيد فرض النظام في البادية، وتؤكد سيادة الحكم القائم في الحجاز.

شِبابه

أنكر بعض المؤرخين قيام هذا الحِلف، في حين أقرّ به آخرون، وبقيت دوافعه وملابساته غير واضحة على وجهٍ قاطع، رغم حضوره الواسع في الرواية الشفوية، وتداوله على ألسنة العامة، وتوثيقه في مساجلات الشعراء، مما يدل على أنه لم يكن حدثًا عابرًا، بل واقعةً تركت أثرًا عميقًا في الذاكرة القبلية، وقد تكوّن هذا الحلف لغايةٍ محددة، ثم انحلّ بانتهاء الظرف الذي أوجده.

إشارة تاريخية عن الحِلف

أشار المؤرخ العثماني أيوب صبري باشا إلى هذا الحدث في كتابه مرآة جزيرة العرب **(دار الآفاق العربية، ط1، ص213)**، دون أن يصرّح باسم الحلف، على الأرجح لعدم معرفته بتسميته المتداولة بين العرب. ذكر أن الرشايدة فرعٌ من عبس، وأنهم اشتهروا بالشجاعة، والحنكة البدوية، والبطولة، والقوة، ثم أشار إلى أن أحوالهم اضطربت بعد حربٍ مع إحدى القبائل، انتهت باجتماع ثلاثةٍ وثلاثين شيخًا من القبائل ضدهم. غير أن هؤلاء الشيوخ لم يواصلوا القتال، بل عقدوا بينهم عهودًا ومواثيق، تقضي بعدم مجاورة الرشايدة، ولا مصاهرتهم، ولا ذكرهم في المجالس، بل وتجنب تسميتهم باسمهم الصريح، وإطلاق ألقابٍ أخرى عليهم فيما بينهم.

حدّد أيوب صبري باشا زمن هذه الواقعة بنحو خمسمائة سنة قبل تاريخ تأليفه كتابه سنة 1280هـ / 1870م، إلا أن هذا التحديد يبدو مبالغًا فيه، والأقرب أن الحدث وقع قبل نحو أربعمائة سنة أو أقل، أي في حدود سنة 925هـ / 1519م، وهي مرحلة تزامنت مع دخول العثمانيين إلى الحجاز، وما تبعه من تحولاتٍ سياسيةٍ عميقة.

يشير منطق الاجتماع القبلي إلى أن حشد هذا العدد من الشيوخ، وتوحيد موقفهم، لا يمكن أن يتم دون سلطةٍ عليا قادرة على الجمع والتأثير، إذ جرت عادة العرب ألا تجتمع على أمرٍ جامع إلا تحت سلطانٍ نافذ، يقود ذلك إلى ترجيح أن هذا الحلف قد تشكّل في ظل السلطة القائمة في مكة آنذاك، وأن شريف مكة كان له دورٌ محوري في جمع القبائل وتوجيهها، كما تتوافق الروايات المتوارثة لدى الرشايدة مع هذا التصور، إذ تشير إلى أن المواجهة كانت مع عددٍ من القبائل العربية، اجتمعت تحت قيادة شريف مكة، ضمن حلفٍ عُرف في المرويات باسم «**حلف شبابه**»، الذي نشأ لغايةٍ محددة، ثم انحلّ بانتهاء دوافعه.

قال الشاعر/ حامد بن عقلا النقيشي الرشيدي:

ومنهو تبعنا في العلوم الخفيات نجذع عِدله خلاف العدايل

وإن كان تنشد عن كثير الحقيقات جدودنا قوم الخيول الأصايل

حنا بني عبس السادة لذات إلنا على كل الطرايق دلايــل

مير التحالف من سنين قديمات يوم المحل على المخاليق مايــل

خلّدت قبيلة الرشايدة ذلك الحدث في أبياتٍ شعريةٍ بقيت حيّةً في الذاكرة، تتناقلها الأجيال، وتحفظها الصدور، حتى غدت شاهدًا أدبيًا على ما وقع من صدامٍ وغضبٍ تجاه شريف مكة، ولم تقتصر هذه الأبيات على الرشايدة وحدهم، بل تجاوزت نطاقهم، وأصبحت تتردد على ألسنة قبائل أخرى كلما احتدم الخلاف مع الأشراف، لما تحمله من معانٍ صريحة، ونبرة تحدٍّ، وتعبيرٍ صادق عن موقفٍ راسخ، جاءت هذه الأبيات تعبيرًا عن مرحلةٍ مشحونةٍ بالتوتر، عبّر فيها الشعر عن موقف القبيلة بوضوحٍ لا لبس فيه، فكان الشعر لسان الحال، ووسيلة التوثيق،

وسجلًا حيًا لمشاعر الغضب والرفض، ومظهرًا من مظاهر الثبات على الموقف، في وجه سلطةٍ رأت القبيلة أنها تجاوزت حدود التوازن القائم.

إن بقاء هذه الأبيات حيّةً ومتداولة حتى اليوم، يؤكد عمق أثر تلك الواقعة، ويثبت أن ما جرى لم يكن حادثًا عابرًا، بل محطةً مفصليةً تركت بصمتها في الوجدان القبلي، وسجّلها الشعر بوصفه أصدق شاهدٍ على أحداث الزمن.

حيث قال أحد أبناء الرشايدة:

شريف ما نعرف شريف ما نعرف ألا ربنا

عاداتنا ذبح الشريف حتى نصفي حقنا

حنا هل الفعل المخيف اللي يروع حربنا.

كما حفظت الذاكرة الشعبية في مكة صدى تلك الأحداث من خلال الحداء الذي تغنّى بالفارس **هلبان الرشيدي**، المعروف براعي الجرادة، وهو لقبٌ ارتبط بمواقفه وشجاعته، حتى صار عَلَمًا عليه، ودليلًا على حضوره في ميادين المواجهة، وجاء هذا الحداء شاهدًا على مكانته، إذ لم يكن ذكره عابرًا، بل كان تعبيرًا عن أثرٍ بالغ تركه في نفوس معاصريه، حتى تناقل أهل مكة اسمه في حدائهم، وجعلوا من سيرته رمزًا للفروسية والبأس. (**هلبان من المسيلم من آل قراد أو ما يسمى صياد والجرادة فرسه**)

هلبان راعي الجرادة ذِبح مترك و زيادة

مِترك يقال أنه أحد الأشراف، والمقصود بزيادة عِدة رجال مع مترك.

العصلاء

تُعد معركة العصلاء، التي وقعت بين قبيلة عتيبة وقبيلة الرشايدة، من أبرز المواجهات التي يُرجَّح أنها جاءت ضمن سلسلة الصدامات التي تعرّض لها الرشايدة في تلك المرحلة المضطربة، وتشير القرائن إلى أنها كانت من آخر المعارك التي خاضوها في تلك الديار، قبل أن تبدأ مرحلة التفرّق والانتشار بعيدًا عن نطاق نفوذ شريف مكة وأعوانه، خاصة بعد أن دخل العثمانيون على خط الصراع، وساندوا السلطة القائمة في الحجاز، مما غيّر موازين القوى، ودفع الرشايدة إلى إعادة تموضعهم خارج دائرة الضغط المباشر.

أكدت الروايات القبلية هذا الحضور، ومن ذلك ما أورده **الشيخ شباب بن صويلح بن ثعلى**، أمير قبيلة الثعالية من الروقة من عتيبة، في حديثه عن وجود الرشايدة في وادي المحاني، الواقع شمال شرق مكة المكرمة بنحو 160 كم، وهو وادٍ عُرف بوفرة مياهه وأهميته كموردٍ حيوي للقبائل. يدل هذا التحديد الجغرافي على أن الرشايدة كانوا في مواقع ذات قيمة استراتيجية، وأن وجودهم لم يكن عابرًا، بل مرتبطًا بمواضع الاستقرار والموارد.

يعكس هذا الحدث مرحلةً مفصلية في تاريخ الرشايدة، حيث تداخلت المواجهات القبلية مع التحولات السياسية الكبرى التي شهدها الحجاز، فكانت تلك المعارك، ومنها العصلاء، جزءًا من سياقٍ أوسع انتهى بانتشارهم في أقاليم متعددة، حفاظًا على كيانهم، واستمرارًا لحضورهم خارج نطاق الصراع المباشر.

العجارمة

ذكر الشيخ شباب بن صويلح بن ثعلى أن قبيلة الرشايدة خاضت معارك متعددة خلال القرن الحادي عشر الهجري، في ظل صراعٍ محتدم مع بعض القبائل في تلك المرحلة، وأورد في روايته حادثةً ذات دلالةٍ على شدة التوتر، حيث أقدم رجلان من قبيلة عتيبة على استطلاع مواقع الرشايدة، بغرض الوقوف على أحوالهم وتحركاتهم.

تمكن الرشايدة من القبض عليهما، واقتيد الرجلان إلى عجرمة، شيخ العجارمة وأحد شيوخ الرشايدة، فأمر بقتل أحدهما، وأما الآخر فقد أُنزل به عقابٌ بالغ القسوة، حيث سُلخ وجهه، وبُترت أذنه، وجُدع أنفه، ثم أُطلق ليعود إلى قومه، حاملًا أثر ما جرى، ليكون ذلك رسالة ردعٍ صريحة، تؤكد موقف القبيلة، وتحذر من مغبة الاقتراب من حدودها أو محاولة استطلاعها.

تعكس هذه الواقعة طبيعة ذلك العصر، حيث كانت القبائل تعتمد على الشدة في فرض الهيبة، وتستخدم أساليب الردع القاسي لحماية كيانها، في زمنٍ كانت فيه القوة هي اللغة السائدة.

خضير الجسامي

كان خضير الجسامي (950 هـ إلى 1080هـ)، شيخ الروقة من قبيلة عتيبة، من أبرز من تصدّى للرشايدة في تلك المرحلة، فلما بلغه ما فعله عجرمة العجرمي بالرجل الذي أُطلق بعد أسره، وما حاق به من عقوبةٍ قاسية، رأى في ذلك مساسًا مباشرًا بقبيلته، وإهانةً لا يمكن السكوت عنها، عندها أعلن الحرب على الرشايدة، وقاد مواجهةً امتدت زمنًا طويلًا، وشهدت وقائع متعددة، عكست شدة الصراع بين الطرفين.

استمرت تلك الحرب فترةً ليست بالقصيرة، وتكبدت خلالها قبيلة عتيبة خسائر كبيرة، حتى بلغ عدد قتلاهم تسعين رجلًا، وفق ما أورده الشاعر الروقي في شعره، الذي وثّق تلك الأحداث، وحفظ تفاصيلها، ونقل حجم الخسائر التي وقعت، بما يعكس ضراوة المواجهة، وقوة القتال الذي دار بين القبيلتين.

قال الشاعر الروقي :

فديناك يالعصلا بتسعين جيد شرق ولا حسبت ابتال الفقايد

امتدح أحد شعراء الروقة زعيمهم خضير الجسامي، مشيدًا بثباته وصبره في حربه الطويلة مع الرشايدة، ومبرزًا ما تحمّله من أعباء القيادة في مواجهةٍ اتسمت بالشدة وطول الأمد، وجاءت أبياته تعبيرًا عن الاعتزاز بموقفه، وتقديرًا لصموده، وتصويرًا لقيادةٍ لم تتراجع رغم الخسائر، ولم تضعف أمام ضراوة القتال، بل بقيت ثابتةً حتى النهاية، فقال:

على راي أخو خضرا خضيرٍ كمِنه

صبورٍ على البيدا وسيع البنايد.

ثباته نهار الكايدين امتحنه

ولا لان لو هبت هبوب الشدايد

يقود عتابه اللي ليا الحرب جنّه

يذود الحمى بالسيف وقت الشدايد

له هيبةٍ بين العرب مستكنّه

يشوفونه أهل الحزم وقت الشدايد

إلب قال فعلٍ ما يجي فيه ظنّه

يمضي على درب الشرف والوعايد.

كانت تلك المعركة بحدود سنة 980هـ - 1572م.

ابن صبح

في أثناء تلك المعارك التي دامت سنوات عدة، أصاب الجزيرة الجدب فأسهم بنزوح معظم الرشايدة عن ديارهم، فقال شاعرهم لما رأى ضعف إبل ابن صبح بن عجرمة وهزلها فقال :

علام ابلك يابن صبح مغاوير كن الذياب منزعاتن اشواها

فرد عليه ابن صبح :

أوقفتها في صدر تغلول أبو بير

أرضٍ حفا معاد يبرا جفاها

وانعاش راسي للبكار المصاغير

لرعابها عشب السهل ونحماها

في ظل سندا يرتعن المعاشير

من دونها عجل السبايا حداها.

كنّي أشوف العزّ عقب المقادير

يرجع لنا لو طال وقتٍ عناها

والصبر زاد اللي على الضيم تقدير

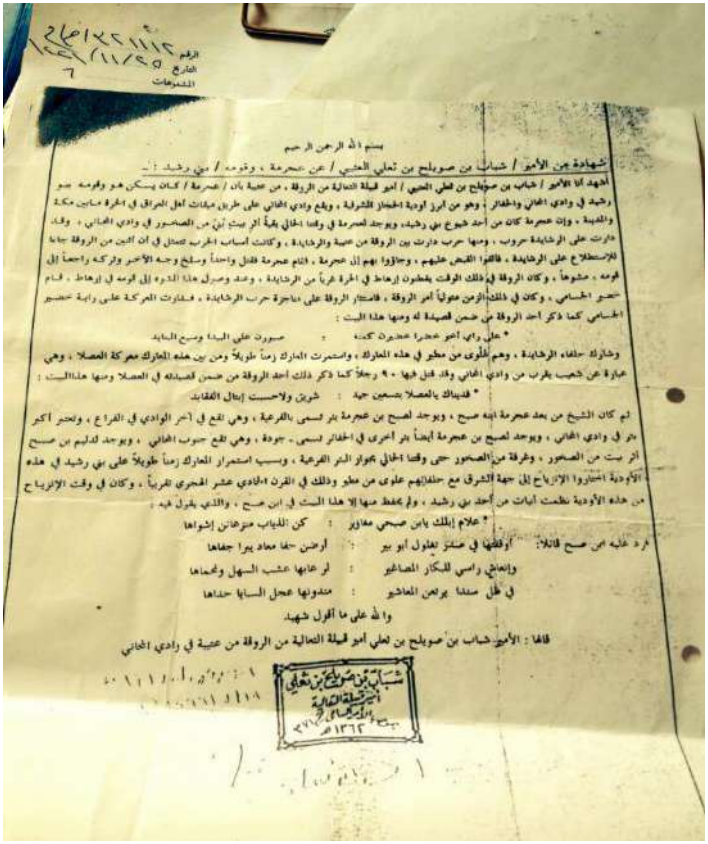
ما ينثني لو ضاق دربٍ وطاها

نرعى الفلا لو عاندتنا المقادير

ونحيي سنينٍ غاب نورٍ سناها

وإن جار وقتٍ ما يدوم التعاسير

لابد يومٍ يرجع المجد لاها.



بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة من الأمير / شباب بن صويلح بن تعلي العتيبي / عن عجرمة ، وقومه / بني رشيد :-

أشهد أنا الأمير / شباب بن صويلح بن تعلي العتيبي / أمير قبيلة الثعالبة من الروقة ، من عتيبة بأن / عجرمة / كانوا يسكن هو وقومه عند رشيد في وادي الخاني والحفائر ، وهو من ابرز أودية الحجاز الشرقية ، ويلتقي وادي الخاني على طريق ميقات أهل العراق في الحرة مابين مكة والمدينة ، وإن عجرمة كانت من أحد فروع بني رشيد، ويوجد لعجرمة في وقتنا الحالي بقية آثر بيت لبن من القصور في وادي الخاني ، وقد دارت على الرشايدة حروب ، ومنها حرب دارت بين الروقة من عتيبة والرشايدة ، وكانت أسباب الحرب تتمثل في أن اثنين من الروقة جاءا للاستطلاع على الرشايدة ، فالتقوا القبض عليهم ، وجاؤوا بهم إلى عجرمة ، فنام عجرمة فقتل واحداً وسلخ وجه الآخر وتركه راجعاً إلى قومه ، مشوهاً ، وكان الروقة في ذلك الوقت يقطنون إرهاط في الحرة غرباً من الرشايدة ، وعند وصول هذا المذوه إلى قومه في إرهاط ، قام الحسو الحماسي ، وكان في ذلك الزمن معولياً أمر الروقة ، فاستثار الروقة على مناجزة حرب الرشايدة ، فدارت المعركة على رابية الحسو الحماسي كما ذكر أحد الروقة من ضمن قصيدة له ومنها هذا البيت :

* على راي أمير عجرا عجرمت كده : صبورت على البدا وسبع المايد

وشارك حلفاء الرشايدة ، وهم الظوى من مطر في هذه المعارك ، واستمرت المعارك زمناً طويلاً ومن بين هذه المعارك معركة العصلا ، وهي عبارة عن شعيب يقرب من وادي الخاني وقد قتل فيها ٩٠ رجلاً كما ذكر ذلك أحد الروقة من ضمن قصيدته في العصلا ومنها هذا البيت :

* قديناك بالعصلا بتسعين جيه : شرين ولاحسبت إبتال الققايد

ثم كان الشيخ من بعد عجرمة ابنه صبح ، ويوجد لصبح بن عجرمة بئر تسمى بالقرعية ، وهي تقع في آخر الوادي في القراع ، وتعتبر أكبر بئر في وادي الخاني ، ويوجد لصبح بن عجرمة أيضاً بئر أخرى في الحفائر تسمى - جودة ، وهي تقع جنوب الخاني ، ويوجد لذلبم بن صبح آثر بيت من الصخور ، وغرفة من الصخور حتى وقتنا الحالي بجوار البئر القرعية ، وبسبب استمرار المعارك زمناً طويلاً على بني رشيد في هذه الأودية اضطروا الانزياح إلى جهة الشرق مع حلفائهم علوى من مطر وذلك في القرن الحادي عشر الهجري تقريباً ، وكان في وقت الانزياح من هذه الأودية نظمت أبيات من أحد بني رشيد ، ولم يحفظ منها إلا هذا البيت في ابن صبح ، والذي يقول فيه :

* علام إبلك يابن صبحي مغاوير : كن الذياب متوهتين إشواها

فرد عليه ابن صبح قائلاً: أوقطها في عنتر يعلول أبو بير : أوخش حفا معاد يبرا جفاها

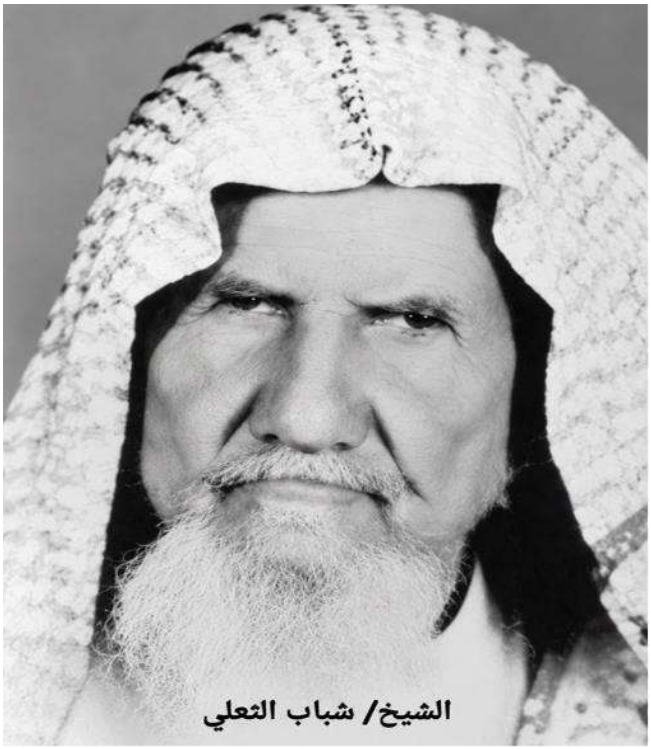
وإنعاجي راسي للبكار المصاغير : أثر عابها عشب السهل ولحماها

في ظل سدنا يرتعن المعاشير : متدونها عجل السنايا حذاها

والله على ما أقول شهيد

قالها : الأمير شباب بن صويلح بن تعلي أمير قبيلة الثعالبة من الروقة من عتيبة في وادي الخاني

شباب بن صويلح بن تعلي
أمير قبيلة الثعالبة
١٣٦٢هـ



الشيخ شباب بن صويلح بن ثعلي العتيبي (رحمه الله)



أرسل لي الصورة الدكتور فهد بن غايب ابن صبح العجرمي، وهي لأحد أحفاد عجرمة، الشيخ غايب ابن صبح، في ديوانه بدولة الكويت عام 1447هـ، ويبدو أن أحدهم قد رسم وسم الكفّة على الوسادة، فاستوقفتني هذه اللفتة، فقلت في ذلك:

الوقار اللي يجي من سكون الرجال — أقوى من أصوات خلق تملأ الديره

والفعل لا جا على مهل، له دلال — يهدّ جبل، ويزرع الطيب بسيره

الزين ما هو بكثرة مدح ولا خيال — الزين في من وقفته دوم من غيره

الصمت في مجلس الكبار أعذب مقال — والمعرفه ما هي على الوجه مصيره

وغايب ابن صبح لا قالوا الهيبه مثال — قالت المواقف: نعم، والطيب دليله

ماهو بكفّ على مركاه تحكي خصال — هذا كفّة رشايده يرسم المسيره.

نار الثأر

تُعد هذه المعركة واحدةً من جملة المعارك التي دارت رحاها على **قبيلة الرشايدة** في تلك المرحلة، ومن بينها أيضًا **معركة البئر**، التي جاءت في سياقٍ متصل من المواجهات والصدامات التي أحاطت بالقبيلة من جهاتٍ متعددة، وتعكس هذه الوقائع حجم الحضور الذي كانت تمثله الرشايدة آنذاك، من حيث العدد، والانتشار، والقوة، وهو ما جعلها في موضع مواجهةٍ مع تحالفاتٍ قبليةٍ سعت إلى الحد من نفوذها، وموازنة حضورها المتنامي.

دلّ عِظم شأن الرشايدة وكثرة عددهم على أنهم كانوا قوةً معتبرة في ميزان البادية، الأمر الذي دفع عددًا من القبائل إلى الاجتماع ضدهم، ضمن تحالفاتٍ لم تكن لتقوم لولا إدراك تلك القبائل لحجمهم وتأثيرهم، وقد خلّفت تلك المعارك دماءً وثارات، أشعلت نار النقمة، وعمّقت جذور الخصومة، حتى بلغت حدّ إبرام المواثيق والأيمان، التي هدفت إلى توحيد الموقف ضدهم، وفرض نوعٍ من العزل والمواجهة الجماعية.

تكشف هذه المرحلة عن طبيعة الصراع القبلي في ذلك العصر، حيث كانت القوة والنفوذ سببًا في تشكيل التحالفات، وكانت الهيبة التي تفرضها القبيلة سببًا في اجتماع خصومها، وهو ما يؤكد أن ما واجهه الرشايدة لم يكن إلا نتيجةً مباشرةً لمكانتهم، وثقلهم، وتأثيرهم الواسع في محيطهم القبلي.

القطيعه

لا شك أن الفعل الذي أقدم عليه الرشايدة في مواجهة الشريف وحلفائه أثار حنقًا شديدًا، وأشعل موجةً من الغضب دفعت إلى قيام تلك المعاهدة الجامعة، التي لم تكن لتنشأ لولا أثرٍ بالغ، وخطرٍ محسوس، ويؤكد اجتماع ثلاثةٍ وثلاثين شيخًا على موقفٍ واحد أن المواجهة لم تكن مع قبيلةٍ هامشية، بل مع كيانٍ كبير، له ثقله وعدده ومكانته، إذ إن العرب لا تجتمع على هذا النحو إلا في مواجهة قوةٍ مكافئة، تُحسب لها الحسابات.

جاء اجتماع القبائل المتحالفة مع الشريف ضمن سياقٍ مألوف في سنن الصراع، حيث تتكاتف القوى لمواجهة من يبرز بينهم ويشتد عوده، وهو أمرٌ شهد له التاريخ في وقائع مماثلة، كما حدث لقبيلة عبس في معارك داحس والغبراء، حين اجتمعت عليها القبائل في صراعٍ طال أمده. وتكررت صورةٌ مشابهة في تلك المرحلة، ولكن باسمهم المعروف آنذاك، الرشايدة، مما يعكس امتداد حضورهم، واستمرار أثرهم في ميزان القوى.

تشير الدلائل إلى أن الشريف استعان بما توفر له من أدوات القوة الحديثة، ومنها المدافع والأسلحة العثمانية، التي مثّلت آنذاك عنصر تفوقٍ حاسم، مكّنته من فرض سلطته، وتعزيز نفوذه، وإحكام السيطرة على مناطق النزاع، وقد أسهم هذا التفوق العسكري في ترجيح كفة المواجهة، وتثبيت واقعٍ جديد في المنطقة.

كانت قبيلة الرشايدة تضم في تكوينها سكان الحواضر من المدن والقرى، غير أن غالبية قوتها كانت في البادية، حيث امتد حضورها، وهناك دارت رحى الحرب، وعلى تلك الأرض خاضت القبيلة مواجهاتها، ودافعت عن وجودها، في واحدةٍ من أكثر مراحلها التاريخية حساسيةً وتحولًا.

النّسب

تعاهد الحلفاء - **شِبابة** - على عدم مصاهرة الرشايدة، في خطوةٍ قصد بها إحكام العزلة الاجتماعية، وقطع أسباب القربى والتواصل، غير أن هذا التعهد لم يكن ذا أثرٍ بالغ في واقع الرشايدة، إذ جرى عرفهم منذ القدم على المصاهرة في نطاق أبناء العمومة، وهو ديدنٌ موروث من أصلهم العبسي، ترسّخ منذ أيام معارك داحس والغبراء، حين أثبتت بنات العم صبرًا وثباتًا في الشدائد، فغدا ذلك النهج إرثًا متوارثًا، وسُنّةً اجتماعيةً تحفظ تماسك القبيلة ووحدتها، كما أسهم كِبر حجم القبيلة، وتوفر الاكتفاء البشري فيها، إلى جانب ما اتسمت به من اعتدادٍ بالنفس وزهوٍ بمكانتها، في استمرار هذا النهج دون حاجةٍ إلى توسيع نطاق المصاهرة خارجها.

نشأت في أعقاب تلك المواثيق رواياتٌ ومزاعم أطلقها بعض الحلفاء لتبرير موقفهم، فاختلقت أسبابًا، وروّجت تفسيراتٍ هدفت إلى تثبيت القطيعة وإضفاء مبرراتٍ اجتماعية عليها،

وتناقلت الأجيال تلك الأقوال، حتى غدت جزءًا من الرواية المتداولة، وانتشرت خارج نطاقها الأول، بوصفها انعكاسًا لمرحلةٍ اتسمت بالصراع، وتداخلت فيها الوقائع بالتصورات، والخصومة بالمرويات.

عدم ذكر أفعالهم

سعى الحلفاء، وفق ما ترويه المرويات، إلى طمس ذِكر قبيلة الرشايدة، ومحو أثرهم من سجل الأيام، فتوافقوا على الانتقاص ممن يذكر أفعالهم، أو يروي أشعارهم، تنفيذًا لما تعاهدوا عليه من قطيعةٍ وعزل، وجاء ذلك في إطار محاولةٍ لإضعاف حضورهم المعنوي، وإسقاط مكانتهم من الذاكرة المتداولة، حتى لا يبقى لهم ذكرٌ يوازي ما كان لهم من شأن.

غير أن انتشار الرشايدة في أقاليم واسعة من الوطن العربي حال دون تحقيق هذا المقصد على وجهه الكامل، إذ بقي حضورهم قائمًا في مواطن متعددة، فلم يتمكن خصومهم إلا من التأثير

في نطاقهم القريب، حيث حُجبت أخبارهم عن بعض الأجيال، وغُيّب ذكرهم في بعض الروايات، حتى بدا كأنهم خارج سياق الأحداث في تلك المواطن، لكن الوقائع، بما حملته من مواقف وأفعال، كانت كفيلة بإبقاء أثرهم حاضرًا، إذ لم يكن بالإمكان تجاهل قبيلةٍ لها امتدادها وتأثيرها، كما بقي شعرهم شاهدًا على وجودهم، يتردد في المجالس، وتحفظه الصدور، شأنه شأن النجوم في سماء العرب، لا تُحجب مهما اشتد الظلام، ولا يُمنع نورها مهما حاولت العوائق أن تطمس إشراقها.

ركبان الموت

عادت ركبان الموت، كأنها سُنّةٌ كُتبت لا تتبدل، تحمل آثار تلك المعارك وما خلّفته من جراحٍ عميقة في جسد القبيلة، وبعد أن ساندت الدولة العثمانية السلطة القائمة، وتغيّرت موازين القوة، بدأت مرحلة جديدة اتسمت بالرحيل والابتعاد، إذ آثرت أغلب بطون الرشايدة مغادرة الحجاز، نأيًا بأنفسهم عن الحكم العثماني، ونفورًا من واقعٍ لم يجدوا فيه ما ينسجم مع استقلالهم ونهجهم، ولم يكن الرحيل شاملًا للجميع، فقد بقي من الرشايدة من استقر في

حواضر المدن، ومن حالت به الظروف دون مغادرة البادية، غير أن الكثرة الغالبة اختارت الارتحال، حفاظًا على كيانها، وسعيًا إلى مواطنٍ تتوفر فيها سعة العيش وأسباب الأمان.

وقع هذا النزوح الكبير في حدود سنة 1000هـ الموافق 1592م، فكان نقطة تحولٍ مفصلية في تاريخ القبيلة، انتقلت بعدها إلى آفاقٍ جديدة، وامتد حضورها في أقاليم متعددة، حاملةً معها إرثها، ومحافظةً على اسمها، رغم ما واجهته من صراعٍ وتحولات.

الانتشار

نزح الرشايدة تحت وطأة عاملين قاسيين اجتمعا في آنٍ واحد: القتال المستمر، والجدب الذي ضرب البلاد في تلك المرحلة، حتى خيّمت الوحشة على الديار، واستحكمت الفتنة، وتبدّلت مواطن الألفة إلى ساحات توترٍ وخصومة، وأمام هذا الواقع الثقيل، اختاروا الرحيل

حفاظًا على بقائهم، وصونًا لكيانهم، فابتعدوا عن مواطن الصراع، وانتشروا في أقاليم متعددة، متفرقين في الاتجاهات.

اتجهت بطونٌ منهم إلى شمال شرق الجزيرة العربية، فنزلوا في الأحساء، والكويت، والأحواز، بينما مضى آخرون نحو وسط الجزيرة، في نجد، حيث وجدوا مواطن جديدة للاستقرار، وسار

فريقٌ إلى الجنوب، حتى بلغوا ديار اليمن، في حين اتجهت جماعاتٌ أخرى نحو سواحل عُمان، حيث امتد حضورهم على طول الساحل.

شكّل هذا النزوح مرحلةً مفصلية في تاريخ الرشايدة، لم يكن انقطاعًا، بل انتقالًا فرضته ظروف الصراع وقسوة الطبيعة، فحملوا اسمهم معهم، وأعادوا ترسيخ وجودهم في مواطن جديدة، محافظين على هويتهم، ومستمرين في حضورهم رغم تباعد الديار.

القواسم

رحل القواسم* بعد انتشار قبيلتهم الرشايدة إلى سواحل عُمان، واستقروا في تلك الديار، حيث كان لهم حضورٌ ظاهر، وأثرٌ بيّن في مجريات الأحداث، ولم يكونوا مجرد وافدين، بل سرعان ما أصبحوا جزءًا من حركة المقاومة التي شهدتها المنطقة، فبرزوا في ميادين الجهاد،

وشاركوا في مواجهة النفوذ البرتغالي الذي سعى إلى بسط سيطرته على السواحل والممرات البحرية.

أثبت القواسم في تلك المرحلة شجاعةً وثباتًا، وساهموا في الدفاع عن البلاد، إلى جانب القوى المحلية التي تصدت للاستعمار، حتى أصبح لهم ذكرٌ مقرونٌ بالمقاومة والبأس، وكأن القتال كان جزءًا من ميراثهم، تجري روحه في دمائهم المُضرية، التي حملت إرث الفروسية، وأعادت إظهاره في مواطن جديدة، حيث لم يغيّر الرحيل من طبيعتهم، بل نقل معهم تاريخهم، ورسّخ حضورهم في أرضٍ أخرى.

(يرجع أصل القواسم – وفق ما أورده الشيخ خالد بن محمد القاسمي في -**موسوعة الإمارات**- إلى قبيلة الرشايدة، بينما تذكر روايات أخرى أنهم من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولا يُعد وجود هاتين الروايتين متعارضًا بالضرورة، إذ إن قبيلة الرشايدة تضم بطونًا وأسرًا هاشمية، بحسب ما يتناقله عدد من كبار السن من أبناء القبيلة، كما ذكر لي عدد من كبار السن من الرشايدة أن قبيلة المناصير كانت تُعد فيما مضى ضمن الرشايدة، والله أعلم بصحة هذه الرواية، وفي كتاب حديث لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، أورد نسب القواسم على أنه نسب علوي، ومع ظهور الاختبارات الجينية التي رجّحت – لدى بعض الباحثين – انتماءهم إلى الأصول القيسية الغطفانية، رأيت أن هذه المسألة ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والموازنة بين الروايات التاريخية والنتائج الجينية، ومع ذلك، فلا أرى أن الاختبارات الجينية تصلح وحدها لإثبات أنساب القبائل أو نفيها، كما لا أرى إغفالها بالكلية، وإنما تُعد قرينة علمية يمكن الاستفادة منها عند دراستها إلى جانب المصادر التاريخية المعتبرة، والوثائق، والروايات الموثقة، دون أن تكون هي الفيصل في مثل هذه القضايا**)***

قال الشاعر المتأخر عبدالله بن محمد المقبل الشختلي :

قِد قالوا اللي هاجروا ما نعرف إلا ربنا بدا بدا ما نعرف إلا الله والسيف الرهيف
و رمحٍ مكثل من سطر من جد جد لحدنا وشلف مضاربها يزيل العقل لاوردت تهيف
شلفٍ ومن يمنى رشيدين وربي عزنا مرددٍ من عبس عمانه وخاله ذا وكيف
بنحور من جاء طامعن طامع بشيء بحدنا مجنون ذا مبدول لا والله يا حيف إلا حيف
أنشهد إن اللي طمع عدوه من صيداتنا ما هوب ويا الطمعه اللي يحسبنه به خفيف
راحت عليه أثقل من العارض ولو ماسدنا لو إنها تدبل على كل الرواسي ما تخيف
هذا ليا قالوا هو العز الحقيقي عزنا نصامخ الروس العنيده ما نطخي للضعيف.

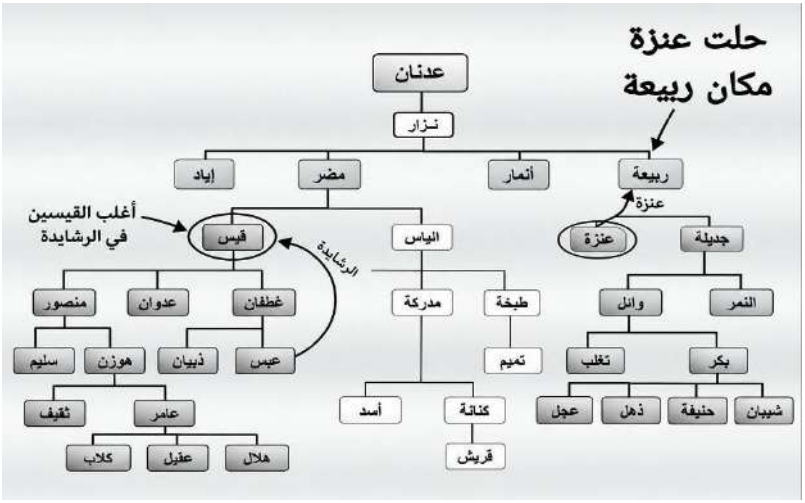
عنزة

بدأت مشيخة آل هذال على قبيلة عنزة في مرحلةٍ شهدت تمدد النفوذ العثماني في الجزيرة العربية، حين تقدّم الشيخ هذال إلى أحد البشوات العثمانيين، فأقرّه على الزعامة، ومنحه لقب شيخ مشايخ عنزة، إلى جانب ما قُدّم له من أموالٍ ودعمٍ، في إطار سياسة الدولة العثمانية القائمة على تثبيت نفوذها عبر الزعامات القبلية الكبرى، وقد شكّل هذا الاعتراف نقطة تحولٍ مفصلية، إذ اكتسبت مشيخة آل هذال صفةً رسمية، وعززت موقعها بين قبائل البادية.

أدى تولّي الشيخ هذال الزعامة إلى تعاظم نفوذ قبيلة عنزة، واتساع نطاق تأثيرها، حتى أصبح الانتساب إلى ربيعة يُقرن باسم عنزة، بوصفها الكيان الأبرز الذي يمثل هذا الأصل العدناني في تلك المرحلة، وبفعل هذا التمدد، برزت عنزة قوةً كبرى في نجد، واستطاعت أن تفرض حضورها على مساحات واسعة، متقدمةً في ميزان القوة على عددٍ من القبائل المُضرية التي كانت تنافسها النفوذ.

في هذا السياق، امتد حضور عنزة إلى مواطن متعددة، ومنها أراضٍ كانت ضمن نطاق قبيلة الرشايدة، حيث نزلت فيها عنزة بموافقة السلطة القائمة في الحجاز آنذاك، ممثلةً في الشريف،

الذي سعى إلى توظيف موازين القوى القبلية بما يخدم استقرار حكمه، ويعزز نفوذه في مواجهة التحديات القائمة، وقد جاء هذا التحول ضمن سلسلةٍ من التغيرات الكبرى التي أعادت رسم خارطة النفوذ القبلي في الجزيرة العربية خلال تلك المرحلة تحديدا القرن العاشر للهجرة (950 هـ).



في هذا المخطط القبلي العدناني نرى أن قبيلة عنزة اشتهرت حتى حلت مكان ربيعة فكل ربيعي أصبح من عنزة حلفاً، مثلما حَوت قبيلة الرشايدة العبسية عبسا، وصعدت لتحل محل قيس عيلان، وهذا كله في معظم نطاق الجزيرة العربية، ولم تقتصر التحالفات التي انضمّت إلى كلا الجانبين على القبائل العدنانية وحدها، بل شملت أفراد وجماعات من قبائل أخرى أيضًا.

بني خالد

حلّت قبيلة الرشايدة، ومعهم قبيلة بني خالد، في إقليم الأحساء بعد أن ابتعدوا عن مواطن النفوذ العثماني، وسعوا إلى الاستقرار في مناطقٍ تتيح لهم قدرًا أكبر من الاستقلال والأمان، ومع مرور الوقت، تمكّن بنو خالد من بسط سيطرتهم على الأحساء، وأقاموا فيها نفوذًا قويًا، حتى أصبحوا القوة الغالبة في تلك الديار، ومركز ثقلٍ سياسي وقبلي في شرق الجزيرة العربية.

رغم أهمية هذه المرحلة، فإن المصادر التي تناولت طبيعة العلاقة بين الرشايدة وبني خالد جاءت شحيحة، ولم تُفصّل تفاصيل تلك الصلات على نحوٍ كافٍ، غير أن الشعر حفظ إشاراتٍ ذات دلالة، ومن ذلك ما ورد في قصائد الشاعر راشد الخلاوي، الذي ذكر **منيع بن سالم المسيلم الرشيدي**، وأشاد بمكانته، ووصفه بأنه زعيمٌ له شأنٌ عظيم، بما يعكس ما كان له من حضورٍ وتأثير في تلك المرحلة، جاء شعر الخلاوي شاهدًا أدبيًا على تلك الشخصيات، وعلى واقع النفوذ الذي كانت تمثله، إذ لم يكن الشعر في ذلك العصر مجرد قولٍ يُتداول، بل كان سجلًا حيًا يوثق المكانة، ويخلّد الأثر، ويحفظ للأجيال صورة من صور القيادة والسيادة، فقال:

يقولُ الخلاوي والخلاوي راشد — هرجَ الفتى وافق قريضَ البتايع

يا مُبلغٍ مني منيعَ بنَ سالم — قديمَ السبايا والجيوشَ القوالع

قديم جيوشٍ من قديمٍ يقودها — بعادَ المغازي طيِّباتَ المطامع

حبايلي صادت عنودٍ منَ المها — رُباعيَّةٍ من سايلاتَ المدامع

مشت في فجاج البر ما حلَّتَ القرى — ولا حفرت باظلافها بالمناقع

ولا قادها حرَّ الظما صوب منهل — وخيمٍ تنادى في جباهَ الضفادع

لكنها في ملعبَ الريم قادها — بالاقدار خفَّاقَ البروقَ اللوامع

هوى ظلفها في كفةِ غيّبت لها مُداناة عيدانَ الثمامَ المنايع

هفت ما درت يامير مافي جنابه والاقدار تاتي بالامورَ الفنايع

ووسّدتها احدى يديها وشارعت على جال محفورَ الدميَّ النقايع

وردّيت لها من مخزمي هوشريّه على حدَّها ياتي دمَ الجوف ضايع

صنعها ابن مفتاح بيُمنىً سليمه ياويّ بيطارٍ وياويّ صانع

صنعها بمنفاخٍ على جال كيره منَ الريح شبعانٍ مرارٍ وجايع

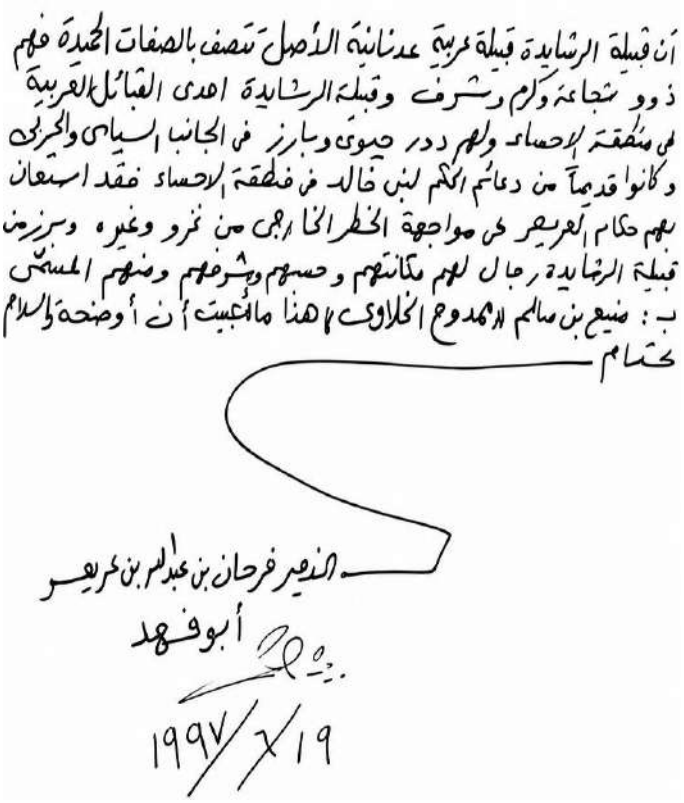
بصدَّارةٍ ورّادةٍ مشفحلَّه لها بالملاقى كلَّ يومٍ وقايع

وذكرت وصاةٍ من منيع بن سالم وغيري اذا ما جاعَ ينسى الودايع.

كانت قبيلة الرشايدة من القبائل التي استقر حضورها في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، ضمن حركة الانتشار التي أعقبت نزوحهم من الحجاز، وقد ارتحل قسمٌ منهم إلى الكويت، حيث استقروا فيها، وكان لهم فيها زعماء معروفون، وأسهموا في الحياة القبلية والسياسية في تلك الديار، وقد أشار كتاب «**الكويت وقبيلة الرشايدة**» إلى عددٍ من رجالات المسيلم، الذين عُرفوا بوصفهم من زعماء الرشايدة في الكويت، ومن بينهم منيع بن سالم، الذي حظي بمكانةٍ رفيعة، وكان من الشخصيات التي امتد أثرها في محيطها القبلي.

تؤكد الرواية الشعرية هذه المكانة، إذ إن الشاعر الفلكي راشد الخلاوي مدح منيع بن سالم، وأثنى عليه، وهو ما يعكس ما كان له من شأنٍ معتبر بين قومه.

كما جاءت شهادة **فرحان بن عريعر**، أحد زعماء بني خالد، لتؤكد أن قبيلة الرشايدة كان لها دورٌ في دعم حكم بني خالد في الأحساء، وأن منيع بن سالم كان أحد رموز الرشايدة الذين كان لهم حضورٌ وتأثير في تلك المرحلة.


أن قبيلة الرشايدة قبيلة عربية عدنانية الأصل تتصف بالصفات الحميدة فهم
ذوو شجاعة وكرم وشرف وقبيلة الرشايدة احدى القبائل العربية
في منطقة الاحساء ولهم دور حيوي وبارز في الجانب السياسي والحربي
وكانوا قديماً من دعائم الحكم لبني خالد في منطقة الاحساء فقد استعان
بهم حكام العرير في مواجهة الخطر الخارجي من نجد وغيره وبرز من
قبيلة الرشايدة رجال لهم مكانتهم وحسبهم وشرفهم ومنهم المسمى
بـ: منيع بن سالم الممدوح الخلاوي هذا ما أحببت أن أوضحه والسلام
ختام
الأمير فرحان بن عبدالله بن عريعر
أبو فهد
1997/7/19

شهادة من الأمير فرحان بن عبدالله ابن عرير من المملكة العربية السعودية، موضحاً دور قبيلة الرشايدة في شد حكمهم، وأن منيع بن سالم، ممدوح الشاعر راشد الخلاوي، ليس من بني خالد إنما من الرشايدة.

انتشار الشّرك في مهد الإسلام

قبل دخول الدولة العثمانية إلى الحجاز، كانت جزيرة العرب تشهد مظاهر متعددة من الممارسات التي خالفت صفاء التوحيد، مثل التعلق بالتمائم، وبعض عادات الجاهلية التي بقيت في أطراف البادية، ومع دخول العثمانيين وضمهم الحجاز، تعزّز حضور الطرق الصوفية، وانتشرت الزوايا والمشاهد، وازداد تعظيم الأضرحة، وظهرت مظاهر التوسل بالأولياء، متأثرةً بالواقع الديني الذي ساد في مناطق واسعة من العالم الإسلامي آنذاك، وكان لمكانة مكة أثرٌ بالغ، إذ إن العامة كثيرًا ما يرون أن ما يكون فيها هو المقياس، فيتأثرون بما يظهر فيها من توجهات وممارسات.

في هذا السياق، يبرز صوت الشاعر الفلكي راشد الخلاوي، الذي عُرف بتأمله ونقده لما رآه من انحرافٍ عن نهج التوحيد، فقد خاطب منيع بن سالم الرشيدي، وهو من زعماء قومه، مبينًا ما آل إليه حال بعض الناس من التعلق بالأشجار والأحجار، وعدّ ذلك ضلالًا وانحرافًا عن الطريق المستقيم، وهو ما أثّر في نفسه، ودفعه إلى مفارقة قومه، واعتزال تلك الممارسات، طلبًا للسلامة في الدين، وتمسكًا بما رآه حقًّا، فقال:

فإن سلت قومي يا منيع فلا تسل أحجار وأشجار يعبدون خايبه

عصاة قساة من حديد قلوبهم فلو أنهم من صم الأحجار ذائبه

تخليت عن قومي محا الله دارهم واهمي عليهم من نوامي نوايبه

تخليت عنهم يومهم غار دينهم ومن غار عنه الدين غارت مشاربه*

(كتاب راشد الخلاوي حياته شعر فلسفته نوادر حسابه)*

ضليع الرشيدي

يجد القاصد إلى بيت الله الحرام شواهد متعددة تدل على حضور الرشايدة في مكة المكرمة، ومن ذلك **ميدان الرشايدة** الواقع جنوب الحرم، وكذلك **براحة الرشيدي** القريبة من الحرم، والتي نُسبت إلى صاحبها حسين الرشيدي، الذي كان ناظرًا لسوق مكة في زمن الشريف سرور بن مساعد (1186هـ – 1773م)، وقد ورد ذكر ذلك في كتاب - **العقود اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسينية** - كما يُعرف **ضليع الرشيدي**، الواقع شمال مدينة الملك عبدالعزيز الرياضية بنحو مئتي متر، وهو من المواضع التي بقي اسمها شاهدًا على وجود القبيلة في تلك الأنحاء.

لم يقتصر حضور أسماء الرشايدة على مكة وحدها، بل امتد إلى مدن أخرى في الحجاز، مثل الطائف وجدة، حيث بقيت مسميات المواقع تحمل اسمهم، في دلالةٍ واضحة على عمق وجودهم، واتساع نطاق انتشارهم على طول امتداد الحجاز، وقد تتبّع **الشيخ جابر النويعمي** عددًا من هذه المواضع، وأفرد لها كتابًا بعنوان «**ومضة رحيل**»، جمع فيه ما تيسر من تلك الشواهد، موثقًا أسماء الأماكن، ومبينًا صلتها بتاريخ القبيلة، وهو عملٌ قيّم حفظ جانبًا من هذا الإرث.

يكشف تتبع هذه المواضع عن حضورٍ راسخٍ **للرشايدة** في جغرافية الحجاز، حتى غدت أسماؤهم جزءًا من معالم المكان، تحفظها الأرض كما تحفظها الرواية، ولو جُمعت تفاصيل تلك المواطن، وقصصها، وشواهدها، لاحتاج ذلك إلى مجلداتٍ واسعة، تسرد تاريخًا ممتدًا، وتوثّق أثرًا لا يزول.

طرفية السّر

نزح الرشايدة، وكما هو شأن كل نازح، لم يكن لهم مستقرٌّ ولا مقام، إذ لا تستقيم الحياة ولا يُبنى العمران إلا حيث يوجد الماء، وفي قلب نجد، خرجت جماعة من الرشايدة تبحث عن

موردٍ للماء، يتقدمهم زعيمهم الشيخ **مسعود بن باتل بن شافي الشنيف**، ونزل الأمير ومن معه

لأداء الصلاة، فاختار موضعًا للمسجد وخطَّ حدوده، بينما انصرف رفيقه **رشدان بن مصوي** إلى ربط الخيول بإحدى الأشجار، وفيما هو هناك، لمح بقعةً رطبةً في الأرض، فأدرك أن الماء قريب منها، فضربها برمحه، فانفجرت منها العين، ثم بادر إلى ردمها مؤقتًا حتى لا يضيع الماء، فلما فرغ القوم من الصلاة، أخبرهم رشدان بما عثر عليه من عين الماء، فكانت تلك العين نواةً للاستقرار، وبدأوا بعمارة الأرض وبناء البيوت، وعُرفت العين باسم **عين رشدان**، وهي في **طرفية السّر** في قلب نجد، ذُكرت الرواية في كتاب **(الطرفية عين رشدان حاضرة العونة بني رشيد عبس) للمؤرخ العم مفلح بن علي الجبر**، وهكذا أصبحت **طرفية السر** أولى قرى الرشايدة التي شُيِّدت بعد نزوحهم، وكان أغلب سكانها من **العونة**، ولم يبقَ فيها بعد اندثارها إلا **آل صوينع وآل القنور**.



(لم يبق من ذرية الأمير مسعود بن باتل الشنيف إلا رجلان في الكويت، وهما دخيل وظاهر أبناء فارس ابن عوجا، وأبناؤهما 1445هـ)

الكويت

نزلت قبيلة الرشايدة أرض الكويت، واستقروا فيها منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري، الموافق نحو 1640م، بعد مرحلةٍ كانوا فيها ضمن نطاق الأحساء إلى جانب بني خالد، وجاء انتقالهم إلى الكويت في سياق حركة الانتشار التي شهدتها القبيلة عقب نزوحها من الحجاز، فوجدوا في تلك الديار موطنًا مناسبًا للاستقرار، ومجالًا جديدًا لحضورهم القبلي والسياسي.

يرى عدد من المؤرخين أن الرشايدة كانوا من أوائل القبائل التي أسهمت في تأسيس الكيان الاجتماعي والسياسي الذي قامت عليه **إمارة الكويت**، وأن حضورهم لم يكن هامشيًا، بل كان فاعلًا ومؤثرًا في مراحلها المبكرة، كما يتفق هؤلاء على أن الرشايدة كان لهم دورٌ بارز في مساندة حكم **آل صباح**، ووقفوا إلى جانبهم في أوقاتٍ مفصلية، وأسهموا في تثبيت أركان الحكم، حتى تمكن **الشيخ مبارك الصباح** من بسط سلطته، وتولي مقاليد الإمارة في مرحلةٍ حاسمة من تاريخ الكويت، وقد تجلّت تضحيات الرشايدة في تلك المرحلة من خلال مواقفهم الداعمة، ومشاركتهم في حماية الكيان الناشئ، وتعزيز استقراره، وهو ما جعل وجودهم جزءًا من تاريخ الكويت المبكر، وعنصرًا من عناصر تكوينه، وقد فُصّلت هذه الوقائع، ووُثّقت شواهدها، في كتاب «**الكويت وقبيلة الرشايدة**»، الذي تناول هذه المرحلة، وأبرز أدوار القبيلة ومكانتها في سياق نشأة الإمارة وتطورها، وصولًا إلى قيام الدولة ذات الاستقلال والسيادة، وما انعكس عن ذلك من آثارٍ إيجابية على حياة **أهل الكويت**، تمثلت في حرية الرأي، والرخاء، واليُسر في مختلف نواحي الحياة المؤسسية.



آبان

وقعت فتنة داخل قبيلة الرشايدة سنة 1120هـ الموافق 1700م، وكان سبعة رجال من المضابرة طرفًا رئيسًا فيها، مما أدى إلى تصاعد التوتر، وخشية وقوع اقتتالٍ أوسع بين بطون القبيلة، وفي خضم هذا النزاع، تدخلت المهيمزات، فسعوا إلى احتواء الموقف، وحالوا دون تفاقم الصراع، حين دخل عليهم أولئك السبعة، طالبين الجوار والحماية.

كان الحشية في تلك المرحلة من كبار القضاة العشائريين في البادية، وصاحب كلمةٍ مسموعة بين القبائل، فأدرك خطورة الموقف، وبادر إلى مراسلة شيخ عنزة ابن هذال في نجد، يلتمس منه أن ينزل أولئك السبعة في جواره، ويكفل لهم الحماية وفق أعراف العرب في الجوار.
فاستجاب ابن هذال لهذا الطلب، وقبلهم في جواره، وأنزلهم في جبل أبان، ليكون موضع أمنٍ لهم.

في تلك الأثناء، تولت المهيمزات حماية أهل المضابرة وأموالهم، حتى هدأت الفتنة، ومضت أشهر، عاد بعدها أولئك الرجال، فاصطحبوا أهليهم وأموالهم، وانتقلوا إلى جبل أبان، حيث استقروا هناك منذ ذلك الحين، ومع مرور الزمن، وبعد رحيل ابن هذال وأعوانه عن نجد، في أعقاب قيام **الدولة السعودية الأولى**، صفت تلك المواطن لمن نزلها من الرشايدة، وأصبح وجودهم فيها مستقرًا، شاهدًا على مرحلةٍ من النزاع، انتهت بالانتقال، وأعقبتها مرحلةٌ من الاستقرار في موطنٍ جديد.

بيت الحشية

يُعد بيت الحشية بيت القضاء الأشهر لدى قبيلة الرشايدة، ولا سيما عند المهيمزات، إذ احتل مكانةً اعتبارية رفيعة، وأصبح مرجعًا يُقصد للفصل في الخصومات، وإقرار الأحكام وفق أعراف القبيلة وتقاليدها الراسخة، وقد عُرف هذا البيت بسعة نفوذه، وقوة حضوره، حتى غدا أبرز بيوت القضاء، إلى جانب بيوتٍ أخرى كان لها شأنها في هذا المجال، مثل بيت **ابن قعبوب**، وبيت **الإستاء الذيابي**، غير أن بيت الحشية ظل الأوسع أثرًا، والأعظم شهرةً بين عموم الرشايدة.

اكتسب بيت الحشية مكانته من عدة عوامل، من أبرزها ما توفر له من مقدرات مالية، كانت تأتيه من حاكم المدينة المنورة، حيث كان الحشية من سكانها، الأمر الذي مكّنه من أداء أدوار متعددة، لم تقتصر على القضاء العشائري فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى القيام بوظائف اجتماعية وإنسانية واسعة، فقد كان البيت مقصدًا للضيوف، وموئلًا للقادمين، ومأوى للأطفال الأيتام، أو الضالين عن ذويهم، فيجدون فيه الرعاية والحماية حتى يعودوا إلى أهليهم.

كما عُدّ بيت الحشية بيتًا لنسب المهيمزات وأحلافها، أو ما يُعرف في العرف القبلي بـ« **بيت المَلأ** »، وهو البيت الذي تُحفظ فيه المرجعية الاجتماعية، وتُصان فيه روابط النسب، وتُدار منه شؤون الجماعة في أوقات السلم والنزاع، وقد بلغت شهرة هذا البيت ذروتها في القرن الثاني عشر الهجري، الموافق نحو القرن الثامن عشر الميلادي، حين كان له الدور الأبرز في حفظ التوازن، وترسيخ الأعراف، وصيانة وحدة القبيلة في مرحلةٍ اتسمت بكثرة التحولات والتحديات.

الإمام المُجدد

بعد أن امتد النفوذ العثماني في مهد الإسلام قرابة قرنين، وما صاحب تلك المرحلة من انتشار الممارسات الصوفية والبدع التي رآها علماء الدعوة منافيةً لصفاء التوحيد، هيّأ الله للجزيرة العربية **الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب التميمي**، فنهض عام 1153هـ/1741م داعيًا إلى تصحيح العقيدة وإحياء التوحيد، ومحاربة مظاهر الشرك والبدع التي خالطت حياة الناس، غير أن هذه الدعوة لم تكن طريقًا ميسورًا؛ إذ كانت تلك الممارسات قد ترسخت في نفوس كثير من الناس، مما جعل مهمة الإصلاح شاقة وطويلة، تتطلب الحكمة في الدعوة والحزم في مواجهة ما استقر من انحراف، وصولًا إلى إعادة الدين إلى أصله، وفي خضم هذه المرحلة، وجد الشيخ في الدرعية المأوى والنصير، فآوته، ونصرته، لتتحول دعوته من جهدٍ فردي في الإصلاح إلى مشروعٍ أوسع نطاقًا، ومن الدرعية انطلقت مرحلة جديدة في تاريخ الجزيرة العربية، اجتمع فيها تجديد الدعوة مع بناء الدولة، فكانت بداية الدولة السعودية الأولى.

نهوضُ عربِ الجزيرة بقيامِ آل سعود

أُقصي العرب عامة، وخاصة عرب الجزيرة عن الحكم منذ عصور الدولة العباسية، فتراجع دورهم السياسي، وضعفت شوكتهم، وتفرقت كلمتهم، حتى قيّض الله لهم قيام دولة آل سعود عام 1139هـ/1727م، التي أعادت إلى أهل الجزيرة العربية عزهم، ومكانتهم، فكانت دولة إصلاح ودعوة قبل أن تكون دولة سلطة وحكم، وقامت هذه الدولة على الدعوة إلى توحيد الله، ونبذ ما علق بالممارسات الدينية من بدع وانحرافات، في وقتٍ انتشر فيه التصوف الطرقي والجهل بالدين في أجزاء واسعة من جزيرة العرب عقودا طويلة.

وتجلّى هذا المشروع الإصلاحي على يد الإمام المُجَدِّد محمد بن عبدالوهاب، الذي دعا الناس إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، وإفراد الله بالعبادة، ونبذ الشرك والبدع التي رآها تشويهًا لصفاء الإسلام، فاستجاب لدعوته من اقتنع بها، كما واجه معارضة شديدة ممن عارضوا أفكارها أو رأوا فيها تهديدًا لما استقر من أوضاع دينية، واجتماعية، وسياسية.

نشر الشيخ دعوته بين أحياء البادية، ومدن الحاضرة، وسلك في سبيلها طريق التعليم، والبيان، والموعظة، ثم ارتبط انتشارها، في مراحل لاحقة، بالقوة السياسية والعسكرية للدولة السعودية الأولى، حتى اتسع أثرها في مناطق واسعة من الجزيرة العربية، ومع اتساع الدولة السعودية الأولى، التي انطلقت من الدرعية لتشمل معظم نجد والأحساء والقصيم، ثم امتدت إلى الحجاز، حيث دخلت مكة المكرمة والمدينة المنورة ضمن سلطانها، ووصل نفوذها إلى مناطق من عسير وعُمان وشمال الجزيرة العربية، ومع هذا الاتساع، توحّدت مناطق واسعة تحت سلطة واحدة، واستتب الأمن في كثير من الطرق، وانتعشت التجارة والحركة العلمية، بعد فترات طويلة من التنازع والانقسام، غير أن هذا النهوض العربي والإسلامي أقلق الدولة العثمانية، التي رأت في صعود الدولة السعودية تهديدًا مباشرًا لنفوذها، ولا سيما بعد امتداد سلطانها إلى الحجاز، ومن هنا لم تقتصر المواجهة على الميدان العسكري والسياسي، بل انتقلت إلى ميدان الفكر والإعلام، حيث شُنّت حملة واسعة لتشويه الدعوة في نظر المسلمين.

فاتُّهم أتباع الدعوة بالخروج على الإسلام، وأُلصقت بهم تهم الغلو والتطرف، وأُطلقت عليهم تسمية «**الوهابيين**» على سبيل النبز والوصم، في محاولة لفصل الدعوة عن أصولها التي

أعلنت التمسك بالكتاب والسنة، وربطها باسم شخص، لتصويرها في الوعي العام باعتبارها مذهبًا مستحدثًا خارجًا عن جماعة المسلمين، وهكذا تحولت الدعاية المضادة إلى أحد أسلحة المواجهة، يُراد منها تشويه صورة الدعوة، وإثارة الخوف منها، وصرف الناس عن الاستماع إليها، قبل أن تكون المواجهة مواجهةً في ساحات القتال.

رحيل عنزة عن نجد

لم يكن انتقال قبيلة عنزة، التي تمثّلها زعامة آل هذّال، ناجمًا عن حربٍ أو عن ظروفٍ طبيعيةٍ كحال الجدب وشح الموارد، بل ارتبط بشكلٍ وثيقٍ بـ المدّ السعودي في نجد خلال مرحلة التوسّع السياسي والعسكري للدولة السعوديةً الأولى، وقد ترتّب على ذلك نزوح قسمٍ من القبيلة بقيادة أتباع الهذّال نحو بلاد الشام، في حين ظلّت فروعٌ أخرى من عنزة مستقرةً في مواطنها الأصلية داخل نجد، ويبدو من الروايات المتواترة والمصادر التاريخية أن الهجرة لم تشمل القبيلة بأسرها، وإنما اقتصرت على الموالين لزعامة الهذّال من بين بطونها وأفخاذها، وهو ما يُبيّن الطبيعة الجزئية للحركة، ويفسّر استمرار وجود جماعاتٍ من عنزة في الجزيرة العربية حتى ما بعد تلك الحقبة.

الوهابية

قامت الدولة السعودية الأولى فبسطت سلطانها على جزيرة العرب، وجمعت شتات القبائل، ووحّدت بين الحاضرة والبادية تحت قيادة عربية إسلامية خالصة، وبقيامها استعاد العرب عزّهم ومكانتهم، واستقامت أحوالهم بعد فوضى طويلة، وأشرق في أرجاء الجزيرة نور الإسلام الأصيل الذي بُعث به النبي محمد ﷺ، فعاد للناس صفاء العقيدة ونظام الحياة المستمدة من الشريعة، غير أنّ هذا النور أثار حفيظة الدولة العثمانية، التي رأت في قيام قيادة عربية مستقلة تستمدّ شرعيتها من الإسلام تهديدًا مباشرًا لنفوذها وهيبتها، فشرعت في الدعاية المضادّة؛ إذ روّجت بين البلاد الخاضعة لسلطانها أن "**الخوارج الوهابيين**" – كما زعمت – قد احتلوا مكة وهدموا القباب وأضرحة الأولياء، وهي تهمة باطلة أرادت بها تشويه الدعوة السلفية وصرف المسلمين عن حقيقتها الإصلاحية.

ولما لم تُجدِ تلك الأكاذيب نفعًا، وجّهت الدولة العثمانية حاكم مصر، محمد علي باشا، لإرسال حملة عسكرية كبرى ضد الدولة السعودية، فمدّته بالمال، والسلاح، والعتاد، وسُجّلت في تلك الحملة مشاركة عدد من الضباط الأوروبيين، ولا سيما **الفرنسيين** و**الإنجليز**، في محاولةٍ لإسقاط الحكم العربي الناشئ ومنع امتداد دعوته في أرجاء العالم الإسلامي.

ابراهيم باشا

بعد فشل حملات طوسون باشا العسكرية ضد الدولة السعودية الأولى، وما لحق به من هزيمة في معركة تربة على يد قبيلة **البقوم** التي أبدت مقاومة شجاعة، قرر العثمانيون معاودة الهجوم بقوةٍ أكبر، فأُنيطت قيادة الحملة الجديدة بـ **إبراهيم باشا بن محمد علي باشا**، الذي أُعدّت له العدة العسكرية الضخمة، وجُمعت له الأموال الكبيرة لاستمالة بعض القبائل في طريقه.

سار إبراهيم باشا بجيشٍ متنوّع التركيبة، يضمّ عناصر من الأتراك، والمغاربة، والألبان، وآخرون، واتخذ من الرشوة والمال وسيلةً لكفّ بعض القبائل عن نصرة الدولة السعودية،

فمال إليه عددٌ من القبائل المتواطئة التي وثّق المؤرخون أخبارها، بينما ثبتت قبائل أخرى على ولائها للدعوة والدولة، وأظهرت مواقف بطولية في الدفاع عن بلاد الإسلام وبيضته.

الخماعلة

من أبرز تلك المواقف ما قام به **الخماعلة** من عنزة، إذ رفضوا ممالأة جيش إبراهيم باشا أو حمل عتاده، فوقعت بينهم معركة -**غيلان** - الشهيرة، وساندهم فيها **الدهامشة** أبناء عمومتهم، حتى كادوا أن يفتكوا بإبراهيم باشا نفسه، وقد أصيب في المعركة كما ورد في بعض الروايات.

كما كان الرشايدة من الصادقين في نصرة الدولة السعودية، حتى إن جيش طوسون باشا كان قد هاجمهم في وقتٍ سابقٍ، واستولى على مواشيهم، بسبب خيانة بعض القبائل المجاورة لهم، لكن رغم ذلك الثبات والإباء، استطاع إبراهيم باشا . **بعد معارك طاحنة وخداعٍ ممنهج** . أن يحقق غايته، فدخل الدرعية مهد الدولة السعودية الأولى، وهدمها حجراً حجراً، غير أنّ الفكرة التي قامت لأجلها تلك الدولة لم تُهزم، فقد بقي نور الدعوة، وشرف الرسالة متقدين في صدور الرجال، ينتظران فجرًا جديدًا يعيد للتوحيد مجده، وللعرب عزّتهم، وللإسلام هيبته.



شيخ المؤرخين

يصف المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي في كتابه - **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** - مشهد جيش إبراهيم باشا وهو يتأهب للخروج من مصر لمحاربة ما سمّاه العثمانيون **"الوهابيين"**، فيقول:

"لقد اجتمع في معسكر الجيش خلقٌ كثير من الفسّاق والبغايا وباعة المسكرات والمتلاعبين بالشهوات والمقامرين، حتى خالط هؤلاء الجنودَ في خيامهم، فكانوا يشربون الخمور، ويتعاطون الحشيش، ويجاهرون بالمنكرات في نهار رمضان، دون أن يُسمع في معسكرهم أذان أو تُقام فريضة."

ويُضيف الجبرتي في موضعٍ آخر على لسان بعض المشاركين في الحملة مِن مَن يدّعي الصلاح:

"أين لنا النصر وأكثر عساكرنا على غير ملّة، وصحبتنا صناديق المسكرات، لا يُسمع في عرضينا أذان، ولا تقام صلاة، في حين أن القوم – أي السعوديين – إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وانتظمت صفوفهم خلف إمامٍ واحدٍ في خشوع، وحتى في القتال إذا حان وقت الصلاة أقاموا صلاة الخوف كما ورد في السنة."

ثم ينقل الجبرتي دهشة بعض الجنود العثمانيين حين رأوا التزام خصومهم بالصلاة، والنظام، والعبادة، فقالوا في حسرةٍ وتعجّبٍ:

"كيف نقاتل قومًا يُصلّون ونحن نُهمل الصلاة؟ وكيف يُرجى لنا النصر، ونحن نحمل الرايات بيدٍ تُمسك بالكأس، والكتابُ بين أيديهم؟"

ويختم الجبرتي شهادته بذكر ما اكتشفه الناس بعد المعارك من أن كثيرًا من القتلى في جيش إبراهيم باشا كانوا غُلفًا غير مختونين، ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه.

هذه الرواية التاريخية تعكس الفرق الجوهري بين جندٍ يقاتلون لنصرة عقيدةٍ صافيةٍ، وجيشٍ جُمع من شتّى أصقاع الأرض دون دينٍ أو مبدأ، وهي شهادة مبثوثة في **المجلد الثالث، صفحة 465** من **"عجائب الآثار"**، إن رواية الجبرتي تُعدّ وثيقةً دامغة تبيّن كيف أن الصراع بين الدولة

العثمانية والدعوة الإصلاحية لم يكن مجرد صراع نفوذٍ وسيادة، بل صدامٌ بين مشروعين متناقضين في جوهرهما، **مشروعٍ أراد إحياء الإسلام في صفائه الأول، وآخر يستغل شعارات الدين لتثبيت حكمٍ دنيويٍّ فقدَ روحه وشرعيته.**

محمد علي باشا

خيّم التوتر والقلق على محمد علي باشا، والي مصر، خلال المدة التي غاب فيها ابنه إبراهيم باشا يقود جيوشه في عمق الجزيرة العربية لمحاربة الدولة السعودية الأولى، كان ينتظر الأخبار بلهفةٍ مضطربة، يتوجّس من الفشل بعد ما كبّدته الحملات السابقة من خسائر، حتى إذا قدمت إليه الرسل تبشّره بانتصارات ابنه، أمر بإطلاق المدافع في القاهرة احتفالًا، وما إن وصله خبر سقوط الدرعية حتى أمر بإطلاق ألف مدفعٍ فرحًا بالخبر، كما يروي المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي في كتابه -**عجائب الآثار في تراجم الأخبار**-.

بعد أن دمّر إبراهيم باشا –الدرعية- عاصمة الدولة السعودية الأولى، ومركز إشعاع الدعوة الإصلاحية أُسر عددٌ كبير من وجهاء آل سعود، والعلماء، والأهالي، واقتيدوا في السلاسل إلى القاهرة، ثم أُرسل الإمام عبدالله بن سعود، آخر أئمة الدولة السعودية الأولى، إلى (القسطنطينية) بأمر من السلطان العثماني.

يصف الجبرتي مشهد النهاية بقوله:

"وصلت الأخبار أيضًا عن عبدالله بن سعود أنه لما وصل إلى إسلام بول، فطافوا به البلدة، وقتلوه عند باب همايون، وقتلوا أتباعه أيضًا في نواحٍ متفرقة فذهبوا مع الشهداء".

هكذا خُتمت صفحة من أنبل صفحات الجزيرة العربية، صفحةٌ قامت فيها دولةٌ عربيةٌ إسلاميةٌ مستقلة حكمها بالعقيدة والعدل، وأعاد مؤسسوها الإسلام إلى صفائه الأول، لكنّ سقوط الدرعية لم يكن نهاية الدعوة، بل بداية مرحلة جديدة من النهوض والرسوخ، إذ بقيت جذوة التوحيد حيّة في القلوب، حتى شاء الله أن ينهض بها الأحفاد من آل سعود من جديد، فتوحدت الجزيرة مرة أخرى تحت راية الإسلام والعزة العربية.

رأس الخيمة

بعث الضابط البريطاني **سادلر**(1818م)، مبعوث حكومة بريطانيا في الهند، إلى إبراهيم باشا أثناء وجوده في نجد، سيفًا مذهبًا قدّمه هدية وتقديرًا، غير أن الهدية حملت بين طياتها رسالة سياسية واضحة تهدف إلى كسب ودّ إبراهيم باشا وتشجيعه على مهاجمة **القواسم**، زعماء رأس الخيمة، الذين أذاقوا البريطانيين بأس الجهاد والمقاومة، وأعاقوا خططهم الاستعمارية في الخليج العربي.

أراد الإنجليز من تلك الخطوة استخدام النفوذ **العثماني–المصري** المؤقت في الجزيرة العربية لخدمة مصالحهم التجارية والعسكرية في المنطقة، بعد أن عجزت حملاتهم البحرية عن إخضاع القواسم الذين صمدوا دفاعًا عن شواطئهم وحريتهم، وقد سجّل سادلر تفاصيل تلك الهدية وغاياتها في كتابه «**رحلة عبر الجزيرة العربية**»، كاشفًا عن جانبٍ من تداخل المصالح البريطانية والعثمانية آنذاك.

يُعدّ دور القواسم في الساحل الجنوبي للخليج نظيرًا لما قامت به قبيلتهم الرشايدة في عمق الجزيرة العربية في تلك الحقبة، من جهادٍ ومقاومةٍ ضد التوسع الأجنبي، والتحالفات **العثمانية–الأوروبية**، مما يُبرز أن روح الاستقلال، والدفاع عن الأرض، والعقيدة كانت حاضرةً في الدم العربي الأصيل.

أمير الطرفية

أسس الأمير مسعود العوني الرشيدي، ورفيقه رشدان بلدة الطرفية، التي سرعان ما غدت حاضرةً عامرة بالخير، ملتقىً للكرم والشجاعة، يحيط بها الرشايدة في نواحيها وقصباتها، عُرف أهلها بالاستقامة والمروءة، ولم يُسجّل عليهم أن مدّوا يدَ عونٍ إلى جيش إبراهيم باشا عند مروره عائدًا من الدرعية بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى، بل واجهوا الموقف بثباتٍ وكرامةٍ عربيةٍ أصيلة.

رأى إبراهيم باشا في ذلك موقفًا من العصيان وعدم الولاء، فأصدر أمره بأسر الأمير مسعود العوني، فقبض عليه جنوده، وقيدوه بالسلاسل، واقتادوه نحو مصر أسيرًا، إلا أن البطولة لم تغب عن أبنائه بويتل وباتل، فهَبّا لمواجهة الجيش بجرأةٍ نادرة، وتمكنا من اختراق صفوف العسكر، وفكّ قيود والدهما، وتحريره من الأسر وسط اضطراب صفوف الجنود، عاد الأمير مسعود العوني إلى طرفية السر مكرّمًا بعزة الموقف وصنيع الأبناء، لتبقى تلك الحادثة شاهدًا على ثباتهم على الكرامة ورفض الذل*.

سوقة و دولاب

الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري (1767 – 1786م)، عمَّ الجفاف أنحاء الجزيرة العربية، فاشتدّ القحط، وجدبت المراعي، وقلّ الزرع والماء في نجد والحجاز والعراق والشام، وخلّد الناس تلك السنوات القاسية في ذاكرتهم الشعبية باسمَي "**سوقة**" و"**دولاب**"، لما حملته من معاناةٍ، ونزوحٍ، وجوع.

كانت قبيلة الرشايدة – **القاطنة آنذاك في مكة وضواحيها وجدة وبواديها** – من أكثر القبائل تأثرًا بتلك المحنة، فاضطر كثيرٌ منهم إلى الرحيل بحثًا عن المراعي والمياه الخصبة، كانت الوجهة البعيدة أرض السودان، حيث الأمل في الخصب والنجاة، عبر بعضهم البحر الأحمر في سفنٍ شراعية بدائية، وسار آخرون برًّا عبر سيناء، وكان ذلك قبل حفر قناة السويس، فرحلت جموعهم الكبيرة أفواجًا متتابعة على امتداد طريق الحجاز نحو الغرب.

تبرز في خضم هذه الهجرة رواية أدبية مؤثرة، تحكي قصة إحدى نساء الرشايدة اللواتي رفضن أن يتركن رفيقة دربها الناقة، حين ازدحمت السفينة بالمسافرين، فأصرّت على الرحيل بها، وبعد أن أبحرت السفينة من سواحل الحجاز متجهة إلى سواحل إفريقيا، أنشدت قولها بخاطرٍ مفعمٍ بالشوق واليقين*:

1-«الطرفية – عين رشدان حاضرة العونة» (ص146)

2-«ومضة رحيل عبر الحجاز وأرض النيل» (ص119)*

يا فاطري من بعد مرتع تهامة

وأرض الحجاز ونايبات الرجومي

اليوم في بحرٍ عسى به سلامة

إن جات ريح قام موجه يزومي

ثلاثة أيامٍ حسابًا تمامه

متوجهين بك مغيّبات النجومي

متى على الله ننزل أبو عمامة

منزل مطاريش الرجال القرومي

موخرين أرى الردى والهلامة

ومؤمنين أمّ الحوار العتومي.

كانت هذه الأبيات بمثابة سطرٍ شعري خالد يختزل مشاعر الرحيل القاسي، وارتباط البدوي بأرضه ومطيّته، وإيمانه العميق بأن الله سيقوده إلى مأمنٍ وسلام، وقد بقي هذا الرحيل علامة فارقة في تاريخ الرشايدة، إذ شكّل صلة جغرافية وثقافية بين أهل الحجاز وأرض النيل، وحمل معه اللغة والكرامة، والقيم البدوية الأصيلة إلى ضفافٍ جديدة من الاغتراب العربي.

قتال بحري

لم تكن رحلة الرشايدة من الحجاز إلى أرض النيل مجرّد انتقالٍ جغرافي أو هجرةٍ بحثًا عن المراعي، بل كانت ملحمة نجاةٍ، ومواجهةٍ مع عالمٍ متبدّلٍ يموج بالتصارع الدولي، فذاك الزمن – **النصف الأخير من القرن الثاني عشر** الهجري – شهد تحركاتٍ سياسيةً معقّدة في البحر الأحمر، حيث تداخل النفوذ العثماني، والبريطاني، والفرنسي في صراعٍ على الممرات البحرية والتجارة، وسط توترٍ لم تسلم منه حتى القبائل العربية المارّة بتلك السواحل.

أثناء عبور بعض الرشايدة الذين انطلقوا من منطقة الوجه شمال الحجاز، اصطدموا بسفنٍ عثمانية حاولت اعتراضهم وإيقاف رحلتهم، فتصدى لها الرشايدة ببسالةٍ نادرة، واستطاعوا أن يُغرقوا السفينة التركية ويدمروها، ولم تتوقف الأحداث عند هذا الحدّ؛ فخلال مواصلة الرحلة تعرّضت مجموعة أخرى منهم لـ **سفينة بريطانية** في عرض البحر، فوقعت مواجهة عنيفة بين الطرفين، انتهت بمقتل **القائد الإنجليزي** الذي كان على رأس القوة البحرية البريطانية، وقد خلد الرشايدة ذلك الحدث في ذاكرتهم الشعبية بأغنية فخر مختزلة ظلّت تُتداول بين رواة البادية حتى اليوم، يقولون فيها:

شيخ النصاري مات

جتنا مكاتيبه*

«ومضة رحيل عبر الحجاز وأرض النيل» (ص120)*

قبر البنت

جنوب مدينة الوجه، يلوح موضع يعرفه أهل المنطقة باسم «**قبر البنت**»، وهو معلم شعبيٌّ توارثت الأجيال قصته، حتى غدت رمزًا للوفاء والحنين للأرض.

تعود القصة إلى زمن رحيل الرشايدة عن الحجاز نحو برّ مصر والسودان في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، حين كانت الهجرة واسعة في الناس بسبب الجدب والقحط، وبينما كانت القوافل تحمل متاعها إلى السفن الراسية على الساحل، تخلّفت فتاةٌ من الرشايدة عن أهلها، ونُسيت في زحمة الفراق وعجلة الرحيل.

بقيت تلك الفتاة في موضعها، وحيدةً بين الرمال والجبال، تصارع قسوة العزلة، تمرّ عليها سنونٌ من الجدب وأعوامٌ من الخصب، تعلمت في وحدتها طبائع الصبر والبقاء، واستأنست بإبلٍ جمعتها بعرقها وصبرها، حتى صار لها قَطيع من الإبل يؤنسها، ويشهد على عناد الحياة فيها.

وبعد أعوام من البحث المضني، عاد شقيقاها يفتشان في الدروب، والوديان عن أختٍ حسباها في عداد المفقودين، حتى إذا عثرا عليها بعد رحلةٍ طويلة، غلبهما الشوق والبكاء، وطلبا منها الرحيل معهما إلى الأرض الجديدة عبر البحر، لكنها رفضت مفارقة الحجاز، أرض النشأة والذكريات، وأصرّت على البقاء، فاستطاعا بعد إلحاحٍ ودموعٍ أن يقنعاها بالرحيل، وما إن ابتعدت عن أرضها حتى انهكها الحزن والحنين، فلم تُطق الفراق، فسكنت روحها قبل أن تبلغ السفن مرساها، ودُفنت في موضعها ذاك جنوب الوجه، وأصبح قبرها مزارًا رمزيًا يسمّيه الناس قبر البنت.

الرشايدة والبحر

الإنسان ابن بيئته، يتأثر بطبيعتها، ويتكيّف مع مناخها وخصائصها، فيصوغ منها أسلوب عيشه ومصدر رزقه، وقد كان أغلب أبناء قبيلة الرشايدة في العصور الماضية يقيمون على سواحل تهامة الممتدة على البحر الأحمر، بين مكة، وجدة، وحليّ، والوجه، وضباء، فانعكست البيئة البحرية على حياتهم اليومية ومهاراتهم.

أَلِف الرشايدة البحر، وتعلّموا أسراره ومواسمه، حتى غدوا أهل سفنٍ وبحّارةً مهرة، يجيدون الصيد والملاحة، ويعرفون طرق البحر الأحمر، وجزره، ومجراه من الضباب إلى عيذاب، ومع توالي السنين، امتلك كثير منهم سفنًا تجارية، وسفن صيدٍ، وسفن نقلٍ بين السواحل العربية والإفريقية، وكان من بينهم ربابنةٌ وقادة بحرٍ متمرسون عُرفوا بالفطنة، والشجاعة، والقدرة على قراءة ظواهر الرياح والتيارات، ومن أبرز قادة البحر من الرشايدة الذين حفظت الروايات أسماءهم، وذكرتهم الذاكرة الشعبية في الحجاز، والساحل الغربي وتم تدوينهم في كتاب - **ومضة رحيل عبر الحجاز وأرض النيل** - :

السفينة	نوعها	رئيس السفينة أو الناخوذة	مالكها	مقر صاحب السفينة
الجرف	خشبية	رشدان بن مريشيد المهيمزي	نفسه	السعودية / الرايس
الخضراء	خشبية	رشدان بن مريشيد المهيمزي	نفسه	السعودية / الرايس
السعدية	خشبية	مرشد بن جريس المهيمزي	العمدة محمد	مصر/ الغردقة
الصابرية	خشبية	مرشد بن جريس المهيمزي	إبراهيم غبان	السعودية / الوجه
الصابرية	خشبية	سويعد بن رشدي المهيمزي	إبراهيم غبان	السعودية / الوجه
التوفيقية	خشبية	عتيق بن عطية الله المهيمزي	العمدة محمد	مصر/ السويس
الصابرية	خشبية	أحمد محمود حمود المهيمزي	محمد غبان وإخوانه	مصر/ الغردقة
المستريحة	خشبية	عتيق بن عطية الله المهيمزي	عتيق +إبراهيم	السعودية - الوجه
مرزوقة	خشبية	عطية الله مبارك المهيمزي	أولاد موسى	مصر - الطور
إسكندرية	خشبية	عتيق بن عطية الله المهيمزي	أولاد موسى	مصر - الطور
صفا البحر	خشبية	عتيق بن عطية الله المهيمزي	أولاد موسى	مصر - الطور
فتح الخير	خشبية	عتيق بن عطية الله المهيمزي	نفسه	السعودية - الوجه
سهل الله	خشبية	سويعد رشدي المهيمزي	مرشد جريس	السعودية - الوجه

وهؤلاء بعض أسماء قادة، وملاك السفن من قبيلة الرشايدة ممن مخروا عباب البحر الأحمر، وهناك أيضا رشايدة في خليج العرب، وبحر العرب امتلكوا سفنا، واحترفوا قيادتها*

(الكويت وقبيلة الرشايدة)*

زوال الأجساد وبقاء الأثار

رحل الرشايدة عن ديارهم بفعل تتابع المعارك وشدّة القحط الذي ضرب الجزيرة العربية في تلك الحقبة، حتى بلغت الرحلة نهايتها عند السودان، حيث حلّت القبيلة واستقرت، ولم يبق في الحجاز إلا قلة قليلة متفرقة بين الأودية والبوادي، وأطلالٌ تشهد على وجودٍ طويلٍ وخصبٍ عريق.

كان من بين أولئك الذين عمروا أرض الحجاز **رشدان بن مريشد المهيمزي الرشيدي**، الذي نزل مع قومه في ينبع النخل، فزرعها وأحياها، وكانت أرضًا مباركة كثيرة الخيرات، وبعد أعوامٍ من الاستقرار، رحل مع جماعته إلى ينبع البحر قرب جزيرة العباسي، إلا أنهم لم يلقوا الترحيب ممن سبقهم إلى الموضع، إذ رأى المقيمون هناك أنهم لا يملكون العدد الكافي للمشاركة في الحماية والسيطرة، فاستقلّوا عددهم وثار النزاع بينهم.

انتهى الأمر إلى مناوشات وحربٍ قصيرةٍ دفعت رشدان إلى اتخاذ قرار الرحيل، فاتجه إلى منطقة الرّائس، غير أنّ الموقف تكرّر هناك أيضًا، فواجه أصحابه بعض التوتر والمشادات مع جماعات أخرى، فأطلق رشدان كلماته الحكيمة شعرًا نبطيًا خالدًا يسجّل الموقف ويدعو إلى الصبر، والحكمة، وحفظ الجوار:

يا من يوصل كلامي للشماسي حيث ما كان

ويقوله الجابة إلي جاتنا في غير دعيه

حنا نحسب التاليه ونقول جيران

وندمح خطا الجار بالنفس الرضيه

وأفعالنا تعرف من ماضي الأزمان

حرصك عن الزلات لا تشعل نار الجحيه

خابرك قبل هذا ما تقدي عود نخران

وحنا نقدي السواعي في الليالي الخرمسيه

ما ظن حصني حمل بندق ويقول شيهان

وكف الخطا واجب والحذر ما فيه زيه

تعبّر هذه الأبيات عن روح الرشايدة العربية الأصيلة التي تجمع بين الكرامة والحلم، وتضع ضبط النفس وحفظ الجوار فوق ضجيج الصراع، فقد عاشوا في بيئةٍ لا تعترف إلا بالقوة، والتحالف، والعدد، ومع ذلك ظلوا متمسّكين بأخلاق النخوة، والعفو، والوفاء، وهكذا، بين رحلاتٍ متتابعة من الحجاز إلى السودان، ومن واحات النخل إلى سواحل البحر، ظلّت جمرة العرب في الرشايدة لا تنطفئ تتقد فيهم العزة، والنجدة، وتبعث من قصصهم وأشعارهم عبق الأصالة التي لا تغيب.

أرض السودان

الأرض أغلى ما يملك الإنسان، فهي المأوى، والهوية، ومصدر البقاء، ولأجلها تهون الأرواح وتُبذل الدماء، حين نزل الرشايدة أرض السودان بعد رحلةٍ طويلةٍ من الهجرة والتعب، حملوا معهم أنفة العربي وكبرياء الصحراء، وساقوا مواشيهم بحثًا عن المراعي والمياه، غير أنّ القبائل المستوطنة منذ قرون لم ترحب بمقدمهم، إذ رأت في كثرة ماشيتهم وتوسعهم تهديدًا لمراعيها ونفوذها، نشبت الاشتباكات الأولى حول المراعي والمياه، وتحوّل النزاع إلى قتالٍ شرسٍ تخللته معارك عديدة أثبت فيها الرشايدة شجاعتهم، وصلابتهم في الدفاع عن النفس والأرض، ومع مرّ الزمن، فرضوا وجودهم، وشيّدوا لأنفسهم مكانة مهيبة، وهيبة مرهوبة الجانب، فتوسعت مواطنهم، وامتدت مضاربهم، حتى أصبح لهم إقليم واسع في شرق السودان، يهابهم القريب قبل البعيد، لا يُطأ حماهم إلا بإذنهم، ولا يُرعى مرعاهم إلا برضاهم، واكتسبوا سمعةً بارزة وسط قبائل السودان، تُحترم كلمتهم، ويُقدّر بأسهم، وحُفظت عنهم سير الفروسية، والكرم، والوفاء، فغدوا رقمًا صعبًا في الخريطة القبلية، والاجتماعية للسودان.



على اليمين أحد رجالات الرشايدة في أرتيريا.

الإمام تركي

بعد سقوط الدرعية وانهيار الدولة السعودية الأولى عام 1233هـ / 1818م بيد حملة إبراهيم باشا، عاشت الجزيرة العربية سنواتٍ من الاضطراب والفراغ السياسي. تمزّقت الكلمة، وعمّت الفوضى، وتنازعت القبائل والأمراء على السلطة، لكن لم يطل الأمر، إذ هيأ الله لهذه البلاد رجلًا من نسل المؤسسين، **الإمام تركي بن عبدالله آل سعود**، الذي نهض بهمّة الرجال العظام، واستطاع أن يعيد بناء الدولة من جديد عام 1240هـ / 1825م، جاعلًا من الرياض عاصمةً لها بعد دمار الدرعية.

خاض الإمام تركي معارك جسامًا لتوحيد الأقاليم تحت راية واحدة، فاستعاد نجدًا والأحساء وأجزاء من جنوب الجزيرة، وكان مثالًا للشجاعة والدهاء، جمع بين الحكمة السياسية، والبأس العسكري، حتى استقرت البلاد نسبيًا بعد عقدٍ من الاضطراب، وقد عبّر الإمام تركي عن حاله، وأحوال البلاد في أبياتٍ مؤثرة تُلخّص ما مرّ به من صبرٍ، وعزيمةٍ، وثقةٍ بوعد الله، يقول فيها:

اكفخ بجنحان السعد لا تدرا ... فالعمر مایاقاه کثر المداري
مافي يد المخلوق نفع وضرا ... وما قدر الباري على العبد جاري
وان سايلوا عني فحالي تسرا ... قبقب شراع العز لو كنت داري
يوم ان كل من عميله تبرا ... حطيت الأجرب لي عميل مباري
نعم الرفيق إلى سطا ثم جرا ... يودع مناعير النشامى حباري
رميت عني برقع الذل برا ... ولا خير في من لايدوس المحاري
يبقى الفخر وانا بقبري معرا ... وافعال تركي مثل شمس النهاري
وأحصنت نجد عقب ماهي تطرا ... مصيونة عن حر لفح المذاري
ونزلتها غصب بخير وشرا ... وجمعت شمل بالقرايا وقاري
والشرع فيها قد مشى واستمرا ... ويقرا بنا درس الضحى كل قاري
زال الهوى والغي عنا وفرا ... ويقضي بها القاضي بليا مصاري.

فرد حمزة

استطاع الإمام تركي بن عبدالله آل سعود أن يوحّد أقاليم البلاد، ويعيد الأمن والاستقرار إلى الجزيرة العربية، ويتخذ من الرياض عاصمةً للدولة السعودية الثانية، وامتدت جهوده إلى الإصلاح، وساد الأمن والعدل في عهده، غير أن الغدر لا يأتي إلا من داخل الرداء؛ فتعرّض

الإمام لغدرٍ أنهى حياته وهو في أوج عطائه، ففي يوم الجمعة 30 ذو الحجة سنة 1249هـ/10 مايو 1834م، دُبّر اغتياله بأمرٍ من **مشاري بن عبدالرحمن بن حسن آل سعود**، ونفّذه إبراهيم بن حمزة، أحد عبيده، إذ باغت الإمام بعد خروجه من صلاة الجمعة، وأطلق عليه النار من سلاحه الناري، فأرداه قتيلًا، بعد سنواتٍ من إرساء الأمن والاستقرار والرخاء في البلاد.

استولى مشاري بعد ذلك على الحكم، وأخذ البيعة من أهل الرياض قسرًا، فلم تدم له سوى أيام قليلة حتى ثار عليه أهل الوفاء لآل سعود، بقيادة **الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله**، الذي عاد إلى البلاد وأخذ بثأر والده، وأعاد الحكم إلى نصابه، لتستمر الدولة السعودية الثانية من جديد.

صغت أبيات بهذ الحادثة:

يا نجد عقب تركي تبدّل نهارِك

وغابت شموس العز عن كل داري

غدر به قَريبٍ ما حفظ مِقدارِه

وساق الغدر عبدٍ خان حرّ المعالي

طعنوه في محرابه وخذلو جداره

يصلّي لربه والقضا صار جاري

لكن بذر تركي بطيبه ثمارِه

وعيالْه حفظوا المَجد والساري

ما مات مَجده لو تغيّب خَباره

يبقى علم فيصل وعز الدياري.

الإمام فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود آنذاك في طور توطيد أركان الدولة، وإرساء الأمن في أرجاء البلاد، حين بلغه نبأ اغتيال والده الإمام تركي غدرًا في الرياض، فما إن سمع بالحادثة حتى عاد مسرعًا إلى الرياض، عاقدًا العزم على الأخذ بالثأر، واستعادة الحق.

استطاع الإمام فيصل أن يدخل المدينة عنوةً، بعد مواجهةٍ سريعة مع أعوان مشاري بن عبدالرحمن، الذي استولى على الحكم بعد الجريمة، وبتعاونٍ من رجاله المخلصين، وعلى رأسهم عبدالله بن علي الرشيد، تمكن من إعادة الأمور إلى نصابها.

شارك عبدالله الرشيد ببطولةٍ وشجاعةٍ في تلك الحملة، وتمكن هو ومن معه من قتل مشاري وعبده حمزة قاتل الإمام تركي، فيما أُصيب عبدالله الرشيد في يده أثناء المعركة، فكان جرحُه شرفًا يُذكر ضمن مواقف الوفاء، وبعد أن استقام الحكم للإمام فيصل، كافأ عبدالله الرشيد على وفائه وإخلاصه، وولّاه إمارة حائل، وأرسل معه سريةً لتثبيت سلطانه هناك، فبدأت بعهده إمارة آل رشيد في جبل شمر، التي أصبح لها شأن كبير في تاريخ نجد، وشمال الجزيرة العربية لاحقًا.

عبدالله بن علي الرشيد

حكم حائل عام 1250هـ (1834م)، كان عبد الله ابن رشيد عاقلا، حليما، شُجاعًا، كريمًا، قد اجتمعت له خصال كثيرة كلها حميدة.* ولعبدالله الرشيد من القريض ما يفيض حكمةً ويشرق جزالةً:

حق علينا الجار نرفا خماله ... ونفزع لمن جانا من الضيم دخال
وللضيف نقري حين تبرك رحاله ... ومن غير منة المحتري مانهج خال
فان جا صديق من عدوا صياله ... رفيقنا نرخص له الحال والمال
ويامن بنا سرحه وضايع حلاله ... ولا بات في قلبه من الخوف ولوال
ومن جا يريد الزين يعطي سواله ... وعن عاني الله ماقطعنا الاوصال
والشر ندفع جانبه بالسهاله ... ولاني لتقريبه من الناس قبال
فان كان هو ركب الرشا للمحاله ... واستثقله ما انا من الحرب ملال
اصبر كما تصبر رواسي جباله ... ماتنهزع من وطي حفي ونعال.

استجلاء

الاحتياج إلى العلم ليس ترفًا ذهنيًا، بل هو ضرورة تماثل حاجة الجسد إلى الطعام، فكما أن البدن لا يقوم بغير غذاء، فإن العقل لا يثبت ولا ينضج بغير علم، وإذا كان العلم بمختلف فروعه هو زاد الأمم، فإن علم التاريخ هو وعيها بذاتها، وميزانها في فهم حاضرها، وبوصلتها إلى مستقبلها.

إن الأمة التي تجهل تاريخها، أو تتركه عرضةً للتزييف والتشويه، تفقد قدرتها على قراءة واقعها قراءة صحيحة، والتاريخ ليس سردًا للحوادث، ولا حشدًا للأسماء والتواريخ، بل هو فهمٌ لمسارٍ ممتد، تتداخل فيه العوامل السياسية، والاجتماعية، والدينية، والاقتصادية، فتتشكل منه هوية الجماعة ووعيها الجمعي، من هنا، فإن كتابة التاريخ واجبٌ أخلاقي قبل أن تكون عملًا معرفيًا، لا بد أن يُكتب بلا تظليل، ولا بإسقاط ظلال الأهواء على الوقائع، فالحقائق لا تُخدم بالمبالغة، كما لا تُصحح بالتقليل، وكثيرًا ما وجدنا من يحاول تشويه تاريخ هذه المنطقة؛ إما بدافع خصومة فكرية، أو خدمةً لأجندات خارجية، أو استجابةً لمرضٍ في النفس يأنس بهدم ما لا يستطيع بناءه.

لقد عاشت جزيرة العرب قرونًا طويلة في حالٍ من التفرق السياسي والاضطراب الأمني، ولم تكن الدولة المركزية حاضرةً حضورًا مؤثرًا، فتوزعت السلطة بين قوى محلية، وتفاوتت أحوال الاستقرار من إقليمٍ إلى آخر، وفي ظل هذا الواقع، نشأت أنماط معيشية فرضتها البيئة والظروف، وكان من بينها ما عُرف بالغزو أو الكسب، وهو سلوك ارتبط بغياب السلطة الجامعة، لا بطبيعةٍ فطرية في الناس.

إن قيام الدولة في أي مجتمع يمثل لحظة تحوّل كبرى؛ إذ تنتقل الجماعة من حال التنازع إلى حال التنظيم، ومن منطق القوة الفردية إلى منطق النظام العام، وفي هذا السياق، كان قيام الدولة السعودية حدثًا مفصليًا في تاريخ الجزيرة العربية، فسعت إلى توحيد أجزاء واسعة من البلاد تحت سلطة مركزية، واتخذت الشريعة الإسلامية مرجعًا ومنهجًا للحكم، فكان في ذلك عنصر ضبطٍ واستقرارٍ أسهم في إنهاء مراحل طويلة من الاضطراب، ولا يعني هذا أن التحول كان خاليًا من التحديات، أو أن الواقع تبدّل في ليلةٍ وضحاها؛ فبناء الدول عملية تراكمية، تتطلب صبرًا، ومواجهةً للمعوقات، وترسيخًا لمفاهيم النظام والولاء العام، بيد أن الأثر العام

لهذا التحول كان واضحًا في إعادة تشكيل البنية السياسية والاجتماعية للجزيرة، وتهيئة أرضيةٍ أكثر استقرارًا لنشوء مجتمعٍ منظم، أما القبائل — **ومنها قبيلة الرشايدة** — فقد كانت جزءًا من هذا السياق التاريخي العام، عاشت ما عاشته بقية قبائل الجزيرة من ظروف بيئية قاسية، وتقلّبات سياسية، وتحولات اقتصادية، ومع قيام الدولة واستقرار الحكم، دخلت القبائل في مرحلة جديدة أعادت تعريف العلاقة بين الفرد والجماعة، وبين الجماعة والدولة، ضمن إطارٍ أوسع من الانضباط والنظام.

إن هذا الكتاب لا يسعى إلى تمجيدٍ مجرد، ولا إلى نقدٍ مجرد، بل إلى قراءةٍ متوازنة تسعى لفهم الوقائع في سياقها، وتفكيك المرويات، وتمييز الثابت من المتحوّل، فالتاريخ حين يُكتب بوعيٍ ومسؤولية، يتحول من عبءٍ على الذاكرة إلى طاقةٍ دافعة نحو المستقبل، وبهذا الوعي نبدأ؛ إيمانًا بأن الأمم التي تُحسن قراءة ماضيها، أقدر على صناعة غدها.

الرشايدة والقبائل

كانت القبائل في جزيرة العرب تعيش ضمن شبكةٍ معقّدة من التحالفات؛ منها ما هو مؤقت تفرضه الحاجة، ومنها ما هو دائم تؤسسه المصاهرة والمصلحة المشتركة، ترى قبائل متجاورة يتنازع بعضها بعضًا، وقد يقع القتل، ثم لا تلبث أن تنعقد بين أطرافها صلات جوارٍ أو نصرةٍ في موقفٍ آخر، قد يكون القوم أعداء اليوم، وأنصار الغد، وجيرانًا تجمعهم حرمة الدار وواجب النجدة، كانت الأخلاق العربية من كرمٍ، وحماية جوارٍ، وإغاثة ملهوف حاضرةً بقوة، غير أن البيئة السياسية كانت ممزقة بفعل غياب السلطة الجامعة، وضعف المعرفة المنهجية بالتاريخ، وتفاوت الوعي الديني بين الناس، ضمن هذا السياق العام، كانت قبيلة الرشايدة شأنها شأن مجتمعها؛ تتأثر بظروف البيئة وتتحرك في إطارها، وقد أسهمت الهجرات، والتنقلات التي عرفتها القبيلة في تقليل كثافتها العددية في بعض مناطق نجد والحجاز خاصة إذا ما قورنت بقبائل كبيرة العدد في تلك المرحلة.

تمركز الرشايدة في حرة بني رشيد وسهولها، وهي منطقة بركانية واسعة ضمن نطاق الحرات في غرب الجزيرة، وتشير بعض الروايات المحلية إلى أن عددهم في تلك المرحلة لم يكن كبيرًا، وربما لم يتجاوز بضعة آلاف، وبالمقاييس القبلية السائدة آنذاك، كان هذا عددًا محدودًا قياسًا بقبائل ذات كثافة بشرية أعلى ومع ذلك، فإن قلة العدد لم تعنِ ضعف الحضور، فقد عُرفوا بالتماسك الداخلي، والمحافظة على ديارهم، والالتزام بأعراف الحماية والدفاع، وكانت حدودهم الجغرافية — التي يُقدَّر امتدادها بعشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة — موضع احترامٍ في محيطٍ قبليٍّ شديد الحساسية لمسألة الأرض والنفوذ، جاورت الرشايدة قبائل كبيرة مثل:

-شمـر

-عنـزة

-مطير

-حـرب

-بلي

-جهينة

وكان التعايش مع هذه القوى القبلية يتطلب قدرًا عاليًا من الحنكة السياسية، وحسن إدارة التحالفات، والقدرة على الدفاع عند الحاجة، وقد أسهم بروز عددٍ من الشيوخ ذوي السمعة والنفوذ في تثبيت مكانة القبيلة في محيطها، وترسيخ احترام حدودها، ومن هؤلاء:

ابن براك، وابن غضوى، وابن شميلان، والجحيش، والرفادن، وابن سمرة، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم تفصيلًا في مواضعهم.

إن قراءة هذه المرحلة لا ينبغي أن تكون بمنطق المقارنة العددية وحدها، بل بفهم ميزان القوة في سياقه، التماسك، السمعة، وضبط العلاقة مع الجوار، فالتاريخ القبلي في الجزيرة لم يكن تحكمه الكثرة فقط، بل تحكمه كذلك المكانة، والقدرة على بناء التحالف، وحسن إدارة النزاع.



حدود أراضي القبائل في جزيرة العرب، ويبدوا ما تبقى من أراضي قبيلة الرشايدة في القرن الثالث عشرة هجري (1800م)، حيث كانت قبل هجرتهم أكبر من ذلك

الدولة

شهدت جزيرة العرب في القرن الثاني عشر الهجري (1700م) تحوّلًا سياسيًا، وأمنيًا، واضحًا مع قيام الدولة السعودية الأولى، ثم تجدد ذلك في عهد الدولة السعودية الثانية، وقد انعكس هذا التحول على أحوال السكان؛ فخفت حدّة النزاعات، وتراجع نمط الغزو الذي كان يتغذّى على غياب السلطة الجامعة، قامت الدولة الأولى في الدرعية، وامتد نفوذها في أجزاء واسعة من الجزيرة، ومع اتساع السلطة المركزية، وتطبيق الشريعة مرجعًا للحكم، ظهر أثر ذلك في ضبط الأمن، وتنظيم الشأن العام، ويلاحظ قارئ الوقائع أن كثيرًا من حوادث الاقتتال القبلي كانت تتفاقم في الفترات التي تضعف فيها قبضة الدولة أو تنعدم، وعندما أرسل محمد علي باشا حملته بقيادة ابنه إبراهيم باشا، انتهت الدولة الأولى بسقوط الدرعية سنة 1233هـ/1818م، فعادت مناطق عدة إلى حالٍ من الاضطراب، وعادت النزاعات القبلية في معظم الأقاليم، وهو نمط يتكرر تاريخيًا كلما غابت السلطة المركزية، ومن ملامح الأمن في عهد الدولة الأولى ما أورده المؤرخ **عثمان بن بشر** في كتابه - **عنوان المجد في تاريخ نجد** - إذ نقل عن الشيخ عثمان بن منصور قصةً تدل على سعة الأمن، حيث ذكر:

إن رجالًا من سُراق الأعراب في عهد الإمام الصالح الحازم عبد العزيز آل سعود، وجدوا عنزًا ضالة في رمال السر في نجد، وهم جياع، أخبرني أنهم قد أقاموا يومين أو ثلاثة مقوين (لم يأكلوا شيئًا عند عامة نجد) فقال بعضهم لبعض :

لينزل أحدكم على هذه العنزة فيذبحها لنا لنأكلها.

فكل منهم كان يقول لصاحبه:

انزل إليها.

فلم يستطع أحد منهم النزول خوفًا من العاقبة على الفاعل، فألحوا على رجل منهم فقال :

والله لا أنزل إليها، ودعوها فإن عبد العزيز يراها.

تحولات الحكم وأثرها في تاريخ قبيلة الرشايدة

عاش الرشايدة كسائر قبائل نجد والحجاز حالةً من الاستقرار النسبي في ظل الدولة السعودية الأولى؛ إذ كانت السلطة المركزية تضبط مسارات النزاع، وتحدّ من الغزو، وتفرض مرجعيةً عليا في الخصومات، ومع سقوطها سنة 1233هـ/1818م عادت أنماط التنازع إلى الظهور في بعض الأقاليم، وتجددت الغارات تبعًا لاختلال ميزان السلطة، ومع قيام الدولة السعودية الثانية واستقرار الحكم في الرياض، عاد قدرٌ من الأمن، وانعكس ذلك على القبائل، فهدأت الأحوال نسبيًا، وانتظمت العلاقة بين القبيلة والدولة ضمن إطارٍ أوضح، إلا أن المشهد تبدّل حين تصاعد نفوذ آل رشيد في حائل، وتغلبوا على الدولة السعودية الثانية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري(1891م)، فقد برز نفوذ **محمد بن عبدالله الرشيد** حاكم حائل، واتسع تأثيره في نجد، وأفضت تحولات السلطة إلى اضطرابٍ في بعض البيئات القبلية، إذ لم تقبل جميع القبائل بالخضوع للنظام الجديد على السواء، فتباينت المواقف بين مبايعةٍ ومعارضة، وظهر أثر ذلك في عودة التوتر في بعض المناطق.

إن هذا التقلّب يؤكد قاعدةً تاريخية واضحة:

أن استقرار القبائل في الجزيرة كان مرتبطًا بوجود سلطةٍ مركزيةٍ مقبولةٍ وقادرةٍ على فرض النظام، فإذا توفرت، انحسر الغزو وهدأت النزاعات؛ وإذا ضعفت أو تبدلت فجأة، عاد الاضطراب ليطلّ برأسه، وفي هذا الإطار تُفهم تجربة الرشايدة، لا بوصفها حالةً معزولة، بل جزءًا من حركةٍ أوسع شهدتها الجزيرة في تلك المرحلة.

عين الصوينع

تقع عين الصوينع في منطقة السر من إقليم القصيم، وهي قريبة من طرفية السر، ضمن النطاق الجغرافي المعروف بامتداده الصحراوي، وأوديته الموسمية، ومواضع آباره القديمة، وقد ارتبط اسم العين بأسرة الصوينع من العونة من قبيلة الرشايدة، إذ عُرفت بإقامتهم فيها زمنًا مبكرًا، وتشير الروايات المحلية إلى أن نزولهم في هذا الموضع كان في القرن الحادي عشر الهجري (1600م).

علي الصوينع

عند مرور إبراهيم باشا بعين الصوينع بعد أن دمر الدرعية سنة 1233هـ/1818م، تُورِد بعض الروايات المحلية أنه نزل بالموضع، وتزوج من موضي بنت علي الصوينع، وأقام مدةً ثم ارتحل، وتركها عند أهلها وهي حبلى فقالت فيه:

أنا كحلي تخرب وكل كحله بعيونه

ألا يا عشيري غرب حط الشينيه دونه

بطنه نديف مظرب و القطن أبيض لونه.

أنجبت موضي بنت علي الصوينع بنتًا من إبراهيم باشا، وبعد اعلامه بها ظلّ يبعث إليها كل عام بجملين أو أكثر محمّلين بالمال والزاد، فكان لذلك أثرٌ ظاهر في تحسّن حال الأسرة المادي، ومع ما آل إليهم من ميراث والدها، تعزّز وضع العائلة الاقتصادي، حتى غدت من الأسر الميسورة في موضعها، ومن مقتنياتهم التي تناقل الناس ذكرها صحنٌ نحاسي كبير جدًا، اشتهر باسم «**الجنيفه**»، وصار علامةً على السعة والوجاهة، إذ كانت الأواني الكبيرة في ذلك الزمن دليل كرمٍ وقدرةٍ على إطعام الجمع الكثير.

ناصر القنور

توفيت ابنة إبراهيم باشا، فعاشت أمها موضي بنت علي الصوينع ما كتب الله لها، ثم تزوجت ناصر القنور العوني الرشيدي، فأنجبت منه **عليًّا**، نشأ علي في بيتٍ عرف السعة والجاه، فزاد عليهما خُلُقًا وسخاءً حتى تجاوز ذكره حدود السر إلى سائر نجد، عُرف بإطعام الضيف، وبذل المعروف، وإكرام العابر قبل المقيم، حتى لُقّب بـ **كريم نجد**، وسمّاه الناس **راعي الجنيفه** نسبةً إلى الصحن الكبير الذي كان يُعدّ فيه الطعام للجماعات، كما عُرف بـ **منادي بالعشاء**، إذ كان يُنادى بالطعام فيُدعى إليه القريب والبعيد، وسيرد ذكره مفصلًا في فصلٍ خاص، تُستعرض فيه مآثره، ومكانته بين أهل زمانه، وكيف غدا اسمه عَلَمًا على الكرم في بيئته.

نورة الحوشان

نورة الحوشان الصوينع الرشيدي شاعرةٌ من بيئة نجد، خُلّدت في الذاكرة الشعبية بأبياتٍ تناقلتها الأجيال، لما حملته من صدق العاطفة وقوة العبارة، وقد اشتهرت قصتها مع زوجها الأول الذي طلّقها ثلاثًا، ثم أراد مراجعتها بعد فوات الأمر، فكان جوابها شعرًا صار مثلًا في الكرامة وعزة النفس، فقال:

يا من لقلب حب نورة تغشلاه يومي به أو ماي الهوا بالشراعِ
إن نمت عندي وان تنبهت ما ألقاه ما أسج عن طرياه لو كان واعي
قلبي دوى به داه ما يسمع إنداه إلى سمع من ينهاه طقه جلاعِ
عليك يا اللي كن واضح ثناياه يردى قنوف يوم هل النواعِ
يا من يعرف السحر هو وين مجناه هو حب ولا ولف ولا انهزاعِ.

بعد أن ارتحلت نورة مع أهلها، ومرّت بأرض زوجها الأول، هاجت بها الذكرى، فأنشدت أبياتًا أصبحت من أشهر ما تناقله الناس في نجد، لما فيها من لوعةٍ ممزوجة بعزة نفس:

يا عين هلي صافي الدمع هليه وإلى قضى صافيه هاتي سريبه
ياعين شوفي زرع خلك وراعيه هذي معاويده وهذي قليبه
البارحة لا مال رايه نماليه واليوم جيتهم علينا صعيبة
إن مرني بالدرب مقدر أحاكيه مصيبة ياكبرها من مصيبة
اللي يبينا عيت النفس تبغيه واللي نبيه عيا البخت لا يجيبه.

شاعرات من قبيلة الرشايدة

لم يكن الشعر يومًا حكرًا على الرجال؛ فقد عرفت قبيلة الرشايدة شاعراتٍ امتلكن ناصية القول، وعبّرن عن مشاعرهن بلغةٍ جزلة لا تقل قوةً عن شعر الرجال، غير أن العرف الاجتماعي السائد كان يميل إلى كتمان شعر النساء، فلا يُتداول في مجالس العامة، ولا يُقرن بأسمائهن صراحةً، صونًا لهن وغيرةً عليهن، وحفاظًا على خصوصية الأسرة، لذلك بقي جانبٌ واسع من

شعرهن حبيس البيوت والصدور، لا يتناقله الناس إلا في نطاقٍ ضيق، ومع تطور وسائل النشر وظهور الصحف والمجلات، خرجت بعض الأبيات إلى العلن، فظهر طرفٌ من ذلك التراث الذي ظل زمنًا طويلًا مستورًا.

وضحى الرشيدي

سمعت الشاعرة وضحى الرشيدي(1911م) الشاعر ابن سعيد الدغيرات الشمري يمتدح أفعال قومه ويعدد مآثرهم، فهاجت غيرتها على قومها، وقالت مجيبةً ومفاخرة:

يا راكب حمراء تجيبه تخاضيب جدعية قطع الفيافي مناها

الصبح مدت من زباير زواقيب والعصر في رمان ثنو عضاها

تلفي بيوت معيشة هافي الذيب مقلط للضيف غالي قراها

حنا لنا مثله إناح الأجانيب وننزل لزينات العشاير مناها

نتلى عقيد في هوى شمخ النيب ترعى وصنعات اليماني وراها,

عامرة المضيبرية

لها أبيات شهيرة وهي :

عيني بها هزمٍ من الناس ما شوف وإن شافت الغالي تطلق نظرها

نفسي بها عن هرجة الناس عاصوف ولا الله على غير الحبيب سخرها

قلبي كما عشبة نفودٍ بشفشوف صلّب عليها القيظ وأفخت مطرها.

كذلك أبيات للشاعرة غالية الرشيدية سنتطرق لها فيما سيأتي من صفحات.

الدولة السعودية الثانية

ظلّ الأمن قائمًا في عهد الدولة السعودية الثانية في الأقاليم التي طالها نفوذها، فاستقرّت الأحوال نسبيًا، وانضبطت حركة القبائل ضمن إطار السلطة المركزية، وكانت بعض أراضي الرشايدة ولا سيما في عالية نجد داخلةً في نطاق الدولة، مما جعل العلاقة بينها وبين الحكم قائمة على الطاعة المتبادلة وتنظيم الشأن العام، وفي تلك المرحلة كان محمد بن عبدالله الرشيد واليًا على حائل من قبل الدولة، قبل أن يستقلّ بالأمر لاحقًا، وقد عُرفت علاقته بالرشايدة بالمتانة، خاصةً مع شيوخٍ لهم مكانتهم في قبيلتهم، مثل قاسم بن براك، ورشيد بن غضوى، إذ قامت الصلات على المصالح المشتركة، وتثبيت الأمن في المنطقة، وضبط طرق السير والمراعي.



رشيد بن غضوى

كان رشيد بن رشدان من العمامير أحد شيوخ بني رشيد المعدودين، وزعيم المهيمزات في زمانه، وكانت بيوت المهيمزات وزعامتها تدور في ثلاثة بيوت مشهورة: بيت النميان، وبيت العمار، وبيت الزعاترة.

-نسبته إلى أمه (**غضوى**)

اشتهر بلقب ابن غضوى نسبةً إلى أمه، ذلك أن والده رشدان كان له نخلٌ في خيبر مع شريكٍ من قبيلة عنزة، فلما ابتدأت حملة إبراهيم باشا على الدرعية، وسادت الفوضى البلاد، اعتدى الشريك العنزي مع جماعته على رشدان فقتلوه طمعًا، وتمكنت غضوى من الفرار بأبنائها الصغار: **رشيد، ومرشد، وراشد،** إلى أهلها **العمامير**، فغلب عليهم منذئذٍ لقب أبناء غضوى، نشأ الأبناء، وبرز رشيد بجرأةٍ وقيادة، وتمكن مع إخوته من الثأر لوالدهم، والاقتصاص من قاتله.

-العمامير وتفرعاتهم:

تزعم رشيد العمامير، وهم فرعٌ كبير من المهيمزات، وكانوا يمثلون آنذاك:

-عمار

-عمير (الدناهره)

-عامر (المعيوفات)

ويُطلق عليهم مجتمعين «**العمامير**»، ثم تكاثروا في الأزمنة اللاحقة، فبرز كل فرع باسمه؛ فاشتهر الدناهره، والمعيوفات، وبقي أبناء عمار على اسمهم القديم «العمامير»، وكان لهم حضورٌ في ميادين القتال، وشيوخ وفرسان عُرفوا بالصيت والنجدة.

-موقفه في الثأر وحماية قومه.

اشتد ذكر **رشيد بن غضوى** حين ثأر لأربعةٍ من الدناهرة قُتلوا غدرًا وهم عائدون إلى أهلهم، فنهض للأخذ بثأرهم، وتمكن من الاقتصاص من المعتدين، مما عزز مكانته بين قومه، وأظهر شدته في حماية الحمى وصيانة الدم.

وللدناهرة مشيخةٌ برزت إبان توحيد المملكة على يد **الملك عبدالعزيز آل سعود،** وتمثّلت هذه المشيخة في **مرزوق ومريزيق،** ابني ثامر الدنهري، ومن أبرز شيوخ الدناهرة في وقتنا الحاضر، سنة 1447هـ، الشيخ محيا بن مريزيق، الملقب **بأخو العيال.**

-علاقة رشيد بن غضوى بقيام الدولة السعودية الثانية.

واكب رشيد بن غضوى قيام الدولة السعودية الثانية، فكان مزكّيًا لأنعام البادية حول حائل، وهو منصب ذو وزنٍ كبير في مجتمع البادية آنذاك، إذ كان المُزكي مسؤولا عن تنظيم الرعي، ومراقبته، وتقدير الأنعام، وحل ما ينشأ من نزاعات قبلية، الأمر الذي يدل على مكانته وقتها وثقة الناس به وحسن تقديره.

كما كانت له صلة وثيقة بـ **محمد بن عبدالله الرشيد**، إذ طلب منه السماح للمهيمزات والرشايدة الذين معهم بالرعي في سهول حائل، فأذن له بذلك رغم اعتراض بعض رجال شمر، فقال شاعرهم **دبجان الحسيني الخرصي** قصيدة يعاتب فيها محمد الرشيد على هذا الإذن، كما ورد في كتاب - **العرب الأواخر** - (للصويان، ص83)، في إشارةٍ إلى حساسية المراعي والنفوذ بين القبائل آنذاك.

لصرت بالضلع الطويل المنيفِ فكر يمينك راع بالعين غربيه

واديرتي عنه مخايم شريفِ أوعسكر لشيخ الأغاوات مرضيه
سِقبه لقالوا جنابه مريفِ الناس به سايلات مغانيه

تنابا عين القوي والضعيفِ ولا يجز الأجناب تنزل حوليه

والمال يرعى بركونه طفيفِ والماء قراح بس بوع مداليه

مير خليت ابن غضوى بها يا حليفِ وخليت طرشهم ... يدهم سواقيه

صار النخل مثل الشجر بالسقيفِ قلّت حلاته يوم كثرت دعاويه

مِلا غدا للحكم مثل الكفيفِ هذاك يا صبيان ينحر جوانيه

وليا احترك يأتيه مثل الضعيفِ ياخذ حلاله ثم تقوى محاكيه

وداعتك للشمري لا تعيفِ وافطن ليوم فات كان أنت ناسيه

يوم الصفا عليه مثل النزيفِ وأبوك ينخى مادهج من قوانيه

تر عشرة الاجناب مثل الخسيفِ لو هو ضحك بالزين فالشين مخفيه.

وقعت وفاة رشيد بن غضوى في حادثةٍ بقيت عالقةً في ذاكرة البادية، لما أحاط بها من ملابساتٍ وروايات، كان يومها يزكّي أنعام البادية في نواحي حائل، وهو منصبٌ يتطلب الحزم والمتابعة الدقيقة، تأخر أحد الرجال عن السير؛ فقيل إنه من حرب، وقيل إنه غضوري،

فاستحثّه رشيد بعصاه فضربه على ظهره ليعجّل الخطى، كان رشيد طويل القامة، حسن الهيئة، مهاب الجانب.

مضى الرجل قليلًا ثم جلس، وأخذ عصًا كانت معه، وأشار بها نحو رشيد كأنه يصوّب بندقية، وقال:

"يا الله عساها برشيد."

وفي تلك اللحظة كان أحد الجمال قريبًا منه يريد أن يبرك، فلما برك اندفع شداد الجمل فأصاب ظهر رشيد إصابةً قاتلة، فسقط ميتًا من ساعته، وقيل في بعض القول إن الرجل «**بندقَه**»؛ وهي لفظةٌ دارجة في لسان البادية آنذاك تُستعمل للدلالة على الإصابة بالعين.

وقد قُدّر وقوع الحادثة في حدود سنة 1285هـ / 1868م تقريبًا.

نخيل الرشايدة

يذكر الباحث **عبدالرحمن بن خلف الشويلعي** في بحث له عن ثروات قبيلة الرشايدة قائلا:

تملك قبيلة بني رشيد الكثير من النخيل في عدة واحات في أطراف الحرة، وأشهر هذه الواحات، واحة الحايط، وواحة الحويط، وواحة السرير، ووادي الغرس، وغيرها، وبني رشيد قبيلة بدوية مرتحلة لا تتعاطى الزراعة، وكانوا لا ينزلون عند نخيلهم إلا في فصل الصيف وقت جداد النخل، ويسمون نزولهم هذا حضير، فيضربون بيوت الشعر بالقرب من نخيلهم، ويقيمون هناك ثلاثة أشهر يجدون فيها نخيلهم، ويجففون تمورهم في أحواش صغيرة دائرية الشكل تسمى مرابد، فكان كل صاحب نخل له مربد يجفف فيه تموره، أما الذين يهتمون بنخيلهم من سقاية، وتوبير إلخ... طيلة السنة في أثناء غياب بني رشيد في البادية، أناس من سكان واحةِ الحايط والحويط، مقابل أجرة يتفقون عليها، وغالباً ما تكون عذق واحد من كل نخلة، وقبيلة بني رشيد تملك أغلب نخيل الحايط، والحويط من غير أن يكونوا من سكان الواحتين المستقرين ببيوت طينية.

خيبر

كأي بلدة عريقة، لها ضواحي كثيرة، سكانها مزيجاً بين الحضر، والبدو، فالسكان الذين لهم الشهرة، والاسم، هما قبيلتا **عنزة والرشايدة،** فالأولى تملك جل نخيل خيبر، وتمتد ديارها من جنوب خيبر إلى الجناب، وتيماء ثم مشرقة إلى قرب حائل، والثانية تمتد ديارها من شمال المدينة شاملة جل الحرار، حيث لها الصلصلة، والبحرة، مارة شرقي نخيل خيبر إلى جبل جرس، ثم شمالاً شرقياً إلى حرة ضرغط، مائلة شرقاً على فروع واد الرمة، ولها هناك الحائط والحويط*.

(رحلات في بلاد العرب ص ٢٣)*

محمد النجومي

محمد النجومي دَلال خيبر، كان الرشايدة لا يتعاملون إلا معه، سكن المستشرق شارلز داوتي خيبر فذكر:

حضر خيبر بعض بني رشيد ليبيعوا في القرية شيئا من زبدهم، كان عبد الله السروان قد تخيل أن بوسعه أن يأكل من ذلك الزبد الحلو، الذي يصنعه هؤلاء البدو الرحل، دون أن يدفع ثمناً لما يأكله من ذلك الزبد، أصدر عبد الله السروان أمرا للعجيل بتحذير بني رشيد من إحضار الزبد.

عندما وصل بني رشيد، أرسل عبد الله عبده الأسود سرور، ليطلب شيئا من الزبد للحاكم، وإلا سوف أفرض ضريبة على كل الزبد، الذي سوف يمر عليّ من خلال بوابة القرية، وسوف أحصل لنفسي نيابة عن الدولة على قطعة واحدة عن كل ثماني قطع من الزبدة، وعندما سمع البدو ذلك الخبر حملوا أشياءهم على دوابهم، وعادوا أدراجهم، وهم يقولون :

والله لن يعودن إلى خيبر بعد اليوم.

جلس القرويون على مقاعد الشوارع، ونظراتهم شاردة، وهنا انبرى النجومي من بينهم وهو يقول:

هذا هو الجحش الذين أرسلوه إلينا ليحكم خيبر بهذا السوء.

وأنا أتساءل؟ من هم الأعراب الذين لن يأتوا إلى خيبر بعد اليوم، من أين سيحصل الناس بعد اليوم على السمن والجبن؟ ولكنهم سيتعين عليهم اليوم أن يأكلوا خبزهم يدتهم حاف اي (بدون صلصة)*.

(ترحال في صحراء الجزيرة العربية)*

النزهه

يذكر الباحث عبدالرحمن بن خلف الشويلعي:

(لقبيلة بني رشيد في شرق المدينة المنورة وجود في الحرة الشرقية، في القسم المنسوب إليها **زرب بني رشيد**، فقد كانوا يقيمون في هذا القسم من الحرة، ويتاجرون مع أهل المدينة، ثم صار لهم حوشان داخل المدينة المنورة، يبيعون فيهما، ويتاجرون مع أهل المدينة، وغيرهم كالحجاج والزوار، والحوش برحة كبيرة تحيط بها المنازل، والدكاكين، ولها مدخل وباب، وللأسف قد اندثرت معالمهم في هذه الناحية، التي صارت من عمران وأحياء المدينة المنورة، وكان لهم في خيبر، والمدينة دلالين يبيعون بضائعهم بالنيابة عنهم، وكان دلاليهم في المدينة المنورة من **عائلة النزهة** الكريمة، وأخرهم **غازي النزهة** في عام 1380هـ - 1961م).

قُلت:

حفظت عائلة النزهة الودّ لقبيلة الرشايدة، كما قابلهم الرشايدة بوفاءٍ مماثل جيلًا بعد جيل، قامت العلاقة بينهم على الاحترام المتبادل، وحسن الجوار، ونصرة الموقف عند الحاجة، حتى غدت صلةً راسخة تتجاوز المصالح العارضة إلى تقديرٍ دائم، ولآل النزهة مكانةٌ ومحبة في قلوب الرشايدة، ما زالت حاضرةً في الذاكرة، تُستعاد عند ذكر المواقف النبيلة، وتُسطَّر في صفحات الوفاء، فالعلاقات التي تُبنى على الشهامة والصدق لا تنقطع بتقادم السنين، بل تزداد ثباتًا كلما تعاقبت الأجيال.

حاطب العطيفه

بوفاة فيصل بن تركي آل سعود سنة 1282هـ/1865م، دبّ الخلاف على الحكم بين أبنائه، واشتدّ النزاع في نجد، حتى كشّرت الفتنة عن أنيابها، واندلعت جولات قتالٍ بين الإخوة، فتصدّع كيان الدولة السعودية الثانية، واضطربت الأقاليم تبعًا لذلك، وفي سياق تلك الاضطرابات، وقعت معركة **الجزعة**، حيث قُتل **حاطب بن مقبل العطيفة العوني الرشيدي**، وكان قائدًا لسريةٍ في المعركة، وبرفقته ابنه عويد، وابن عمه فلاح بن صقر.

فهد الرشيدي

لا يُعرف إلا اسمه، وهو من رجال محمد بن رشيد، كان شاعرًا وسيمًا، شجاعًا، وقنّاصًا ماهرًا، جُلِد بسبب تغزّل النساء فيه، فقالت إحداهن بعد أن جُلِد، وكانت تسمع بذكره ولم تره:

قلبي اليا قالوا فهد يجلدونـــه ياتقل يجلد لاهج الديد فهـــاد
ما تحتمل عوج الرطايب متونه ولو هو ضخيم يحمل الجلد وش عاد
اللي كما روب المعيدي سنونه بالذكر وإلا ماعرفت ابن الأجواد.

استعمله محمد بن عبدالله الرشيد في إيصال الرسائل إلى الجهات الخطرة، فكان يبلغها ويعود سالمًا، مما أثار غيرةً وحسدًا في نفوس من حول الحاكم، فأخذوا يُصغّرون شأنه في عينه ويقبحونه لديه، حتى بعثه يومًا إلى وجهةٍ بعيدة يُراد بها هلاكه، وأعطاه ناقةً تجفل من أدنى شيء.

عاد فهد بعد أن أوصل الرسالة، وفي طريق رجوعه رأى ظبيًا فرماه فقتله، فنزل عن ناقته بعدما عقلها، ومضى ليحمل الصيد، وكان ذلك في قيظ الصيف، فلما حمل الظبي وعاد، رأت الناقة قرونه على رأسه ففزعت، فقطعت عقالها وشردت، رأى فهد ناقته تهرب بالماء والزاد والمكاتيب، فعلم أن هلاكه محقق إن مضت، فألقى الظبي، وصوّب بندقيته نحوها فقتلها، أخذ المكاتيب وقِربة الماء، ومضى على قدميه؛ يكمن نهارًا ويسري ليلًا حتى بلغ حائل.

فلما سأله ابن رشيد عن ناقته قال:

عزي لمن مثلي ذلوله تخليه أقفت كما الربدا وأنا أركض بأثرها
بسهلة ما ترجي الزول ياتيه إلا ولا يرجى الروى من مطرها
قعدت له باللي قرار مصقيه لما فرقت بطانها عن نحرها
وراحت تجر الخرج والدم غاشيه لى واحفا رجلي ولا ياجمرها.

عندها عزله محمد بن عبدالله الرشيد، وأبعده عن حائل، متأثرًا بوشاية الوشاة وما بثّوه من قولٍ في مجلسه، فغلبت الكلمة الخبيثة على سابقة البلاء، وانصرف الرجل بعد أن كان موضع ثقةٍ، ومهام جسام.

الشمرية تنخاه

افترست شيبةٌ ابنًا صغيرًا لامرأةٍ من شمر تُدعى سريعة السليطي، وهربت به أمام ناظريها، أخذت الأم تصيح كل يوم، والناس يعظونها بتسليم الأمر لله، وهي تردّ بحرقة:

«ما أسكت إلا لين تذبحون الشيبه.»

ثم قالت قصيدةً تستنجد فيها بالرجال وتستنهض هممهم:

وين السليطي جرح قلبي محيطي — على جنيني شالته شينة الناب
وين الدغيري صار نفعك لغيري — ياحاسبن صيد الغراميل بحساب
وين الرشيدي والبكاء مايفيدي — ياخو ثريا ياحجا كل من هاب
عيّا قدم رجلي بدربي يسيري — ودمعي على الوجنه من الوجد صباب
ومن لامني مثلي لعله عثيري — ويجيه شيب الرضع الديد نهاب
أبكي جنيني مابكيت العشيري — صويبة قلبي من الحزن منصاب.

سارع فهد إلى الجبال يتتبع أثر الشيبة، ومكث أيامًا ولياليَ يترصّد؛ إذ كانت تلك الحيوانات لا تخرج إلا ليلًا وتتحوّط من الصيادين، أخذ يقتل كل ذئبٍ يظفر به، ويبقر بطنه بحثًا عن أثرٍ للصغير، حتى انتهى إلى موضعٍ غلب على ظنه أن الشيبة تختبئ فيه، قعد لها ساعاتٍ لا يتحرك، حتى خرجت من مخبئها، فصوّب بندقيته وأطلق النار عليها فقتلها، ثم شقّ بطنها، فوجد كفّ الطفل، وكان رأسه ملقى أمام جحرها، عاد فهد يحمل الشيبة وما تبقّى من جثمان الطفل إلى سِريعة، فلما وقف بين يديها قال:

سريّعة لا تزعجين الونيني — الشيب قبلك فاجعن غرة أجواد
لومك عليه كان شفته بعيني — لأخذ ثرا يا شمعة البيض فهاد
بخماسين عقبه لكتفي متيني — عوق العنود اليا تنحت بالابعاد.

أصبح لفهد مكانةٌ عند شمر بعد قتله الشيبة، وأخذه بثأر الطفل، فهابوه، وقدّروه، وذات يومٍ كان قاعدًا في مجلسٍ بينهم، فمرّ طائر الحجل قريبًا، فقال أحدهم:

من يصيد الطائر؟

لم يتمّ عبارته حتى كان فهد قد صوّب بندقية الفتيل وأطلقها، فأصاب الحجل من أول رمية، وكانت إصابته موضع إعجاب الحاضرين، غير أن العين أصابته في ذلك اليوم، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى مات، فحزنت عليه أخته ثريا حزنًا شديدًا، وقالت ترثيه:

قالوا كريم وقلت عز العزاز عسى على صيران مذهل مطر صيف

ودموع عيني مثل وصف القزاز هملول وسم يجعف الأرض تجغيف

عليك يا عايق عنود الجوازي يا مدله جاره عن الموت ياحيف

ما أنساه كود طويق ينصى الحجاز وابن رشيد بالعصا يطرد الضيف

وكود الرعيله يركبونه غوازي وصوتي بسلمى يسمعونه هل السيف.

عقلة الصقور

تقع عقلة الصقور شمال غرب العاصمة الرياض، وتتبع إداريًا لمنطقة القصيم، ويخترقها وادي الرمة، أحد أطول أودية الجزيرة العربية، والذي كان على مرّ العصور موردًا مهمًا للماء ومسارًا للتنقل والاستقرار، ويرتبط اسم الموضع بروايةٍ قديمة مفادها أن ثلاثة رجال من الصقور — **من صقور الرشايدة** — حفروا حسوًا (بئرًا سطحية) في بطن الوادي، فثار عليهم غازٌ وهم في قاع الحفرة، فقضى عليهم في حدود سنة 1170هـ / 1757م تقريبًا، ومنذ ذلك الحادث اشتهر الموضع باسم «**عقلة الصقور**»، تخليدًا لذكراهم.

بلادهم

للصقور قريتان معروفتان في القصيم هما سويقة، وأمّ الملح، وتقعان شرق وجنوب أبان الأسمر، وكانت سويقة يتولاها **الشيخ عايش الصقري**، أحد رجال الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فكان له شأنٌ في إدارتهما ورعاية مصالح أهلهما، يحدّهما من الجنوب قبيلة حرب، ويفصل بين الديار وادي الرمة، ومن الغرب المضابرة، ومن الشمال والشمال الشرقي أهالي النبهانية.

صقور الرشايدة

الصقور عشيرة مستقلة في بني رشيد، استقرّ أبناء **مبارك أبا سنون الصقري العنزي** بين الرشايدة، فصاروا منهم مع الأيام؛ لهم ما لهم، وعليهم ما على الأخرون من حقوقٍ وواجبات، ومنهم من نُسب إليه اسم عقلة الصقور، وكان مبارك أبا سنون صاحب صيتٍ مع الفِرَدة من قبيلة حرب، يُعرف بالشجاعة وصدق النجدة، وتُروى عنه قصةٌ أن امرأةً من حرب رغبت أن يغزو ليأتيها بجمل، فقالت وهي تغزل بالمغزل تستنهض همته:

الهجن يا الصقري شمخ نَيهن فوق والحبل ما ياتي على وسوطهن

أرجبلهن يا شوق من تلبس الطوق ريف هجنن بالخلا يمتنن

نبا جمل وإلا فروقن من الذود نملأ الوهك* يا الشيخ بثمانهن.

غزا مبارك وكسب من الإبل، ولم يقسم لرفاقه حتى أخذت المرأة قسمتها.

الشاعرة غالية

غالية بنت أمير الطرفية بويتل بن مسعود العوني الرشيدي، نشأت في زمنٍ اضطربت فيه الأحوال، وجرت على أهلها تقلبات السياسة كما جرت على الدولة في وقتها؛ فتفرّق الناس، وهلك من هلك، ونجا من نجا، حملها خادمهم فرج وهي طفلة، وفرّ بها، واستجار عند أهل قريةٍ آوتهم، كبرت غالية في كنف الغربة، فلما اشتدّ عودها قسا عليها فرج، وألزمها بالأعمال الشاقة، فهاج في صدرها الشعر(1820م)، وقالت تشكو حالها، وتستحضر مجد أهلها:

هنيكم يا أهل القلوب المريحة ومالوم عيني لو جرى دمعها دم

أبكي هلي أهل الدلال المليحة واخواني اللي كل ما قلطوا تم

يا العبد هذي من حكايا الفضيحة خل السهر لي وأنت يا العبد قم نم

من أول آمر وأنت تجيب الذبيحة واليوم يا عبد الخطا صرت لي عم.

الجراب*

قائد الدولة

لقبٌ أطلقه الرشايدة في المدينة المنورة وما حولها على **مزيد بن فرج بن مطيع المهيمزي**، تقديرًا لمكانته ونفوذ كلمته، كان يتولى مسؤوليةً في مركز الحناكية العثماني من قِبل شريف المدينة، فكان له ختمٌ رسمي، وكلمةٌ نافذة في شؤون الإدارة والبادية، وقيل إنه كان رئيس المركز.

عاش في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (1870م)، وهي مرحلة اتسمت بحساسية العلاقة بين الإدارة العثمانية، والقبائل في الحجاز، وقد منح موقعه الإداري مزيدًا مكانةً خاصة بين قومه؛ إذ جمع بين الاعتبار القبلي، والصفة الرسمية، فصار حلقة وصلٍ بين السلطة وأهل البادية، ومقصِدًا في الحاجات والخصومات، ومن هنا جاء اللقب؛ لا باعتباره توصيفًا رسميًا فحسب، بل تعبيرًا عن ثقل حضوره في المنطقة، وهيبته في نفوس من عرفوه.

قال الشاعر المتأخر نايف بن محمد بن حبن العماري :

يالاد مطيع ياهل العز والدين يامجد شامخ يوم يقلب سهلها

أنتم حزام الطيب وأنتم كريمين وأنتم ملاذ الخوف وأنتم ضلالها

وان نشدو عربان والعلم اليقين مزيد نوماس الشجاعه حملها

قائد الدولة على العسر واللين يومٍ للعثمان سلطة دولها





سيف قائد الدولة العبسي (كما يطلق عليه أحفادة) بيد م. بجاد بن شباب الشميلان، يذكر الأحفاد أن هذا السيف يعود لمزيد ابن مطيع ولا زال لديهم.

الفصل الثالث

زمن

اتقاد جمرة العرب

المهاد

انقلب محمد بن عبدالله الرشيد على الدولة السعودية الثانية بعد احتدام الصراع بين حكامها على الحكم، وانتهى الأمر بخروج الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ولجوئه إلى الكويت سنة 1309هـ/1891م، عقب سقوط الرياض، ومع تغيّر ميزان السلطة، بدأ الاضطراب القبلي يتسع، فعادت موجات التمرد، والصراع، والغزو في كثير من الأقاليم، ولم يتمكن آل رشيد من إحكام نجد بالصورة التي عُرفت في عهد الدولة السعودية الثانية؛ فقد كانت البلاد في ظل الحكم السعودي أكثر أمنًا واستقرارًا، بينما استمد آل رشيد جانبًا كبيرًا من قوتهم من سندهم القبلي، ولا سيما من قبيلة **شمر**، إلى جانب توثيق صلتهم بالدولة العثمانية وانضوائهم تحت نفوذها السياسي.

وقد انعكس هذا التحول في طبيعة الحكم، والتحالفات على البيئة القبلية، فأثّر في موازين القوى، وانقسمت الولاءات، وثارت قبائل عدة، ومن بينها قبيلة الرشايدة، وهكذا دخلت نجد مرحلة جديدة من التجاذب بين الولاء القبلي، والشرعية الدينية، والتحالفات الإقليمية، وهي مرحلة تركت أثرًا عميقًا في مسار الجزيرة العربية حتى قيام **الدولة السعودية الثالثة** لاحقًا.

بدأ الصراعات القبلية

عادت جزيرة العرب إلى حالٍ من الاضطراب؛ فلم يُنهِ حكم محمد بن عبدالله الرشيد حالة التنازع في نجد، ولا استقرّ الأمر في الحجاز تحت حكم حسين بن علي الهاشمي، كما أن الوجود العثماني لم ينجح في بسط نظامٍ جامع يطفئ جذوة الصراع بين القوى المحلية، وظلّت الجزيرة تتقلّب بين ولاءاتٍ متبدلة، وتحالفاتٍ متنازعة، حتى بدأ مشروع التوحيد على يد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، الذي استعاد الرياض سنة 1319هـ/1902م، ومضى في مسارٍ طويلٍ من الكفاح السياسي، والعسكري، انتهى بإعلان قيام المملكة العربية السعودية سنة1351هـ/1932م، وباكتمال هذا البنيان، انتقلت الجزيرة من مرحلة التفكك إلى مرحلة الدولة الموحدة، تحت رايةٍ واحدة ومنهجٍ واحد، فاستتبّ الأمن، وانحسر الغزو، واستقرّت القبائل في ظل نظامٍ جامع، **وسنستعرض** في الصفحات القادمة ما جرى على قبيلة الرشايدة خلال الثلاثين عامًا السابقة لانضمامهم إلى مشروع التوحيد، وما شهدته تلك المرحلة من

أحداثٍ وتحولات، حتى دخلوا في كيان الدولة الموحدة، واستقرّوا تحت راية الشرع والنظام أي من **1320هـ** إلى **1350هـ** (**1903م - 1932م**).

العتاد

عاشت القبائل العربية من عصور ما قبل الإسلام حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري (1960م) على نمطٍ معيشيٍّ يقوم على التنقل والارتحال، فكانت ركائبهم الجمال في الأسفار الطويلة، والخيل في الكرّ والفرّ، وتستعمل البغال في بعض البيئات الوعرة، أما عدّتهم في القتال فبدأت بالسيف والدرع والترس، ثم دخلت البنادق في عصور متأخرة، إلى جانب الرمح المعروف في بعض لهجات البادية بـ«**الشلفا**» أو «**الشلتا**».

كان الرشايدة، شأنهم شأن غيرهم من قبائل الجزيرة، يملكون هذه الوسائل ويُحسنون استخدامها، إذ كانت الفروسية والرماية جزءًا من ثقافة البادية ومقاييس الرجولة فيها، وقد أشار عددٌ من المؤرخين، والرحالة، والمستشرقين الذين جابوا نجد والحجاز إلى ما لدى قبيلة الرشايدة من عتادٍ وتنظيمٍ قتالي، ووصفوا ما شاهدوه من مهارةٍ في ركوب الخيل، ودقةٍ في إصابة الهدف، وقوةٍ في الحشد عند النفير.



الخيل

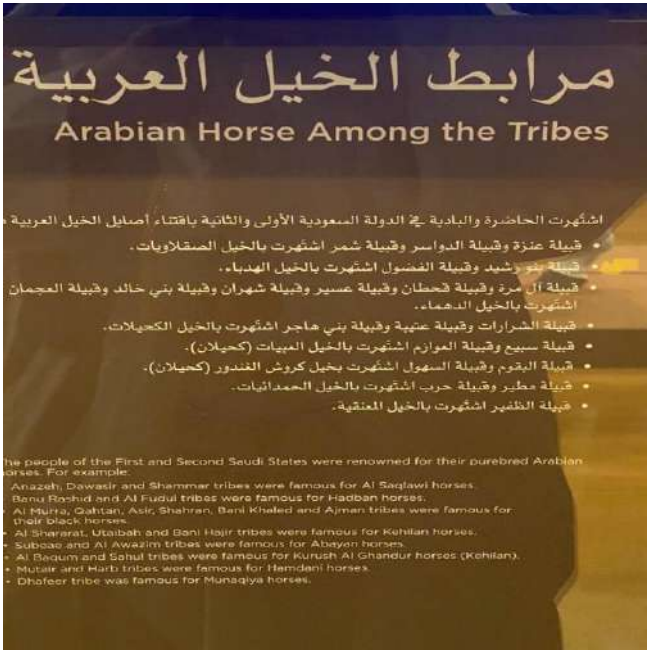
مربط العربيد

امتلك الرشايدة مختلف أنواع الخيل العربية، غير أن السلالة الحمدانية كانت الغالبة بينهم، لما عُرفت به من قوةٍ في العظم، وسعةٍ في الصدر، وثباتٍ في العدو، وهي من السلالات المعتبرة عند أهل الخيل في الجزيرة، ومن أشهر مرابطهم في جزيرة العرب مربط **عربيد العامر الراجحي الرشيدي**، الملقب بـ«**عربيد الخيل**»، وكان قائمًا في إمارة الكويت (1840م) قبل حكم **مبارك الصباح** لها، وقد ذاع صيت مربطه في الجزيرة والعراق، حتى تناقلت القبائل هناك أخبار خيله، وعدّتها من أصفى الأصول وأثبتها نسبًا، وكانت شهرة المربط تقوم على نقاء السلالة، وحسن التربية، وانتقاء الفحول والأفراس، حتى صارت خيله مضرب مثلٍ في الأصالة، يُستشهد بها في مجالس أهل الخيل، ويُطلب نسلها للسباق، والكرّ في ميادين القتال، فقال قائلهم في خيل عربيد:

إن كان عندك سبيب ومعرفه ودها لعربيد وشبها

تجيب لك كحيلا مغندره كأنها تناظر ربها*

المقصود بهذه البيتان أن لو لم يكن تمتلك خيل ولديك بقر، وذهبت بهذه الماشية إلى خيل عربيد لأنتجت لك فرسا أصيلا، وهذا دلالة على أصالة خيله رحمه الله.



أسماء مرابط الخيل العربية في الجزيرة العربية

دارة الملك عبدالعزيز (الرياض)

(الكويت وقبيلة الرشايدة)*

الإبل

يمتلك الرشايدة كذلك من أجود إبل الركوب وأسرعها في البلاد العربية، يقول الرحالة والمؤرخ **ماكس فون أوبنهايم**:

(يمتلك الرشايدة أفضل وأسرع إبل الركوب في البلاد العربية، من البحر المتوسط إلى الخليج)

ويذكر المؤرخ **محمد العبيد** أن الرشايدة - **معروفون بالركائب الأصيلة، سريعة العدو، وربما أنها تجاري الخيل في سرعتها* -.**

كما يذكر الباحث **عبدالرحمن بن خلف الشويلعي** أن الشاعر **سليمان أبو حزام العجمي**، وكان في نجد ثم اغترب في سورية، ظلّ يحنّ إلى نجد ومرابعها، فقال:

الله على اللي مايمل الفديدي
باغي عليه أفارق الدير والزور

أمه ذلول من ركاب الرشيدي
وأبوه عقاب بالصلي مشهور.

وفي قوله:

«أمه ذلول من ركاب الرشيدي»

إشارة واضحة إلى شهرة ركائب الرشايدة وأصالتها، حتى غدت مضربًا للمثل في جودة الركوب وسرعته.

(النجم اللامع في النوادر جامع)*

كذلك يذكر الباحث أن **خلف العواجي** تمنى أن يملك إبلًا عليها وسم الرشايدة، «الكَفّة»، فقال:

أواهني من تبع الجمع خلفات
جيش مع الكفّه عليهن ردوعي.

وقد أجرى الباحث **عبدالرحمن بن خلف الشويلعي** بحثًا موسعًا ومتميزًا عن قبيلة الرشايدة، تناول فيه جوانب متعددة من تاريخها وحياتها، فبحث في الخيول والإبل عندهم، ومعارك القبيلة، وأيامها، وديارها، ونخيلها، وعُقدائها، وعلاقاتها بالدول، والسلطات المتعاقبة، إلى جانب مواقفها وولاءاتها، وتحولاتها عبر مراحل مختلفة، ولم يكن هذا الجهد مجرد جمع للمعلومات المتفرقة، بل هو عملٌ تطلّب **وقتًا طويلًا في التتبع والاستقصاء، وجمع الروايات، ومراجعة الأخبار، وربط الوقائع بسياقاتها التاريخية والجغرافية.**

كما أن تناوله لموضوعات متباينة، من الإبل، والخيول إلى المعارك، والديار، والعلاقات السياسية، يدل على سعة اهتمامه بتاريخ القبيلة وتفاصيل حياتها، وتكمن أهمية هذا العمل في أنه أسهم في جمع مادة واسعة عن الرشايدة كانت متفرقة في مصادر مختلفة، وفي الروايات المتوارثة، والأشعار، والأخبار، ومحاولة ترتيبها وتدوينها لتكون أقرب إلى متناول الباحث والقارئ، ومثل هذه الجهود تحفظ جانبًا من الذاكرة التاريخية، والاجتماعية للقبيلة، ولا سيما أن كثيرًا من تفاصيل تاريخ القبائل ظل متداولًا في الرواية الشفوية، ومعرّضًا للضياع أو الاختلاف بمرور الزمن، وقد جاء بحث الشويلعي **ثمرة اجتهادٍ وعنايةٍ وصبرٍ على البحث والتدوين**، وهو جهد يستحق الإشادة والتقدير، لما اشتمل عليه من مادة متنوعة، وما بذله صاحبه من عناية في تتبع أخبار الرشايدة وتسجيل ما وقف عليه من روايات ومعلومات، ويبقى هذا النوع من الأعمال مادةً مهمة للباحثين، مع ضرورة إخضاع الروايات، والأخبار للمقارنة والتحقيق كلما أمكن، حتى تتكامل الصورة التاريخية وتتضح درجات ثبوتها.

ريمان

يُعدّ الجمل ريمان من أشهر جمال الجزيرة العربية، وقد ذاعت شهرته بين القبائل لما عُرف به من قوةٍ وهيئةٍ ومزايا نادرة، غنِمه **الشيخ سمران ابن سمرة**، ومعه أحد أبناء عمومته من **الفرادسة**، إثر غزوةٍ على قبيلة العطوات، وتذكر الروايات أن العطوات كانوا قد كسبوه من الرشايدة في زمنٍ سابق، وأن أصل ريمان وسلالته تعودان إلى إبل الرشايدة، وهو ما يفسر مكانته، وامتداد أثره بين القبائل.

ظل ريمان في حيازة الذيبة، والفرادسة مدة من الزمن، حتى قام أحد رجال الفرادسة بإعطاء رجل من **العوامرة** جملاً من سلالة ريمان، فكان ذلك سببًا في انتشار هذه السلالة بين الرشايدة، ثم امتدت شهرتها إلى قبائل أخرى، وأصبحت من السلالات المعروفة والمطلوبة.

قال الشاعر **رشيد بن معدي القلادي** في الجمل ريمان :

وبعيرنا ريمان بالأصل مشهور — الباديه والحاضره يعرفونه

يلحق كراديس السبايا بلاجور — وليا أنتحى أهل الخيل مايلحقونه

وخلف لنا ريمات كاصيد مذعور — بنات أصيلٍ بالمهر يمهرونه

راعيه شغمومٍ محنك ومسطور — كم شيخ قومٍ واجه الموت دونه

قبل الصباح وقبل مالبندق تثور — خوفٍ عليه من الرمي يبعدونه

مخصص له فارسٍ ذرب ممرور — فريدسياً بندقه ما تخونه

وليا أعترض صابور في وجه صابور — فرادسه يوم اللقى يحتمونه

وريمان رقم أثنين بالأصل مخبور — بريمان الأول بالعدد يركزونه

أبعير أبو سته ومدهاله القور — أصيل وأصل الجيش له ينسبونه

ينزل من الإكليل لفياض عثمور — والراس الابيض مرتعه في ركونه

من طيب ساسه دونه الدم منثور — عوامره بسيوفهم يمنونه

ريمان لبن غنيم ما فيه منكور بريمان الأول بالعدد يثبتونه
أصيل وكواعه بعيده عن الزور ما تلحقه بالجري كل امعنونه
الفضل لله ثم راعيه مشكور قال الجمل عن عبس لا تمنعونه.

قال أيضا الشاعر المتأخر نايف بن سعيد الذيابي :

يا راكب اللي وسمها وسم ريمان ذلول أصيل وضاريه للخرايم
ركابها فارسٍ يبرا الفرسان عاداتهم كسب الإبل والغنايم
تعرف وسايمهم على كل مقطان بني رشيد أهل الفعل والزعايم
أهل المهار اللي يتلن الأرسان وأهل الجزال ولا تجيب الهلايم
يوم المعارك تروي السيف شمان حماية الإبل يوم حذف العمايم.

يقول الشاعر المتأخر حجاج بن مدله العماري المهيمزي أبيات طويلة في ريمان منها :

ثلاثة عشر ليله قطعها الجمل ريمان على خف من قصر اليمامه ليا مكه
قعودٍ عليه الكفه تهيب العدوان لو انه لحاله بالخلا وسمه يفكه
سلالة نوادر هجن عبس بهاك الازمان قبل ينزل الاسلام بالشرك ويدكه
عليه من اهل سبع البيارق طوال أيمان ثنينٍ عن الماجوب ماجاء بهم لكه.

صغت أبيتا أجاري فيها ما ذكره الشعراء في الجمل ريمان:

يا ريمان يا عزّ السلالات الأصيله يا صكّ السبايا لا لفى يوم الهيابه
تعدّي الفيافي عدّ برقٍ في سحيله وترفع هل العزّه على روس الرهابه
حرٍّ من سلالة عزّها ما هي دخيله من حرّةٍ ترضع مع المجد انتسابه
للرشايده دربك وسومٍ طويله اسمٍ على مرّ السنين اكتسابه
لا هبّ نسناس المعارك قبيله تسبق خطا الريح وتكسر صعابه
يا ما حمل فوق المتون الثقيله ويا ما سبق خيلٍ تعدّت ركابه
إن قلت أصاله قلت أصل القبيله وإن قلت سرعه قلت برقٍ وشهابه.

مواجهات دامية

ذكر المؤرخ محمد العبيد أن الرشايدة بقيادة دليم ابن براك التقوا، بغزو الشيابيين بقيادة مصلح بن مسفر على ماء الرضم، فأخذوا جيش الشيابيين، وسلاحهم ومنعوهم على رواحلهم.*

يذكر المستشرق النمساوي **الويس موسيل** عن دليلة العنزي:

أن الرشايدة غزت بقيادة **صنيتان ابن شميلان**، على ولد سليمان من عنزة عند عرنان، وكسبوا 40 بيتا وأكثر من 600 ناقة*.

عويض المقوعي

طالت غزوات عويض بن سالم المقوعي الرشيدي على عنزة، فأوجعتهم وأغاظتهم، حتى اشتدّ عليهم أمره وضاقوا به ذرعًا، ويُروى أنهم نذروا إن ظفروا به ليذبحنّ سبع نوق، ثم يقتلونه ثأرًا لما كان منه، وبعد ترصّدٍ طويلٍ ومتابعةٍ مرهقة، تمكّنوا من القبض عليه، وكان معه أخوه عويضة، وكان عويض يصف غزوته قبل ذلك فيقول:

مدّن من البيضا حلول الصلاةِ ... يين عنوزٍ نازلينٍ بالامرار

إذّانة المذّن وهن ماشيات ... باكوارهن ركبوا صليبين الأشوار

اسداس بالنيبان ومرمّلاتِ ... وقت الخضار الْهن عن الزمل قهّار

اللي عليهن ما يبون الحياةِ ... لا طالعوا وضحٍ جنبهن على مهار

وضح بدار الحرب ومربّعات ... لاشك هجّوا يوم تالي الدبش نار

ان كان شالقهن عطيب الرماة ... طشّوه بالميدان يوم الدخن ثار

1-(النجم اللامع ص211)*

2-(شمال نجد ص107)*

واقفوا عليهن عاشقين البنات — مع سهلةٍ زيزا بها عَج وغبار

رشايده وقلوبهم صاملات — متعلّمينٍ حشمة الضيف والجار

وان صدّرن من عقلةٍ مقفيات — يفجن غَرات العدو سر وجهار

حنّا وهن تِرْمى علينا الجناة — لاشك مسقين العدو كاس الامرار

ان صاح صيّاح براس الفلاة — لحقوا وكلٍ في يده صنع بيطار

ان حولوا بنحور قوم عصاة — خلّوا جثاياهم على روس الأشجار

ياعد ماضرّبتهن مقعيات — واكثر مد اليهن من الهضب ويسار

فأوفت عنزة بنذرها.

لن نتناول في هذا الكتاب موضوع الغزو وتفاصيله، وإنما سنقتصر على ذكر أبرز، وأكبر معارك الرشايدة، وسنعرضها في الصفحات القادمة عرضًا موثقًا يبيّن أسبابها، ونتائجها، وسياقها التاريخي.

الهمزاني

أشار كارلو جوارماني في كتابه - **شمال نجد** - إلى تميّز الرشايدة بلبس الثياب الزرق، وهي سِمة لافتة سجّلها ضمن مشاهداته في شمال الجزيرة العربية، كما يرد في الشعر النبطي ما يعزز هذا الوصف؛ إذ ينصح الشاعر **عبدالله الهمزاني الشمري** قومه بألا يزرعوا في السهل، خشية هجوم "**أهل الثياب الزرق**"، في إشارةٍ يُفهم منها أنه يقصد الرشايدة، فقال:

يا الربع غراس الشبيكة هبيل — خبل يسطغ بالمهبل ركابه

ما يستوي غرس بلا طين — يا صار ما دونه شناخب هضابه

أخاف من قوم يجونك رهيلي — أهل الثياب الزرق مثل الذيابة

يقول سلف للركايب دليل — وينجرونه في مقادم حرابه*

(العرب الأواخر ص632)*

الإيدا وابن نحيت

تكررت غارات الرشايدة على بعض القبائل المجاورة في مرحلةٍ من تاريخ المنطقة، حتى بلغ الأمر أن قال الشاعر **محمد بن قويطع** أبياتًا يستنهض فيها قبيلة حرب لمواجهتهم، في سياقٍ شعري يعكس طبيعة الصراع القبلي في ذلك الزمن، وما كان يسود من تنافسٍ، وغزوٍ متبادل بين القبائل:

يابو شجاع اللي بك الطيب مذكور — إنشد مناجيبٍ لفوا من بعادي
لا تقصرون العلم عن ساكن الغور — البدو واللي ساكنٍ بالبلادي
ما يستويلك غفلةٍ وأنت مجبور — ما تستريح ولا بتك بالجهادي

يارشيد*ياإبن رشيد ياوفي الشور — زيزوم عيرات النضا بالمعادي
قله ترى الوادي غدى منوة الخور — منوة هراجيف البكار التلادي
وقل له ترى حمضه من الوسم ممطور — بين القبايل صار دونه عنادي
الهم جانا في جموعٍ ومظهور — جانا مع الحرة على المال عادي.

ابن شميلان

رأى حجاب بن نحيت، زعيم بني سالم من قبيلة حرب، أن يضع حدًا لقوة بني رشيد ويكسر شوكتهم، فعقد العزم على مباغتتهم بخطةٍ مزدوجة؛ فأرسل إلى الشيخ الأيداء العنزي ليهجموا عليهم من الغرب، على أن يهجم هو من الشرق، تمّ الاتفاق، وسار ابن نحيت بقومه، ومعه زمعه ابن ربيق من شيوخ بني عمرو من حرب، وابن سعدى شيخ الوهوب من حرب، حتى بلغوا أراضي الرشايدة، ونزلوا في أنبوان، وأمر ببناء بيته هناك، مترقبًا هجوم عنزة بقيادة

(من شيوخ ولد سليم)*

الأيداء، إلا أن الرشايدة لم يمهلوه، فقد أثار بناء البيت في أنبوان مقر **الشيخ قاسم بن براك** حفيظتهم، وعدّوه تحديًا صريحًا، وكان أول من بادر بإطلاق النار طريثيث بن فريح الداموك، متحصنًا في زريبة، فأردى أحد البنّائين قتيلًا، ثم حضر قاسم بن براك وناضي بن مشعل، فأصيبا في المواجهة، وتداعى الرشايدة من كل صوب، ومن بينهم العقداء **ابن شميلان وابن حمد**.

دارت المعركة سريعًا، ومُزّق بيت ابن نحيت قبل أن يكتمل، وتفرّق قومه في الفيافي، تاركين أموالهم وإبلهم، في حين كان الرشايدة منشغلين بملاحقة المنهزمين، أقبل **التمياط** بقومه يريد غزو الرشايدة، فصادف إبل حرب سائرةً بلا حامٍ، فاستولى عليها وعاد من حيث أتى، وفي هذا الحدث قال شاعر الرشايدة أبياتًا يصف فيها الواقعة ونتيجتها:

يا الشمري بيّض الى ما الفيت أخذتها من ذرانا.

انتصر الرشايدة في تلك المعركة التي لم يكونوا يتوقعون اندلاعها بتلك الصورة، فحسموها سريعًا، وغنموا منها أموالًا، وإبلًا، وأرزاقًا، وقد تركت الواقعة أثرًا واضحًا في نفوس القبائل، حتى قال شاعر من حرب أبياتًا يعلّق فيها على ما جرى، معبّرًا عن وقع الهزيمة ونتائجها:

يا بيتنا اللي باللقا ما حضر بيوجه ابن عدله خذوه

بيت على عصر النبي ما قهر ما عمر عدوانه ولوه.

فردّ عليه الشاعر عوينان الرشيدي بأبياتٍ قوية، جاء فيها اعتزازٌ بالنصر، وتأكيدٌ لمكانة الرشايدة وثباتهم في الميدان، مستحضرًا تفاصيل الواقعة ومآلها:

بيتك هديم و بوقكم من سر يوم اللقا ربعك نسوه

البيت عنده مثل حلب الدر صبيان ربعي شلقوه

فقال **جرود العريمة الحربي** في ذلك اليوم:

ياحرب ما انتم حرب ولا انتم حرابه ... ويلاه يا رجال السعد والحرايب
ياحرب انتم مثل القصر غادٍ خرابه ... واللي ينخاكم على الحرب خايب
واد الرمه حمى الرشيدي جنابه ... يطيب لكم و الا على غير طايب
يبا لا جا المطر من سحابه ... ترعابه الوضح التلاد الوهايب
يالفرم جلونا وسهجو المهابه ... والبيض راحت ... جلايب
يا بن ربيق كيف تنسى صوابه ... هجيت يايمنا عن القبض عايب
وعليك منهم يابن سعدى جنابه ... بظهورها يوم بهن الدم سايب
رحتم لابن براك مثل الجلابه ... يقضي بكم العازات هي والنوايب
وإن كان خلي ما تعاون كلابه ... يالبيض روحن للرشيدي صحايب.

وقعت هذه الأحداث في زمن حكم محمد بن عبدالله العلي الرشيد، وذلك نحو سنة 1290هـ الموافق 1878م، وهي مرحلة اتسمت بتصاعد التوترات القبلية في نجد، وكثرة الوقائع بين القبائل، في ظل التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة آنذاك.

المداعثة

المداعثة فخذٌ من الثعالبة من المهيمزات، قومٌ أكفّاء كرام، يعظّمون الكلمة، ويجعلون الوفاء بها دينًا في الأعناق لا يُساوَم عليه، ولا يُنقَض، وقد دفع **رشيد بن مدعث** ثمنًا فادحًا حين تمسّك بكلمته، ولم يحد عنها، إذ احتمى بوعدٍ قطعه، فكانت العاقبة ثقيلة، ذهب ضحية ذلك ابنه عويش، شاهدًا على أن الكلمة عندهم تُصان، ولو كان ثمنها الروح.

وجيهنا مانبيعها

نزل تاجرُ قماشٍ عراقيٌّ ضيفًا على رشيد بن مدعث، فأقام عنده أيامًا في أرض الرشايدة، ثم طلب الأمان حتى يخرج سالمًا بقافلته، منحه رشيد كلمته، وقال له:

« **أنت في وجهي مدة ثلاثة أيام** »، أي في حمايتي ما دمت في هذه المهلة.

خرج التاجر مع الفجر بقافلته، ولم ينتصف النهار حتى عاد مسرعًا بلا متاع، يصيح:

« أنا بوجهك يا ابن مدعث، القوم أخذوا حلالي! »

فما كان من **رشيد** إلا أن فزّع أبناءه: **عايش**، و**عياش**، و**معيبد**، و**فالح**، و**سودان**، و**عويش**، فركبوا خيلهم ولحقوا بالقوم، فإذا هم جماعة من قبيلة **مطير**، ودارت بينهم النار، واشتد القتال، حتى تمكنوا من ردّ قافلة التاجر، غير أنهم خسروا أخاهم **عويش**، فسقط قتيلًا وفاءً بكلمة أبيه.

لمّا رأى التاجر الحزن يكسو وجه رشيد حين بلغه خبر مقتل ابنه، تأثر وأخرج كيسًا من المال يريد أن يعوّضه، غير أن رشيد ردّ المال قائلًا:

«خذ نقودك، وجيهنا ما نبيعها بالمال، وعيالي يرافقونك لين تطلع من ديرة ربعي».

فرافقوه حتى بلغوا به حدود أراضي المهيمزات عند الشقران شمال شرق الحناكية، وقد تأثر عايش بن رشيد بمقتل أخيه، فقال أبياتًا يعبّر فيها عن الفقد والوفاء:

واقلبي اللي خافٍ فيه الاوناس — واعيني اللي دمعها له سريي
زلت ثلاث ايام و الفكر بعماس — ولا هو على من صاب مثلي غريبي
عليك يامورد بعيدين الارماس — كساب حلوات اللبن و الهذيبي
ياخوي لو اصفق بالاخماس الاخماس — لاعتك بقعــا علها للذهيبي
مدباس للمسرى و للقوم مدباس — لاكع خطو الدوبجي للمهيبي.

رشيد بن مدعث

جدبت ديار المهيمزات، فاضطر رشيد بن مدعث إلى الرحيل بأهله وحلاله طلبًا للمرعى، فنزل أرضًا من أراضي قبيلة مطير، وكان الربيع قد أقام فيها، وكان برفقته صهره **سعران الفديمة**، وأحد **بني حمد من القلادان** من بني عمومته.

استأذن رشيد أحد رجال مطير في النزول، ودفع له ما يُعرف بثمن الإقامة — **ويُقال لها الرتّاعة أو العاني** — وهو عرفٌ قبليٌّ معروف، إذ لا يدخل أحدٌ حمى قبيلةٍ إلا بإذنٍ من زعمائها أو من يمثلهم.

أقام رشيد مدةً هناك، وكانت إبله سمانًا لافتة، تُغري الطامعين، فكانت العيون ترقبها، وأحسّ بذلك فأخذ حيطته، إلا أن فتنةً نشبت بين الرشايدة (**المهيمزات والقلادان**)، فخشي أن تتسع الدائرة وتشتدّ الأمور، فقال لرفيقه وابن عمّه القلادي:

«**لازم نعود لديارنا، أنت من طريق، وحنا من طريق، لين تنحل هالفتنة**».

أمر رشيد أهله بالرحيل، وسار عائدًا إلى دياره، غير أن أبناء **ابن محيّا العتيبي** وقومهم كانوا يترصّدون به، ويقولون ساخرين:

«**لحم بلا عظم**».. يقصدون أنه بلا سندٍ من قومه، وأن إبله غنيمة سهلة.

كان رشيد حذرًا؛ يشعل النار ليلًا ثم يرتحل خفيةً، ليُوهم من يرقبه أنه مقيم، واستمر على هذا التدبير حتى لمح **العتبان** قد لحقوا أثره، عندها أمّن الحلال وأهله، ثم تهيأ هو وأبناؤه: عايش، وعياش، وسمران، ومعيبد، وفالح، وسودان، ومعهم صهره سعران الفديمة، ووزّعهم في مواضعهم، وقال بحزم:

«**لا ترمون لين أرمي**».

كان ذلك في **وادي أبو سلمات**، فلما اقترب القوم، بادر رشيد بإطلاق النار، فاشتعل البارود، وأصيب من المغيرين عدد، كما أُصيب سعران، وكسبوا فرسًا من القوم، ثم أقبل فارسٌ يغير

عليهم، فرموه وقتلوا فرسه، فإذا به **ابن حمد**، كان قد رأى الغارة فجاء لنصرة بني عمومته، فلما تبيّن أمره، منحه رشيد ناقةً توصله إلى أهله، وفي أعقاب تلك الوقعة قال عايش أبياتًا يصف فيها ما جرى، ويؤكد أن من ظنّهم «**لحمًا بلا عظم**» وجد فيهم بأسًا وحزم:

في أبو سلمات المثقول والغاره تقفا الغاره
ندح قفوش ودق طبول والخيل يثوع غباره
لولا رصاصن مشيول وبوارید بید نماره
غدينا كسبن للقوم لابن محيا وانصاره.

عوض أبا البُرّد

من أعراف القبائل العربية أنه إذا خبا نجم بيتٍ من بيوت السيادة، وتراجع دوره في البطولة والزعامة، التفت القوم إلى بيتٍ آخر يبرز نجمه، فتؤول إليه القيادة، وبيوت الشرف في القبيلة الواحدة معدودة، إلا أن بعضها يختصّ بالشهرة، وتنعقد له السيادة، ويجتمع عليه الاحترام.

أما **بيوت المهيمزات** — كما سبق ذكره — فمنها **بيت النميان**، الذي خرج منه زعماء المهيمزات في الكويت، ومنهم عائلة **الشهري**، و**بيت العمامير**، و**بيت الزعاترة**، وهو بيت عُرف بكثرة الزعامة في المهيمزات.

كان عوض أبا البرّد من الزعاترة زعيم المهيمزات في وقته سنة 1299هـ – 1883م، و«**البرّد**» لقبٌ أُطلق عليه، وتُروى في سببه روايات؛ منها أنه كسب إبلًا لقبيلة **الرولة** يُقال لها «**البرّد**»، ومنها أنه كان إذا غزا عاد بالغنيمةٍ «**بردا وسلام**» لا يُصاب معه أحد.

قُتل هذا الزعيم بسبب «**وجه**» (قطع وجه، كسر كلمة) حين كان عائدًا من إحدى غزواته ومعه المهيمزات، في حادثةٍ تُظهر ثقل الكلمة في أعراف القوم، وما قد يترتب عليها من أثمان.

صلاح ابن مذعور

بعد وفاة رشيد بن غضوى العماري، تولّى صلاح بن نايف راشد بن مذعور بن بدوي العمار قيادة رجالٍ من قومه في الغزو، فكان على رأسهم في تلك المرحلة، وكان عايش، أحد أبناء رشيد بن غضوى، يتطلع إلى مرافقته، غير أن صغر سنّه حال دون ذلك، فكان صلاح يردّه حتى يبلغ، فلما شبّ عوده، ورأى فيه صلاح سمات الجرأة، ومخايل الزعامة والحظ، أعطاه بندقيةً وأخذه معه، ولم تمضِ مدة حتى بدأ عايش يغزو منفردًا، فيكسب ويعود سالمًا، فتكوّن له صيتٌ بين الناس، ورأوا فيه حظًا وإقدامًا، فصاروا يرافقونه، ويغنمون معه.

العِقادة

تُعدّ كلمة «**عقيد**» أو «**عقيد القوم**» بمعنى زعيمهم من الألفاظ المستخدمة في مصطلحات البادية، ويُرجَّح شيوعها بعد القرن التاسع الهجري، ويرى الأستاذ **محمد بن نويشر بن ساير العماري** أن أصلها مشتق من «**الاستعقاد**»، ويُفسّر ذلك بأن البدو كانوا إذا رأوا رجلًا يُصيب في الغزو، ويعود سالمًا، وتتكرر معه السلامة، والكسب مرات، اعتقدوا أن له حظًا عظيمًا، فيغزون معه، ومع تكرار الظفر، «**استعقدوا**» له — **أي انعقد اعتقادهم فيه** — فأطلقوا عليه لقب «**عقيد**»، أي من انعقدت عليه القلوب واطمأنت إلى قيادته.

بهذا المعنى لا يكون اللقب منصبًا شكليًا، بل نتيجة تجربة ميدانية متكررة رسّخت الثقة، والاعتقاد في صاحبه.

عايش بن رشيد بن غضوى

ذاع صيت ابن غضوى في المنطقة، وكثرت غزواته حتى أصبحت القبائل التي يُغير عليها ترفع شكواها إلى الحاكم محمد بن عبدالله العلي الرشيد، وكان ابن غضوى قد قدم إلى حائل لغرضٍ له، فقبض عليه هناك بأمر الحاكم.

عند ذلك توجّه كبار المهيمزات إلى الشيخ **قاسم بن براك** يلتمسون شفاعته لدى الحاكم لإطلاق سراحه، لما بينه وبينهم من صلةٍ ومكانةٍ معروفة، غير أن قاسمًا اعتذر قائلًا:

"محمد الرشيد هالأيام زعلان حيل، مالي طريقٍ عليه، وإذا أنتم مستعجلين فعندكم محمد الصقري الرشيدي يمون عليه".

فأحالهم إلى محمد الصقري، لِما له من وجاهةٍ وقبولٍ عند الحاكم، علّ مسعاه ينجح فيما تعذّر على غيره.

عاد المهيمزات إلى محمد الصقري، وطلبوا منه التدخل والشفاعة، فتوجّه إلى حائل، ودخل على محمد بن عبدالله العلي الرشيد بعد مساعٍ، ومحاولات لم تكن يسيرة ولما قابله، قال له بعبارةٍ موحية:

«أبيك تطلق الحصان اللي عندك».

كان يقصد عايش ابن غضوى، تشبيهًا له بالحصان الأصيل في شدّته وإقدامه، فاستجاب محمد الرشيد لطلب محمد بن سعود الصقري*، وأمر بإطلاق سراح عايش، تقديرًا للمكانة والوجاهة.

(رواية سعيد بن محمد بن سعود الصقري)*

ابن موقد

نزل غانم بن موقد، أحد زعماء عوف من قبيلة حرب، على عايش بن غضوى، فأنزله في النخيل شمال الحناكية، وكانت تلك الديار في ذلك الوقت من منازل المهيمزات زمن عايش، ويُذكر أن سبب نزول ابن موقد عندهم كان خلافًا وقع بينه وبين بعض بني عمومته حين كان نازلا جنوب المدينة المنورة، فآثر الجوار والاحتماء، فنزل ضيفًا على عايش بن غضوى، وأقام عنده، حتى صار يشاركه في بعض الغزوات، في صورةٍ تعكس طبيعة التحالفات، والجوار القبلي في تلك المرحلة.

خيّال سبلا

كان عايش بن غضوى يُعرف بـ«**راعي الكرزية**»، نسبةً إلى الكرزية شمال شرق المدينة المنورة قرب النخيل، حيث لمع اسمه واشتد ذكره، غير أن اللقب الذي رسّخ حضوره في الذاكرة كان «**خيّال سبلا**»؛ وسبلا ناقته التي لازمته في الغزوات، فصارت جزءًا من سيرته، لا يُذكر إلا وتُذكر معه.

لم تكن سبلا مجرد ناقةٍ أصيلة تُركب، بل رفيقة ميدان، تشهد مواقع الكرّ والفرّ، وتطوي الفيافي تحت أقدامها، حتى إذا قيل «**خيّال سبلا**» عُرف المقصود، وعُرفت معه الجرأة والبأس.

مطير ترعى سويقه بلا عواني

كان عايش عائدًا من **بني عبدالله** من قبيلة مطير، وكان قد أخذ من زعيمهم عهدًا متبادلًا بألا يغزوهم ولا يغزونه مدةً من الزمن، غير أن نفرًا من بني عبدالله من مطير أغاروا على إبلٍ لأحد **الجبيرات** من المهيمزات، فمضى عايش واسترجعها، وفي طريق عودته مرّ بسويقة — وهي من حماه — فرأى جموعًا من مطير نازلةً فيها، دخل بينهم ممتطيًا فرسه حتى بلغ بيت زعيمهم، وكان عقداء القوم مجتمعين فيه، فرحّبوا به، لكنه لم يبادلهم التحية، بل سألهم باستغراب:

«**من عانيكم؟**»

أي: من الذي أذن لكم بالنزول من الرشايدة؟ وهو عُرفٌ لا يُتجاوز في حمى القبائل، فلما لم يُجِب على ترحيبهم، قالوا بحدّة:

«عانينا اللي وراك»

كانت الشلف (**الرماح**) مغروزةً في الأرض خلفه، يعنون أنهم نزلوا بقوة السلاح لا بإذن أحد.

عندها شدّ عايش زمام فرسه وقال:

خيّال سبلا عايش

مطيرترعى سويقه بلا عواني.

"مردود عليكم النقا".

أي: استعدّواللحرب.

كانت جموع مطير في سويقة عظيمة، إذ نزل فيها **سبعة شيوخ** من بطون مختلفة بأهلهم وأموالهم، في حين كان عدد المهيمزات — وكذلك الرشايدة في تلك الناحية — أقلّ عدّةً وعددًا.

قاسم ابن براك

عاد عايش بن غضوى يستفزع المهيمزات، وبعث إلى قاسم بن براك رسولًا على ناقةٍ عُلّق في عنقها شِقة من بيت الشعر (رواق)، وهي عادةٌ معروفة عند شيوخ القبائل إذا أرادوا الاستنصار؛ إذ تكون الناقة حاملته رمزه.

فلما رأى قاسم بن براك الناقة، سأل: **من الذي يطلب النصر**؟ فأُخبر بالخبر، فقال: «**كفؤ كريم**»، إقرارًا بالمروءة ووجوب النصر، ثم جهّز مئة فارس، وجعل عليهم ابنه دليم قائدًا، ولم يخرج معهم لمرضٍ أصابه وكِبر سنه.

لوفان

رأى الشيخ صنيتان بن شميلان القلادي الناقة كذلك، إذ كان عايش قد بعث إليه بالوصف نفسه، تقليدًا معروفًا في طلب النجدة، فسأل: **لمن هذه؟** فقيل له: **لعايش بن غضوى**. فقال:

«**يبشر خيال سبلا**»، إعلانًا صريحًا للنصرة.

فنهض بمن معه، وركب في قرابة مئة فارس، ويُقال إن مجموع من خرج مع صنيتان ومن أرسله قاسم بن براك بلغ نحو مئة فارس رشيدي، فتلاقَت النجدة من الجانبين.

ثويني بن طحلان العماري

كان ثويني بن طحلان يتردد على قبيلة مطير من جهة عايش بن غضوى، يطالبهم بدفع "**ضريبة النزول**"- **الرّتاعه** - مقابل استقرارهم في أرض الرشايدة، لكن مطير رفضوا الدفع، وهو رفض لم يكن مالياً فقط، بل كان موقفاً سيادياً يعني عدم الاعتراف بحق الرشايدة في فرض الجباية على الأرض، هذا الرفض رفع مستوى التوتر، وحوّل الخلاف من مسألة تنظيم موارد إلى صدام كرامة ونفوذ، بهذا الفعل، كان ثويني يمهّد سياسياً قبل أن تُرفع السيوف، حاول تثبيت الحق بالعرف أولاً، فلما أُغلق باب العرف، أصبح الاجتماع بين الشيوخ خطوة نحو المواجهة.

بتّال ابن الأعرج

اجتمع **شيوخ الرشايدة** في بيت عايش بن غضوى، يتشاورون ويرسمون خطة المواجهة، وقد كانت قبيلة مطير قد استعدت للقتال، ويُقال إن الدياحيين في مقدمتهم، ومعهم جماعات أخرى من مطير، طال النقاش وتعددت الآراء، وكان **الشيخ بتّال بن الأعرج العماري** صامتًا، وهو من أهل الرأي والمشورة، فلما سُئل عن رأيه قال:

"رأيكم ما هو بصواب، مطير بدافع عن عاراتها، وحلالها ولو ما بقى منهم أحد، والرأي يا بني رشيد أن يجون فرسان من ورا القوم، ويغيرون على الحلال، وحنا بوجيهم، وإذا سمعوا الصياح من وراهم، كلٍّ ينشغل بنفسه، وعندها نغير عليهم".

كان اقتراحه قائمًا على شقّ صفّ الخصم، وإشغاله بحماية المال والعيال، بدل الاصطدام المباشر بجمعٍ متأهب، وهي خطة تعتمد على إرباك العدو، وتفكيك تركيزه قبل الضربة الحاسمة.

معركة سويقة*

وقعت المعركة في سويقة، قرب بلدة النخيل شمال شرق المدينة المنورة، نحو سنة 1321هـ (1904م)، كان النصر فيها للرشايدة **بقيادة عايش بن غضوى**، بعد تحشّد قبلي نادر اجتمع فيه شيوخ الرشايدة كافة، عدا الشيخ سمران بن سمرة لبعد دياره وسرعة اندلاع القتال، كسب الرشايدة غنائم وافرة، وكان أبرزها فرس من مربط العزبة، إحدى أشهر خيل العرب في زمانها، تقدّم دليم بن براك على فرسه إلى عايش وقال:

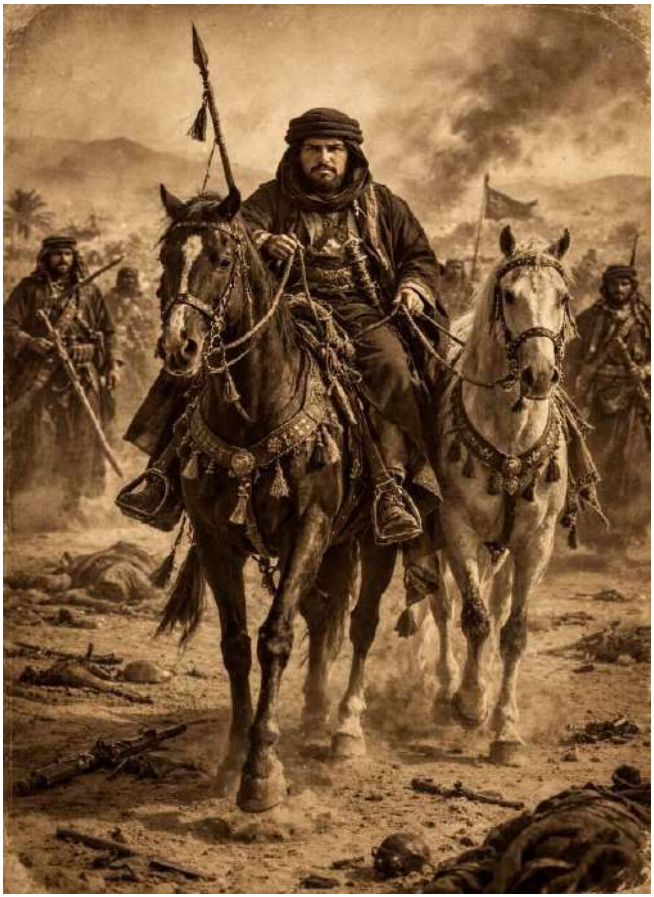
"أنا طالبك إيها يا الأمير"

فأجابه عايش بحزم:

"لا والله ما هي لك، هي لشايبنا اللي ما حضر الكون".

وكان يقصد قاسم بن براك، فقُسّمت الغنائم، ووصلت الفرس "**العزبة**" إلى الشيخ قاسم، الذي أهداها لاحقًا إلى حاكم حائل الأمير عبدالعزيز بن متعب الرشيد الملقب بالجنازة.

ويذكرأن فارسا من مطير، حين كانوا مجتمعون، طلبوا من أحد رجالهم أن يشرب فنجال عايش، وهي إشارة عرفية تعني أن من يشربه يتولى مواجهة عايش في القتال، فشرب الرجل الفنجال، ثم دارت المعركة، وعلم عايش بأمره، فأخذ يبحث عنه في ساحة القتال حتى ظفر به وأمسك به، فلما أدرك الرجل أنه وقع في قبضة عايش، طلب منه العفو فعفا عنه، وجزَّ ناصيته، ثم أطلقه.



صورة تخيلية لمعركة سويقة

وتبدو صورة عائش بن رشيد ابن غضوى بحسب ما وصف رحم الله الجميع.

(روايات متواترة لدى المهيمزات)*

سويقة: ملحمة القيادة واتحاد الرشايدة

كانت معركة سويقة أولَ جمعٍ لقبيلة الرشايدة في القتال، إذ اجتمع فيها أبرز شيوخهم، ووجوههم، ورجالهم صفًّا واحدًا، فغدت صفحةً فارقة في تاريخ القبيلة؛ فلذا تبقى **سويقة** صفحةً فارقة في الذاكرة؛ ليست معركةً عابرة، بل موقفًا اجتمع فيه الشمل فصار الاجتماع نفسه عنوان النصر، ففيها التأم **شيوخ الرشايدة** جميعًا: **دليم بن براك، وابن شميلان،** وسائر الوجوه، ما عدا **ابن سمرة** لبعد دياره وسرعة الحدث كما تقدّم، كان التلاحم يومئذٍ سلاحًا قائمًا بذاته، وحسمًا سبق حسم الميدان، وكان **عايش بن غضوى العماري** شيخًا خَبِر الوقائع، وتعدّدت له المعارك حتى غاب كثيرٌ منها عن الذاكرة، غير أن سويقة بقيت خالدة لأنها كشفت وزن القيادة عند الشدائد، وأظهرت كيف تتحوّل الكلمة الواحدة إلى راية، لم يكن الخصم هيّنًا؛ فقبيلة **مطير** كانت ذات عددٍ يفوق عدد الرشايدة، وأهل بأسٍ ووقفة، لكن ميزان الموقف مال يوم توحّد الصف، واثبات القرار، كثرت غزوات **ابن غضوى** وذاع صيته في المنطقة، حتى صار اسمه علمًا في ميادينها، وبلغ من مكانته أن كانت ابنته **ثروة** موضع خطبة الشيوخ، ومنهم **دليم بن براك،** وقد تزوّجت سبعةً من **شيوخ الرشايدة،** ولم يُكتب لها عقبٌ من أيٍّ منهم، فبقيت قصتها شاهدًا على زمنٍ تتقاطع فيه الهيبة بالنسب، والمجد بالذكر.

قال أحد شعراء مطير:

قطارة البندق*رماةٍ معاطيب — من داج حول ديارهم غيبوبه

من العلم للتين لصفيط لوجيب — عشبه يصك الحول مأحدٍ يشوبه

منزحينن عنه كل الاجانيب — ناقة أهل الكفه تقفر ادعوبه.

(يقصد أنهم رماة متمكنين)*

مما قيل في معركة سويقة

يا سويقة اشهدي يومٍ لفّك غبار — يوم صوت البنادق خالط صوت نار

يوم قمنا على العليا بلا أي انذار — والسيوف اتّقد حدّها مثل شرار

كان عايش وقوفه ثابتٍ ما يدار — مثل طودٍ رسا ما هزّه هوج إعصار

قال هيّا على العليا ترى الذّل عار — لا حمى دون حقٍ لا حياةٍ تدار

قمنا صفٍ واحدٍ ما عرفنا الفرار — والقلوب الثقيلة ما تهاب الكثار

لكن الحق يذكر لو تضايق المسار — مطير أهل الردّات نعم الخصام الكبار

لا لفوا في الميادين اشتعل كل دار — فعلهم شاهدٍ ما هو سوالف نهار

كم لهم وقفةٍ تشهد لها كل دار — وكم لهم طعنةٍ تكتب بحدّ البتّار

العدو الشجاع يزيدك وقار — والنزال الشريف يرفع المقدار

ما هو عيبٍ نمدح من وقف بالنفار — الرجال رجال ولو تلاقوا في الغبار

دار بينا وبينهم صليلٍ وثار — والسما بيننا تمطر لهيب وشرار

لا غلبنا اعتلّينا بفضل الجبار — والنصر ما يجي إلا بصبرٍ وإصرار

والكرامة تجمعنا ولو صار ما صار — والنسب والجزالة بيننا ما تغار

سويقة كتبَت فعلٍ بصفحة فخار — للرشايدة مجدٍ ولمطير اعتبار

والليالي شهودٍ ما تميل المدار — إن تعاد المواقف يعاد الاختبار

نحن وأنتم عيال البيد نسل الأحرار — إن اختلفنا نختلف بعزٍ ووقار

هذا طبع العرب من قديم الديار — خصمك اليوم باكر جارٍ واعتبار.

قال الشاعر المتأخر راشد بن نشمي العماري :

يا كاتب التاريخ في بيض الاوراق وثّـق لتاريخ الـعرب والقبايل

وافرد لعايش صفحةٍ كلها اشراق العقيد اللي ما يهاب الهوايل

يومه بسط كفه على عهد ووفاق لمطير من كل الغدر والغوايل

لكن رجع والقوم فحماه تستاق واخذوا سويقة دون عاني وسايل

قالوا القنا عاني ولا فيه ميثاق وقال النقا مردود والشك زايل

وساق البكار وزادها شعر واطواق على الشيوخ اللي تعز القبايل

قاسم ابن براك سيّر له نياق وفرّيس تستاق المنايا حلايل

بقيادة دليم ابن قاسم ولا فاق الا على ضرب السيوف السلايل

وعقبه صنيتان القلادي له تساق كل المدايح والعلوم الجلايل

ارسل مية فارس بلا عهد ووثاق انشهد انه شيخ فعل وجمايل

وبتال الأعرج يوم صكّات الأعواق رأيه يفك الكرب حكم ودلايل

قال اقسموا غاراتنا قبل الاشراق قسمٍ يواجهها وقسمٍ يحايل

وفاز ابن غضوى في سويقة ولا ذاق الا صنوف النصر عز ومثايل

طارف بلدنا ما تثمنه الاسواق وافعالنا ترقى بروس الطوايل

وبني رشيد ان صارت انساب واعراق تاريخها ثابت ولا فيه مايل

سيف الرشيدي للمهمات سبّاق ومدات يدّينه عظام وجزايل.

كما قال الشاعر المتأخر محمد ابن مدعث:

بني رشيد أهل الفخر والمهابة ومنزحت نشر الحريب المداني
سوالف.. تذكر وينشر.. كتابه في وقتنا الحالي وهاك الزماني
العز يوم يظهر الموت نابه ما هو بيوم يقدره كل فاني
يوم مثل يوم ابن غضوى سطا به (ترعى سويقه! كيف وبلا عواني)
اجتاح جمع القوم ما هوب آبه وفرق جموعه و استرد المكاني.

الذويبي

في مطالع القرن الرابع عشر الهجري، كان **النميان** من المهيمزات أهل بأسٍ ونخوةٍ ظاهرة، حتى جاوزت نخوتهم حدّ الاحتمال عند بعض جماعتهم من الرشايدة، فنشبت بينهم خلافاتٌ متفرقة أفضت إلى مطالباتٍ بالدم والثأر، وحين ضاق المقام، آثروا الابتعاد، فلجؤوا إلى **الشيخ ناهس الذويبي الحربي**، طلبًا للجوار، وحقنًا للدم.

لبث النميان قرابة عشر سنوات في جوار الذويبي، لا يُؤبه لهم شأنًا كبيرًا في مجالسه، حتى وقعت معركةٌ بينه وبين قبيلة عتيبة سنة 1323هـ (1906م)، انتصرت عتيبة في أول الأمر، وساقت إبل الذويبي، وفيها "**العطفة**" ابنته **قمرة**، والعطفة – **وتُسمّى المظلّة أو الريشة** – فتاةٌ من علياء القوم، تُجعل على هودجٍ فوق ناقةٍ في ساحة النزال لتشحذ همم الرجال وتستنهضهم، عندها استنصر الذويبي في النميان، وقال بلهجته:

" **تِكفا يا خثران** "، يقصد خضران بن رفادان، وكان يقلب الضاد ثاء.

كان خضران يومها في نحو العشرين من عمره، فهبّ ومعه قرابة عشرين فارسًا من النميان، فيهم خضير بن رفادان، فاستطاعوا استرجاع العطفة، والإبل بعد كرٍّ جريءٍ قلب الموقف.

منذ ذلك اليوم، علت منزلة النميان عند الذويبي، وصار مجلسه لا يكاد يخلو من خضران بن رفادان، غير أن تبعات الدم القديم بقيت قائمة، حتى تدخّل **الشيخ عايش بن غضوى**، فسعى في الصلح، ودفع الديات، وألزم أهل الدم بقبول الإصلاح، قائلًا كلمته الحاسمة:

" ما يمدي النميان تقعد في أحضان حرب حتى ترضوا "

أرسل الشاعر **مساعد بن وريور النميان** قصيدةً إلى **نواف بن سعيّد بن محمد الصقري**، في وقتنا الحاضر جعلها رسالة وفاءٍ ومدح، يثني فيها عليه وعلى آبائه، ويستحضر مواقفهم المشهودة، ولا سيما وقفتهم مع **ناهس الذويبي** يوم اشتدّ الأمر، فقال:

نواف لاقلُّوا هل الجود نواف — أنشد عنه ويعلمونك هل الجود

أبوه مثل الفجر يعرف وينشاف — يوم السنين اللي مقاديمها سود

وجده عسى الله يرحمه تقل غراف — للزّاد لا قل الكرم ترثت العود

ابن الكفيف*اللي له أذكار وأوصاف — محرقين البن لا هبّة النود

وخواله اللي يوم الأرياق نشّاف — على المهار المكرمة فكوّا الذود

وجابوا حريم الشيخ ناهس* بالأرداف — وبيته وصل عنده وهو كان مفقود

يقوله اللي ماله ابمدحك اهداف — خالك الياقلوّا هل العرف موجود

وترى الفعول اللي بها زور تنعاف — وحنّا على ها اللي ذكرنالك أشهود.

(محمد الصقري فقد بصره أخر أيام عمره وقد امتدحه الشاعر الفليجي السليطي)*

(ناهس الذويبي)*

وله أيضا :

وحنّا منك وأنت أقرب الناس منّا أعلمك وأنت أعلم الناس بأعداك

ولو مأنت غالي ياحفيد المثنّا لو تنقطع طول الدهر مافقدناك.

رد عليه نواف ابن سعيّد الصقري:

هلا ب هل العادات زبن المجنّا ياراعي المرسال يا حي طرياك

وعلى العهد لو الظروف ابعدنّا لا تتعب ركابك ولا تتعب خطاك.

ليس لقبيلة الرشايدة عطفة

في أعراف القبائل، إذا اشتدّ النزال قُدّمت العطفة – **وتُسمّى المظلّة أو الريشة** – وهي فتاةٌ من علياء القوم، غالبًا ابنة الشيخ، تُوضع على هودجٍ فوق ناقة في ساحة القتال لتستنهض الهمم، وكان المقصود من حضورها رفع المعنويات، وحماية العرض من السبي، إذ إن وقوعها بيد الخصم كان يُعد عارٌ عظيم.

أما قبيلة **الرشايدة** فليست لها عطفة، ولم تعرف هذه العادة منذ أسلافهم **بني عبس**؛ إذ لم يكونوا يرون الحاجة إلى تقديم امرأةٍ ليُشحذ بأسهم، فحميّتهم تقوم بذاتها، ووقفتهم تُغني عن الرمز، ومع ذلك، اشتهر الرشايدة في دولة الكويت بلقب أهل العِطفة، لا لأن لهم عطفةً خاصة، بل لموقفٍ تاريخيٍ وقع في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (نحو 1790م). فقد كانت العطفة يومئذٍ عطفة **الدويش**، وتُدعى **الدحملية بنت ابن شقير الدويش**، ودارت معركة بين مطير **(علوى)** وحلفائهم من الرشايدة – **آل قراد (صياد)، والمهيمزات، والعونة، والعجارمة** – ضد قبيلة **قحطان** بزعامة **الشيخ ناصر بن قرملة**.

انتهت الوقعة بهزيمة الحلف، واستطاعت قحطان أخذ العطفة، إلا أن **الشيخ سالم المسيلم** تمكّن من اقتحام الموقف واسترجاعها، فأنقذ العرض، وأعادها إلى أهلها، ومنذ ذلك الحين، لقّب **سلطان الدويش**، الرشايدة **بـ أهل العِطفة**، تقديرا لموقفهم في استردادها.

هكذا ارتبط اللقب بالفعل لا بالعادة؛ فالرشايدة لم يقدّموا عطفةً يومًا، لكنهم حَمَوا عطفة غيرهم، فصار الاسم شاهدًا على الموقف، وبقيت القصة تُروى بوصفها صفحةً من صفحات الفزعة، والنجدة في تاريخ البادية.

عليق العنزي

كان راعي الحليفة **(الحليفة موضع شمال شرق المدينة المنورة)** عليق شاعرًا، عُرف بقصائده التي تؤرخ للوقائع وتخلّد المواقف، و يُروى له قصيدةٌ قالها يوم انتصر القلادان على **بركة الشويب المطيري؛** فجاء شعره احتفاءً بالغلبة، وتثبيتًا لذكر الحدث في الذاكرة القبلية، فقال:

البارحه بلغت بالهرج كله نوماس واللي حصلوه القلادان*
على الشويب كبرو مفرسله بايمن طواله واشبعوا ذيب الاتيان
اركاب ابوتركي سوات الاهله وبني رشيد ركابهم فرق وسمان
ابن حمد تشك الحفا فاطرله من كثر ما تضرب خرايم وريعان
ولافي ذعار الخيل شهب الاجله ليا نتخا بنحورهن كل ديقان
ليا زغرتن البيض حدر الاظله يرخص بعمره عند حلوات اللبان
وثواب بالصفرى اطلق الرمح كله عيا المداوي لايداويه بحلان
ومحمد ليامنه ركب مهرتله خيال حلحيل الرمك واف الافنان
تكفن ياسمر الليال امهلله خلن شيال العلايق بليهان
يارسل ون جيت الشويب فقله انا نذيره منقدله صنيتان*
قله يبعد لايجي النشر كله قله يبعد لايجيه ابن رشدان*

(كتاب ذكريات الماضي نجا الرشيدي)*

(ابن شميلان)*

(قاسم ابن براك)*

نزل عليق العنزي بإبله في ديار المهيمزات، على عادة أهل البادية في طلب الكلأ والماء، غير أن أحد شيوخ بني رشيد الكبار عدا عليه وأخذ إبله، لم يجد عليق أمامه إلا الكلمة، والكلمة في البادية سلاح، فاتجه بقصيدته إلى **الشيخ عايش بن غضوى**، مستنجدًا بمكانته وهيبته، عالمًا أن الفصل عنده قولٌ يُتبع بفعل، فقال:

يا راكبن عندنا حزبن كون عيرات تو سنانها طالعاتِ

تلفي لساكر شايله الكبر والزوم وش عذركم يا ستر كل البناتِ

اختك نهيه تدبغ السعن بالدوم تتلى شياهن بالشتا غادياتِ

وان كنت تعجز تاخذ الحق وتقوم أنخى ابن غضوى حامي الثارياتِ

يجيك بعيال المهيمزات لملوم كلٍ يقول المرجله هي عباتِ.

كان الشيخ المعتدي عزيزًا على الشيخ عايش بن غضوى، ويعلم دوافعه، غير أن المعرفة لا تُسقط العرف، ولا تُبيح خرق "**العاني**" الذي دخل به عليق في جوار المهيمزات، فالحق عند البادية ميزانٌ لا يميل لمودّةٍ ولا قرابة، درءًا لفتنةٍ بين أبناء القبيلة، أرسل عايش ثلاثة رجال، اثنين من العمامير وثالثًا من الفعور، فاختطفوا ابن الشيخ، وأبلغوا قومه أن الفتى في ضيافة ابن غضوى. لم يُمسّ بسوء، بل وُضع في مقام الضيف، ليكون الأمر رسالةً لا ثأرًا، بلغ الخبر الشيخ، فأرسل رسولًا يستفهم؟ فجاءه الردّ صريحًا:

(ترجع إبل عليق كاملة، وتُغرم جزاء خرق العاني).

عاد الرسول يخبر سيده أنه رأى ابنه معزّزًا مكرّمًا عند عايش، لا يُنقصه شيء، فاختار الشيخ الصلح، وردّ الإبل، وزاد عليها إبلًا غرامةً لفعله، ولما رجعت الإبل، اجتمعت المهيمزات في بيت الشيخ عايش، وقال لعليق:

"أعد قصيدتك."

فأعادها، ثم زاد فيها يثني على الموقف ويُثبت الوفاء:

فعري وبني عمار تبعد عن اللوم في كسبت العليا خذوا طايلاتِ

اللي بعانيهم خذوا ورع مفطوم وأمه تون عليه الساهراتِ

إذا الحق ما ياتي تماليس وعلوم ولا ياتي إلا عقب شد العباتِ

إما يجيك بشذرت السيف مثلوم وإلا قفوش المارتي مفرقاتِ.*

(رواية الشيخ محمد نويشر العماري، ورجالات من المهيمزات)*

ابن سعيدا

يُعدّ ثامر بن سعيدا القلادي من رجالات الرشايدة الذين ذاع صيتهم في الفروسية والشعر، وكانت له مكانة معتبرة بين قومه وبين القبائل المجاورة، ارتبط اسمه بسير الغزو، وبالمواقف التي تتقاطع فيها الشجاعة مع الحنكة، حتى صار حديث المجالس في زمانه.

الرواية الأولى:

تفيد الرواية المتداولة أن ثامر كان كثيرا ما يغزو على قبيلة عنزة، حتى نذر الشيخ فرحان الإيدا - إن قُبض عليه - أن يذبح جزورًا ويقطع رأسه، وقد أُسر ثامر في إحدى غزواته، فذُبحت الجزور وفاءً بالنذر، وسيق ليُقتل، غير أنه استطاع أن يفك وثاقه، ولجأ إلى بيت أم الشيخ فرحان، فلما لحقه الشيخ شاهِرًا سيفه ليقتله، حالت أمه بينه وبين الرجل، وأطلقت سراحه.

الرواية الأخرى:

ذكر لي السيد **حمود بن غانم بن سعيد القلادي** أن الأسير في تلك الحادثة لم يكن **ثامر بن سعيد**، وإنما كان **دليم بن سعيد، موضحًا** أن الرواية وقع فيها التباس بين الاسمين؛ ومن ثمّ لزم التنبيه إلى هذا التصحيح، إذ إن أهل الشأن أدرى برجالاتهم، وأوثق في نقل أنسابهم وأخبارهم.

ابن ناكوت

كان مانع بن ناكوت البراك الرشيدي في غزو، وأثناء عودته مرَّ بموضع **بيضا نثيل** من أراضي قبيلة عنزة، فرآه في ربيعٍ حسنٍ، وقد اكتست أرضه بالنبات وعمّها الخصب، فأعجبه ما رأى، وأعجب من كان معه، فلما عاد إلى قومه، وكانت ديارهم يومئذٍ مجدبةً، لا نبت فيها ولا مرعى، أخبرهم بما رأى من خصب الأرض ووفرة الكلأ، عندها أمر الشيخ **قاسم بن براك** الرشايدة بالمسير إلى تلك الناحية، والانتقال بأموالهم وأهليهم إليها، طلبًا للمرعى ومواطن الكلأ.

كان الرشايدة في تلك الفترة متفرقين في أرجاء متباعدة، يتنقل كل فريقٍ منهم حيث يجد الكلأ لأنعامه، شأن القبائل الرعوية في أعوام الجدب والشح، فسار مع قاسم بن براك **البراك** جماعته، و**الدواميك**، وهم قومٌ من المهيمزات، و**ذوو حمود من القلادان**، و**المشاعلة**، و**العجاونة**، و**الزبون**، في حين كانت سائر أفرع القبيلة متفرقةً، يطلب كل فريقٍ منها موضعًا يجد فيه ما يكفي أنعامه من الكلأ.

شريّفة

تقع شريّفة وبيضا نثيل غرب مدينة حائل بنحو 149 كم، وهما موضعان متجاوران ارتبط اسماهما بالمعركة التي قُتل فيها **الشيخ قاسم بن رشدان ابن براك** سنة 1327هـ (1910م)، كان شيخ الرشايدة أو أحد شيوخ الرشايدة المعتبرين، بل يُعد أشهر شيوخ بني رشيد في وقته، ويُعرف بـ **راعي البويضا** — إبله التي لم يُؤخذ منها شيء قسرًا، وقُتل على صهوة حصانه، وقد بلغ الثمانين من العمر أو أكثر.

عند نزول الرشايدة في شريّفة، أشار بعض رجالهم على الشيخ قاسم بن رشدان بن براك بدفع ما يُعرف بضريبة الإقامة إلى **الشيخ مشعان العواجي** من قبيلة عنزة، وهو عُرف قبلي يُقصد به تنظيم النزول في مراعي القبائل.

قالوا له: «**علّق العاني يا شيخ**» أي ادفع ما جرى به العُرف في مثل هذه الأحوال.

فأجابهم:

« ما نعلّق! نبي نرعى، ندحم الربيع، ونربّع، ونرعى بالهدلا واليد العدلا »

وهو تعبير عن رغبته في الرعي اعتمادًا على القوة، والحق دون التزام بضريبة.

بعد أيام، رأى كبار القوم أن يُخطروا العواجي بنزولهم من باب البيان، لا من باب التبعية، فأرسلوا حسين بن براك، فلما وصل حسين، سأله مشعان:

«وين انتوا يا حسين، يوم جيتوا أنتم بدياركم، وإلا كِد جيتوا؟»

فأجابه: **« لا، نزلنا شريّفه »**

فقال مشعان:

«أويلي، أثريكم قريب»

فقام بربط حسين، وركب فرسه وانطلق إلى الشيخ فرحان الإيدا يستنجد به، فاجتمعت عنزة، ومعهم جماعات من جهينة وبلي، ورجلان من الفليح من الشرارات كان عليهما دم فلجآ إلى عنزة.

يُعدّ ربط الرسول في أعراف القبائل خرقًا صريحًا لمبدأ الأمان، لأن الرسول يُنظر إليه ناقلًا للقول لا طرفًا في الخصومة، وله حرمةٌ تقتضي صونه، وإكرامه، ولو بين أطراف متنازعة، لذلك فإن تقييد حسين بن براك بعد وصوله رسولًا إلى الشيخ مشعان العواجي يُفهم عرفًا بوصفه تجاوزًا لقواعد التعامل القبلي، وإشارةً إلى إغلاق باب التفاهم وتحويل مسار العلاقة من التبليغ السلمي إلى التهيؤ للمواجهة، وهو فعلٌ يحمّل صاحبه تبعاتٍ معنوية، وقبلية في ميزان الشرف والعرف.

استعدّت عنزة ومن انضمّ إليها لقتال الرشايدة، دون أن يكون هؤلاء على علمٍ بما يُدبَّر، حتى أتاهم **عدل بن فنيدل الشمري — وكان نازلًا عند عنزة وصديقًا للرشايدة** — فانسلّ خفيةً، وأخبرهم بأن القوم يتهيّأون لقتالهم، عند ذلك نشر الشيخ قاسم بن براك العيون، وأمر بالاستعداد، فعاد بعضهم قابضين على رجالٍ من عيون عنزة الذين بعثهم الشيخ فرحان الإيدا للتجسس، وكان فيهم **ابن عفرا العنزي**، وهو زعيمهم، فأُجلسوا أمام الشيخ قاسم، فقال: «**قهووهم**»، فصُبّت لهم القهوة، فلما شربوا قال ابن عفرا:

«يا الأمير، والله إني صديق من بطن عدو، جمعٌ جِمعلك ما تقدرون عليه لو حاربتم الليل مع النهار».

فأجابه الشيخ: «**إلي عليهم عونٌ من الله**»، ثم أطلق سراحهم، فرجع ابن عفرا، وأخبر الإيدا بما رأى من ثباته، فقال متعجبًا: «**ما خاف!**» فلما أكد له الخبر، قال لمن حوله:

«**ترى المنع ممنوع**»، أي لا أسر ولا إجارة، قتالٌ بلا التزامٍ بأعراف القبائل.

الدواميك

وقعت المعركة في الصباح الباكر، وقد أوقف الشيخ قاسم إبله أمام قومه لتكون ساترًا يصدّ أوّل طلقات الرصاص حتى يقترب القوم، وكان الشيخ فرحان الإيدا في مقدمة الصفوف، فصُدَّ الهجوم واشتدّ القتال، ثم باغتت قوةٌ أخرى الرشايدة من الخلف بقيادة الشيخ مشعان العواجي، فاضطرب الموقف بين الكرّ والفرّ، وفي خضم الاشتباك سقط الشيخ قاسم قتيلًا على صهوة حصانه، وكانت آخر كلماته:

«افتكوا البويضا يا الدواميك*، افتكوا يا ربعي»

وفيها وصيةٌ باستنقاذ إبله — **البويضا** — وصون رمز مكانته، ونداءٌ جامعٌ لقومه بالتماسك في لحظة الفقد والحرب.

عِطفة عنزة

اشتدّ وطيس القتال، وتعاقبت هجمات عنزة وحلفائها ثلاثًا، تتوالى على صفوف الرشايدة كالسيل الجارف، تريد كسر تماسكهم وزحزحتهم عن مواقعهم، غير أن الرشايدة ثبتوا لها ثباتًا شديدًا، فصدّوا الهجمة تلو الأخرى، وردّوا الفرسان عن صفوفهم، ولم يتركوا للخصم ثغرةً ينفذ منها إلى صفوفهم، وكلما تجدد الهجوم، ازدادت صفوفهم تماسكًا، واشتدّ ردّهم، حتى تحولت محاولات كسرهم إلى قتالٍ مريرٍ لم تستطع فيه عنزة وحلفاؤها بلوغ ما أرادوا، وكانت **عِطفة عنزة** تستنهض الفرسان وتلهب حماستهم، وتنادي بأعلى صوتها، تحثّهم على الإقدام، فيما ظلّت صفوف الرشايدة صامدةً في وجه الهجمات المتتابعة:

اللي يريد يحبني يقلّط إلى هاب الذليل

يا خذ عسل من ذبلي غصبٍ على أهلي والحبيب.

(كان يقصد بالدواميك: ابن داموك وأبناء عمومته الرميح، ذوي حماد، القحيم، العدهي، ابن مران، ابن قريعيط، ابن شطنان، الطريس، المحاوصة، العايضات، وهم فرسان اشتهروا بالشجاعة والإقدام، يرجعون للمهيمزات)*.

وكانت مثل هذه الأهزوجة جزءًا من تقاليد التحريض في ساحات القتال، إذ تُلهب الحمية، وتربط الإقدام بالشرف والمكانة.

سقط عددٌ من فرسان وشيوخ عنزة في المعركة، وكان فيهم الشيخ فرحان الإيدا؛ إذ سقط عن فرسه «**صبيحا**» في المرة الأولى، ثم عاد في هجومه الأخير فسقط عن حصانه «**بشير**»، وأُخذ سلبه، غير أنّ من ظفروا به لم يقتلوه، إذ استقلّوا هيئته، وظنّوا أنه ليس بندٍّ لابن براك، ولم يعرفوا أنه الإيدا، فلما رآه ثامر بن سعيدا صاح فيهم:

«**اذبحوه لا رحم الله أبوكم**»

فسدّد الرجال البنادق نحوه، غير أنّها لم تُثر، وتمكّن الإيدا من الاقتراب من ثامر، فتعلّق بثيابه قائلًا:

«**أنا بوجهك يا ثامر**»

فقال ثامر للرجال:

«**وجهي الله لا يعطيكم خير**»، فأطلقه.

عند ذلك انصرف الإيدا بقومه، وترك الشيخ مشعان العواجي، ولبث الرشايدة في الأرض، يوقدون نار الحرب، وكذلك عنزة مدةً من الزمان، حتى عاد دليم، وأخبر بما جرى*.

(العرب الأواخر- الصويان)*

مقتل عايش ابن غضوى

وصل خبر مقتل الشيخ قاسم إلى الشيخ عايش ابن غضوى، فاشتد غضبه، وركب في أكثر من أربعين فارسًا من قومه قاصدًا العواجي يريد مباغتتهم، والأخذ بالثأر، وفي الطريق لقيه عددٌ من الرجال فنهوه عن المضي، وحذّروه أن القوم مستعدون ومتحفزون لأي هجوم، وكان آخر من لقيه رجلٌ من الشوالعة فأعاد عليه النصيحة، مؤكدًا أن الرجوع أسلم للجميع، غير أن ابن غضوى مضى في عزمه، ولم يستجب للتحذير،وحين دنا من منازل القوم، بدت نيرانهم مشتعلة دلالة يقظةٍ لا غفلة فيها، فأمر فرسانه بالتريث، وصعد هضبةً كانت أمامهم ليستطلع الأمر بنفسه، وما إن بلغ أعلاها حتى انطلقت نحوه رصاصةٌ أردته قتيلًا، وذلك سنة 1327هـ الموافق 1910م.

كان اندفاع الشيخ عايش ابن غضوى نحو العواجي، رغم التحذيرات المتكررة، ويقين الخطر، وفاءً صريحًا لا لبس فيه، لم يكن خروجه حميةً عابرة، ولا نزوةَ غضب، بل ردَّ جميلٍ قديمٍ لا يُنسى، ففي معركة سويقة، كان للشيخ قاسم موقفٌ معه لا يُمحى أثره؛ موقفُ نجدةٍ، وثباتٍ في ساعةٍ يختبر فيها الرجال، هذا الفعل ليس تهورًا، بل صورة من صور الوفاء الصارم؛ رجلٌ يمضي إلى قدره لأنه يرى أن الكرامة لا تُجزَّأ، وأن رد الجميل لا يُؤجَّل.

هكذا تُصنع السيرة التي تبقى، وهذا المعنى لم يُستخلص من روايةٍ منفردة، بل جاء نتيجة استقصاءٍ في الروايات التاريخية، ومقارنةٍ بين الشهادات الشفوية، والمصادر المكتوبة، وربط الأحداث بعضها ببعض في سياقها الزمني والقبلي، فبتتبع معركة سويقة وما أعقبها، ثم قراءة خبر مقتل الشيخ قاسم وموقف الشيخ عايش بعده، يتضح أن خروجه لم يكن ردَّ فعلٍ لحظيًّا، بل امتدادًا لموقفٍ سابقٍ بين الرجلين.

إن جمع الروايات، وتحليلها يكشف خيطًا أخلاقيًا واحدًا يربط الوقائع، موقفٌ قديم من النجدة، أعقبه موقفٌ لاحق من الوفاء، وبهذا تتكامل الصورة التاريخية، لا بوصفها سردًا لأحداث متفرقة، بل بوصفها بنيةً مترابطة تُفسّر الدافع قبل النتيجة.

قال الشاعر المتأخر مسعود بن مطيع الرميح :

ابن غضوا كل تاريخه فخر وفراسه — من مهامزةٍ تكيد المعتدي وتدوسه

يوم سكان الجزيره ماعليها حراسه — والزمان اللي ماينسون العرب كابوسه

يارسون ولاعليهم فالزمان الرياسه — يرفعون الروس واعلام العدو منكوسه

العمامير معروفه والزمان الدراسه — طيب ماضيهم يدرس لرجال دروسه

لاعتزا عايش وهب من القشر نسناسه — والزمان الشين قامن يطحنن ضروسه

ياطفى مقباس غيره ماطفى مقباسه — العدو من سيف عايش هيبتة مديوسه

والرشيدي لاسمع طاريه طار عماسه — تفخر عيال القبيلة في ذكر ناموسه.

معركة خديجة

معركة خديجة عند الرشايدة، أو معركة فضيحة عند عنزة، من الوقائع التي اختلفت تسميتها بين الطرفين ما عُرفت عند الرشايدة **بمعركة خديجة**، بينما عُرفت عند عنزة **بمعركة فضيحة**، وفيها هجم دليم بن براك على العواجي وابن سويلم في نعيمين، فكانت له الغلبة، وكسب وغنم، وقد حفظ الشاعر **عتقا بن مجبي الداموكي** خبر هذه الوقعة في شعره، مثبتًا تفاصيلها فقال:

بديت ذكر الله قبل على كل قالات — من قدم المولى عسى مايخيب

جانا معشي الضيف بالجمع زافات — واخوان صيته منحزين الحريب

ليّم جهينه مع بلي والشرارات — مثل التهامي يوم شمسه تغيب

تشاوحونا تقل مقهور خلفات — وردوا عليهم منغصين الشريب

مسبلين ارواحنا يوم الأدراك — دون المعور وامهات الحليب

بني رشيد من الظفر جوك ردات — الكل يفدع مثل حرٍ قضيب

ولا حصلوا منا صمايل وفلحات إلا طياح القش ماهو مثيب
ولا لي حسايف كود عودٍ لنا مات اثراه عنده مثل قرط الخشيب

تسعه وتسعين المدالي المهمات اللي وقع منهم بحد الشعيب

تاخذ عليهم ضبعة الضلع كيفات والطير ياكل لين شمسه تغيب

حتى سباع شريفه اللي هزيلات مربعات وساعيات بطيب
ما ياكلن الاالفطاح العذيات اللي من الويلان عيا يهيب

كم واحدٍ من شور فرحان موّات هذا صويب وذاك ينقل عطيبي

حريمهم يوم المكاسيب كرهات الكل منهن مثل خلج العزيب
حتى انت يافرحان براسك طرحناك عقناك وانته فوق زين الهذيب
في ملتقى الغلمان مشعان ما جاك وهزاع واللي يدركون المصيب
ناروا على قحص المهار العريبات بغوا يخلونك عشى لكل ذيب
ابن سعيدا عتقك والله نجاك عيا عليك الله ودمك مريب

أنا أحمد اللي فك فرحان ما مات لو هو عدوٍ لي ودايم حريبِ

مايستوي للموت مثلك وشرواك ياللي بلوذات المساعر تطيبِ
ياكم هنوفاً عقب لبس الحمارات على شهود الصبح تقنب قنيب
دليم غايب و النقا تو ما جاك يا عل حذف الشيخ فيكم مصيبِ
راعي البويضا يوم صادك بشباك نبيك يا مشعان خمّ قريب

لو علّمت بالغيب قدّمت لدواك كان انت وجعان لاجيب الطبيبِ.

الأبيتر : قرار حنا بالملاقا شياطين

يأنف العرب من الكذب، ولو كانت الهزيمة عليهم؛ فالمروءة عندهم تُقدَّم على المجاملة، والصدق أرفع من ستر الخسارة، وكانت الهزيمة مريرة على بعضٍ من عنزة، فاندفع شاعرٌ منهم يهجو الرشايدة بأبياتٍ منظومة، يخفف بها وطأة اليوم، ويستنهض بها قومه، فلم يترك الشاعر والفارس **عايض الأبيتر القلادي** القول يمرّ دون جواب، فردَّ عليه بأبياتٍ تقطع الجدل، وتردُّ الهجاء بالحجة والاعتداد، مثبتًا أن الشعر في مثل هذه المواطن سلاحٌ لا يقل أثرًا عن السيف، وأن الكلمة إذا صدقت كانت أمضى من الحديد، فقال:

قرار حنا بالملاقا شياطين رصاص كوخان العيون اشتهاكم

نِخزكو بالقاع خز القعادين كم طلّقن أيماننا من نساكم

تبغون وطيتنا وحنا معيّين عيبٍ علينا مشينا بهواكم

وش أنت خابر يوم سهلة نعيمين وجفرة شريفه يوم سالت دماكم

يوم الحضن جيشك قضينا به الدين رحتم كما الحنشل وأخذنا حذاكم

رحتوا قسوم في يدين المسمين راعي البويضا بالنشاما ولاكم

حنا عباد الله بالأنفس مساوين مير ان زوم نفوسكم من خطاكم

حنا عيال أدم وحوا القديمين وش يجزعك منا وحنا عصباكم

مثل الجراد إلي غدى له عمودين لو نذبح الطِرّف نعجّز رحاكم

..... انتم بذر كوثر وحنا فناكم

دحة العبكي

قال **الشاعر سليمان بن عبكي بن تمام الجعفري العنزي** أبياتًا في معركة شريفة، فذكر وقائعها كما كانت، دون تهوينٍ من شأن خصمٍ، ولا تزويقٍ لانتصار، محافظًا على ميزان الشرف الذي عُرف به شعر الفرسان، فجاء شعره شاهدًا على اليوم، يصف الميدان، ويُثبت أسماء الرجال،

ويقرّ بما وقع من كرٍّ وفرّ، وغلبةٍ وخسارة، بصدقٍ لا تحجبه العصبية، وهكذا يكون الشعر حين يخرج من قلب صادق؛ توثيقًا أمينًا قبل أن يكون مفاخرة، وسجلًا للتاريخ قبل أن يكون زهوًا قبليًا، فقال:

دليم يوم الفى من حجه - ليا تقل برمح تسجه - يبكي غثيث الشيبان

يابنيه جيناهم صوله - حنا شدينا من خوله - سمعنا الديره منزوله - الديره عقب الجدان

حنا طلعنا مع شفا - ما حنا عليكم خفا -والرمي عليكم ضفا - إيدا وأولاد سليمان

كدينا عليهم كده - والنذل واقف ماوده – وردونا دون الابل ورده - نعم بالاود الشجعان

الإيدا ضربهم عرض - رصاصه يقل الأرض – من يمنا خطو الديقان

راعي الذلول المزيونه - شرد وربعه ينخونه - حط النوازي من دونه - يالربع لاتلومونه -والله ياحمسونا حمسه - والاشهب شارقه شمسه - مثل ابا قبيس الدخان

اهبوا هبيتوا خلق الله - تبون اجحد ثناء الله - يا با الزعيم انه قوماني

ثناهم ما اجحد ثناهم - يامشعان اقطع طرياهم -تكره الخيل ملاقهم - شطير عيون ويمان

ماشفتوا يامال النجم -يوم ادرقنا بالرجم - والكبري هاجمنا هجم - حادينا حس النونان

الطيب يامال الجنه - يوم الركايب طشنه - في خشم القاره كبنه - اخو مجلي الثمان

خيلنا للابراق كظت - وخيلهم للتالي جظت - نعم بعيال الشجعان

هم ضروية حرايب - لاطوا جنين للشايب - خلوه يدوج فروان

شريفه مااحد نزلها - ريحتها ساقت باهلها - من ضرب سلاح النونان*

(بندقية روسية بزند وكان سابقا يستخدمون بندقية الفتيل)*

عيال عبس

ذكرنا أن أهل جزيرة العرب عاشوا حياةً قاسية، تحكمها ندرة الموارد، وتقلبات المناخ، وصراع البقاء، وما تقدم من وقائع يعكس جانبًا من تلك الحال، حيث كانت الغزوات، والوقائع جزءًا من منظومة اجتماعية، واقتصادية فرضتها طبيعة البيئة، وما حدث في شريفة ليس استثناءً، بل حالة من حالات مماثلة تكررت في سياق تلك المرحلة؛ صداماتٌ تُولد من التنافس على الماء والمرعى، وتُحسم بالشجاعة، وعدد الرجال، وحسن التدبير، وفي هذا المعنى أجاد الشاعر المتأخر **نايف العواجي**، إذ صاغ تلك الروح القاسية بلسانٍ صادق، فصوّر طبيعة المرحلة، وربط بين الفعل وسببه، وبين الشدة التي عاشها الناس، وما نتج عنها من أيامٍ، ووقائع، فقال:

أما شريفه كل واحد حكى به تاريخ والتاريخ مبطي يحكي به

ما فيه شك أن الرشيدي رعى به بجموع عبس المذهلات المهيبه

تشهد لهم خديجة مع سحابه صوارم ما فيه شك وريبه

ديارنا يوم الرشيدي وطابه صارت على مشعان مثل المصيبه

نخضنا سليمان أهل المجابه وأرسل للأيدا والمواقف صعيبه

وقبل يجي فرحان صارت ركابه وعقب الظهر نال الحريب بحريبه

يعني ذبحنا شيخهم بالطلابه واستيسروا فرحان فوق النجيبه

ومنا ومنهم طاح موت وإصابه واللي حسبهم جعل ربي حسيبه

اللي حسبهم ما هو أكيد حسابه نقول ويقولون حسبه مريبه

وقفت ركاب الضد كلن درى به منزحين عن الديارالخصيبه

عيال عبس بيومها كالذيابه وأفعالهم تمدح ولا هي معيبه

وعيال وايل ملحقتهم معابه ديارهم ما أحد سكنها غصيبه

الناس كانت عايشه وسط غابه ومن لا تحيزم حق ربعه غديبه

واليوم ما بين النشاما طلابه الطيب اللي يذكر الناس طيبه.

الفصل الرابع

زمن معزي

معزي

معزّي لقب اشتهر به الملك عبدالعزيز، ويُفهم منه أنه يُعزّي خصومه بعد الغلبة، ولا يحمل ضغينة شخصية، بل يتجاوز الخصومة إلى بناء الدولة، واستيعاب الجميع تحت راية واحدة.

عاشت جزيرة العرب قرونًا طويلة من التمزق السياسي بعد سقوط الدولة الأموية، وتعاقبت عليها قوى محلية وإقليمية لم تشكل دولة جامعة مستقرة، ومع قيام الدولة السعودية الأولى عام 1744م حدث أول مشروع سياسي يوحّد أجزاء واسعة من نجد، لكنه سقط عام 1818م، ثم قامت الدولة السعودية الثانية، واستعادت الاستقرار نسبيًا، إلا أن الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي أدى إلى انهيارها، فعادت الفوضى والصراع، وفي أطراف الجزيرة العربية وُجدت كيانات مستقرة نسبيًا مثل:

الكويت، البحرين، قطر،إمارات ساحل عُمان ـ (التي أصبحت لاحقًا الإمارات العربية المتحدة).

لكن هذه الكيانات كانت محدودة جغرافيًا، ولا تمثل وحدة سياسية شاملة للجزيرة العربية.

عام 1902م استعاد عبدالعزيز آل سعود الرياض، وبدأ مشروعًا طويل النفس لإعادة توحيد البلاد، لم يكن مشروعه غزوات متفرقة، بل تأسيس دولة مركزية تنهي الثارات، وتضبط الأمن، وتوحّد الولاءات، استمر الكفاح ثلاثة عقود تقريبًا، حتى أُعلن توحيد البلاد باسم المملكة العربية السعودية عام 1932م.

لقب "**سور العوجا**" الذي يُطلق عليه يعكس رمزية الدرعية **(العوجا)**، باعتبارها موطن الدولة السعودية الأولى، وكأن عبدالعزيز آل سعود أعاد بناء سورها السياسي والمعنوي، ولكن على نطاق أوسع.

كان للقبائل دور محوري في مشروع التوحيد، ومنها **قبيلة الرشايدة**، التي شاركت في مراحل مختلفة من التأسيس، ضمن سياق التحالفات التي اعتمد عليها الملك عبدالعزيز في بسط النفوذ، وترسيخ الأمن، فمشروع الملك عبدالعزيز آل سعود لم يكن مجرد استعادة حكم عائلي، بل انتقالًا من حالة التمزق إلى الدولة المركزية الحديثة، وقد تمخّض المشروع عن تأسيس كيانٍ سياسيٍّ مستقرٍّ أنهى حالةَ التمزق المزمنة، وأقام بنيةَ دولةٍ ما تزال قائمةً حتى كتابةِ هذه السطور 2024م.

دور قبيلة الرشايدة

في

قيام المملكة العربية السعودية

عندما نزل الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، وأسرته، ومن معه إلى الكويت سنة 1309هـ/1891م، استضافته أسرة العربيد الرشيدي.

العامر

أعقب خروج الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود إلى الكويت سنة 1309هـ/1891م نزوله ضيفًا على أسرة العربيد، وتولّى استضافته **الشيخ عربيد العامر الراجحي الرشيدي،** المعروف بعربيد الخيل، أحد وجهاء الكويت.

عربيد الخيل

كان الشيخ محمد بن صباح الصباح حاكمًا للكويت وقت نزول أسرة الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود فيها سنة 1309هـ/1891م، وقد تزامن ذلك مع اهتمامٍ من الدولة العثمانية بمتابعة تحركات الأسرة، في سياق رقابتها للتوازنات السياسية في المنطقة، وعند وصول **الإمام عبدالرحمن،** أرسل **الشيخ محمد الصباح** طعامًا إليهم **(معاليق)**، غير أن **الشيخ عربيد العامر**

الرشيدي رأى أن مقام الضيافة يقتضي ما هو أوسع من ذلك، فبادر إلى ذبح الذبائح وتقديمها للأسرة، واستمر على ذلك كلما قدم ضيف على الإمام، حتى عُرف بلقب «**مُقري الإمام**»* أو «**مُضيّف الإمام**»، وكان عربيد من كبار التجار، وعُرف بلقب «**عربيد الخيل**» لامتلاكه مربطًا للخيل الأصيلة، ولا سيما من سلالة الحمدانيات، وهي من السلالات العربية المشهورة.

العربيد والملك عبدالعزيز

كان للشيخ عربيد بن زبن بن عربيد العامر الرشيدي مواقف مشهودة مع الأسرة السعودية خلال إقامتها في الكويت؛ فقد أهدى الملك عبدالعزيز فرسين من مربطه، تعبيرًا عن وفائه ودعمه، كما يُذكر أن الملك سعود بن عبدالعزيز كان أول من أرضعته هيا العربيد، زوجة **النوخذة محمد العلبان الرشيدي***، في دلالة على عمق الصلة الاجتماعية بين الأسرتين، وعند خروج الملك عبدالعزيز من الكويت ضمن القوة التي ساندها الشيخ مبارك الصباح، زوّدهم عربيد بالخيل دعمًا للتحرك العسكري، وقد ظل الملك عبدالعزيز يذكر لعربيد تلك المواقف، تقديرًا لما قدّمه من مؤازرة ووفاء.

كتاب (الكويت وقبيلة الرشايدة)*

مقتل العربيد

في سياق التوترات الإقليمية التي شهدتها المنطقة مطلع القرن الرابع عشر الهجري، أغار حاكم حائل عبدالعزيز بن متعب الرشيد على أطراف الكويت، وكان الشيخ عربيد بن زبن بن عربيد العامر الرشيدي آنذاك في موضع يُعرف بـ«**خبراء العربيد**» جنوب غرب مدينة الكويت، في المنطقة التي تقع اليوم ضمن نطاق كبد (**داخل إذاعة كبد**)، بين أنعامه ومواشيه، وقد أشار عليه بعض الناس باللجوء إلى داخل سور الكويت اتقاءً للخطر، غير أنه آثر البقاء في موضعه، وكان يقيم عنده رجل من أهل الطائف، أحسن إليه عربيد وضمه في ضيافته، فلما ارتحل الناس، طمع ذلك الرجل في الشيخ المسن — **وكان قد قارب التسعين من عمره** — فاعتدى عليه طعنًا، ثم استولى على ما استطاع أخذه من النَّعَم وفرّ هاربًا، ولمّا عاد أبناء عربيد وجدوه في الرمق الأخير، فأخبرهم باسم قاتله قبل أن يُنقل، غير أنه فارق الحياة قبل أن يبلغوا به الكويت، وذلك سنة 1327هـ/1909م، رحمه الله.

الملك عبدالعزيز يثأر لعربيد

بعد أن بسط الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود نفوذه على نجد، قدِم إليه الرجل الذي قَتَل الشيخ عربيد، وكان قد انضم إلى جماعات «**إخوان من طاع الله**»، وأخبر الإمام بأنه قتل الكافر عربيد، وذكر ذلك على وجه الافتخار، مشيرًا إلى السيف الذي استعمله في قتله، فطلب الإمام أن يُريه السيف، فلما قبض عليه عاجله بضربةٍ أنهت حياته، مستنكرًا فعلته، ومُعبرًا عن وفائه لعربيد قائلا :

.

(تاريخ المياه في دولة الكويت، مفلح الجبر)*

«تذبح اللي لحم كتافي من خيره»

صغت أبيات بمقتل عربيد ووفاء الملك عبدالعزيز:

يا دار الكويت اشهدي فعل الأجواد

في خبرا العربيد يسطع له سداد

ضيّف الإمام بساعةٍ كلها انكاد

عبدالرحمن وجاه همٍ وزهاد

مدّ الذبايح والكرم له ميعاد

ما قال يكفي والليالي شداد

ظلّل عيال المجد من حرّ ونقاد

وفعل الرجال يوزن بثقل الأوتاد

وأهدى لعبدالعزيز من خيله جياد

من مربط حمدانياتٍ شداد

يوم انطلق يمشي على درب الأجداد

مع جيش مبارك والسيوف حداد

لكن غدر واحدٍ خسر كل ميعاد

خان الذي ستره بظلّه وأنجاد

طعنه وهو شيخٍ كبيرٍ بالأمداد

والغدر طبعه ما عرف ستر الأسياد

يوم الخبر جا للملك دون ميعاد

عبدالعزيز اللي على العدل معتاد

قالوا تفاخر بسيفه بين الأنشاد

طلب سلاحه ثم جرّده بإراد

وضربه وقال والوفا فيه وقّاد:

"تذبح اللي لحم كتافي من خيره" وكاد

ذاك الوفا ما هو سوالف وأوراد

فعلٍ يخلّد في صحايف وأشهاد

عربيد باقٍ في مواقف وأمجاد

والطيب يبقى لو تعاقبت أعداد.

الشيخ مبارك

شهدت الكويت في أواخر القرن التاسع عشر اضطرابًا سياسيًا كاد يفضي إلى انتقال السلطة إلى الشيخ يوسف الإبراهيم، في ظل تنافس داخلي وتعقيدات إقليمية، بَيد أن الشيخ مبارك بن صباح الصباح استطاع تثبيت حكمه بعد أن استنجد بقبيلة الرشايدة، فلبّت القبيلة النداء، وأسهمت في دعمه ومساندته حتى استقر له الأمر، عُرف الشيخ مبارك بدهائه السياسي وقوة حضوره، وخلال فترة حكمه (1896–1915م) تعزّز نفوذ الكويت، واتسع أثرها في محيطها، وكانت قبيلة الرشايدة أبرز من ناصروه في تلك المرحلة، ووقفت معه موقف النجدة، والمروءة في ساعة الحسم*، وعندما تمكّن الشيخ مبارك من تثبيت حكمه، أنشد أبياتًا ردّدها أهل الكويت في عرضاتهم، جاء فيها:

الصباحي رشيدي

والرشيدي صباحي

خُوَّةٍ ما تبيدي

وأنا أشهد إنه عضيدي

يوم زُرْق الرماحي.

شكّل عهد الشيخ مبارك الصباح مرحلة مفصلية في تاريخ العلاقة بين الكويت وآل سعود؛ إذ أتاح لهم بيئة سياسية آمنة نسبيًا، مكّنتهم من إعادة ترتيب صفوفهم، وبناء شبكات التواصل، فكانت الكويت منطلقًا أساسيًا لعودة الملك عبدالعزيز إلى نجد، وبداية مشروع التوحيد.

المرزم

يُعرف ناصر الشهري بلقب «**المرزم**»، وهو من قبيلة الرشايدة، من عائلة **الشهري** المنتمية إلى بني جامع من النميان، الذين اشتهروا بمشيخة المهيمزات في الكويت، وقد تعزّز حضوره الاجتماعي والسياسي بزواجه من ابنة **الشيخ مبارك بن صباح الصباح**، مما وثّق الصلة بين أسرته وأسرة الحكم في تلك المرحلة*.

ابن هدبا

تُعَدّ قبيلة الرشايدة من القبائل المعروفة بإتقان الدلالة، ومعرفة الطرق، والاتجاهات، غير أن عائلة الهدبا برزت في هذا الميدان حتى تصدّرت المشهد بين القبائل، لا في زمنها فحسب بل في امتداد التاريخ، إذ قلّ أن تُذكر أسرة توارثت هذا العلم جيلاً بعد جيل كما توارثته، ولم يُعهَد دليلٌ يُضاهِي أدلّاءها خبرةً، ودقةً، وحضورًا*.

(الكويت وقبيلة الرشايدة)*

(تاريخ الكويت السياسي، حسين خزعل)*

(كتاب ابن هدبا، هدلان)*

راعي الحرشة

مثعي ابن هدبا، المعروف بـ«**راعي الحرشة**»، دليل الصحراء الشهير، وُلد – على الأرجح – سنة 1256هـ (1840م)، وتوفي سنة 1325هـ (1908م)، لم يكن مثعي مجرد عارفٍ بمسالك البراري ومناهلها، ولا رجل اتجاهاتٍ وأدلاء فحسب؛ بل كان فارسًا له مكانته بين قومه،

وصاحب حضور وهيبة في الميدان، جمع بين دقة الدلالة وصلابة الشكيمة، فكان اسمه يُذكر في موارد الطريق كما يُذكر في مواطن الشدة، ومن أشهر الوقائع التي كشفت عن منزلته، قصته في تحدّيه لأحد كبار مشايخ قبيلة شمر، **الشيخ سند الربع**.

سند الربع*

سند الربع، من التومان من قبيلة شمر، **راعي العليا**، شيخٌ وفارسٌ ذائع الصيت في جزيرة العرب، كان حاضرًا يومًا في مجلس **الشيخ مبارك الصباح**، وكان مثعي بن هدبا «**راعي الحرشة**» حاضرًا في المجلس نفسه، فالتفت الشيخ مبارك إلى مثعي وقال:

"مثعي، علّمني وين غزيت هالمرّه؟"

فأخذ مثعي يسرد أخبار غزواته، يتحدث بثبات وجسارة، وصوته يحمل قوة الواثق بما يقول، استغرب سند الربع طريقته في الخطاب أمام الشيخ مبارك، ورأى فيها حدّة لم يألفها، كما لم يقتنع بما سمع من أخبار الغزو، فقال معترضًا:

"أنت ابن هدبه اللي تاخذ الناس؟ والله لو كان حلالي ما غزيته، ولا تقدر تاخذه"

رفع مثعي نظره إليه وقال:**"أنت سند الربع؟"**

قال: **نعم**.

قال مثعي: **"والله لأجيك وآخذ حلالك"**

فرد سند متحديًا:**"إن كنت قدّ كلامك يا مثعي، واجهني"**

فأجابه مثعي بثبات:**"والله لأجيك وآخذ حلالك يا سند"**

وهكذا تحوّل مجلس الشيخ مبارك إلى ساحة تحدٍ صريح بين فارسين؛ أحدهما شيخٌ مشهود له، والآخر دليل صحراء لا يقل بأسًا، فأثبت مثعي أنه لم يكن رجل طرقٍ فحسب، بل صاحب جرأة ومقام يُحسب له حساب.

مثعي الهدبا وسند الربع

عاد سند الربع إلى دياره وهو يظن أن الأمر قد استتبّ، فإذا براعي الحرشة يباغته، ومعه لفيف من الرشايدة، فاستاقوا إبلًا كثيرة، وعادوا بها إلى الكويت، بلغ الخبر سندًا، وقيل له إن الذي فعلها مثعي بن هدبا، فلم يصدّق بادئ الأمر، ثم أخذ يُبيّت مثعي وقومه أشهرًا، حتى ظفر بهم، فأغار عليهم، واستردّ شيئًا من الإبل، عندها أقسم راعي الحرشة ألا يقرّ له قرار حتى يأخذ بثأره، فعاد يُبيّتهم كما باتوه، ولم يلبث مثعي أن أغار على قوم سند، فأخذ إبلهم، وفيها إبل سند نفسه، وساقها ليلًا، غير أن سندًا قطع الطريق عليهم، ونزل على المورد، وهو الماء الوحيد في تلك الفيافي، وكان القيظ قد اشتدّ، رأى مثعي المشاعل تلوح من بعيد، فعرف أن سندًا سبقه إلى الماء، فوقف والتفت إلى من معه من الشباب، وقال:

"هذا سند وربعه سبقونا على المورد، ومانا خلص... وش الراي؟"

قال ناشي الشريكة، وهو لم يتجاوز العشرين: **"عليهم... عليهم"**

ابتسم مثعي وقال:

"خيّال الحرشة ثاعي ماخذ أباعر أهل السعفة و أوردها عليهم، ما تصير هذي، والله إني خابر جليب جيتها مع أمي وأنا صغير، لي عنها أكثر من خمسين سنة... ونبي نجيها الليلة"

ومضوا في ليلٍ مطبق، لا تُرى فيه الكف، يهبطون ويرتقون، ومثعي يتقدّمهم كأنه يعرف الطريق

(الكويت وقبيلة الرشايدة)*

بعينه لا بظنه، كلما قطعوا مسافة، وقف يتحسس الأرض، والريح، ويقول:

"خيّال الحرشة ثاعي شيء جايه وأبي أضيّعه... والله لدلّه ثم أدلّه ثم أدلّه"

حتى إذا انتصف الليل قال:

"يالربع، قدّامنا طلح، وفيه فيضة تمرح فيها أباعر قصيبه، إن ضربنا الطلح دلّينا"

ساروا ساعة، فأحسّوا بريح الطلح، وسمعوا حسّ الإبل، فعلموا أنهم على مقربة، تقدموا حتى شعر مثعي بقرب الجبّ، وكان أخوه متعب يسير بمحاذاته، فقال فجأة:

"وقف! وقف يا متعب... حول! تراها حدرك، لا تطيح فيها"

كان عند الجبّ رجل نازل عليها، فسمع التحذير، وذهل، وصاح! وهو يركض نحوهم:

"أشهد بالله ان معكم خريت"

ظل يكررها حتى بلغهم. فقال مثعي، وهو يضرب رأسه بكفه:

"أنا الخريت... وأنا خو حسنه"

نظر الرجل إليه مبهوتًا وقال:

"كيف تقود هالجيش في هالظلام، وتقول له حول لا تطيح فيها... وحنا نخاف نطيح فيها بالليل، وحنا نعرفها؟"

يم مثعي ردوا لي سلامي

كانت نسوةٌ من قبيلتي الرشايدة ومطير يردن الماء، يسقين ويملأن القِرَب ساعة ورود الإبل، وكان مثعي لا يرى أن يختلط ورود النساء بورود الإبل، خشية أذى أو فوضى، فلما أبصرهن عند المورد اشتدّ عليه الأمر، فزجرهن، وأبعدهن عن الماء، وأخذ قدر إحداهن فرماه وهو مغضب، فثارت عليه بالقول، وسبّته دون أن تعرفه، وكانت **النيرة بنت لامي المطيري**، من بيت مشيخة.

قالت لها النسوة: **أما عرفتِ هذا الشيخ؟**

قالت: **لا.**

قلن: **هذا راعي الحرشة... مثعي.**

فوقع الاسم في نفسها موقعًا ثقيلًا، وندمت على ما بدر منها، ولم تكن فتاةً عادية، بل شاعرة تجيد الاعتذار كما تجيد الفخر، فأرادت أن تسترضيه بقولٍ يرفع قدره، ويُذهب أثر غضبه، فقالت:

آه وا ويلاه وعزي لحالـي من جواب ظهر مني بزلـه
يم مثعي ردو لي سلامـي لو رمى الجدر وحبل الدلو تله
ان ذكر خايعن نبته وسامـي مثعي اللي في قطعانه يحلـه
وان زمل عد من دونه مضامي مثعي اللي على العيرات دلـه.

بلغت أبياتها مسمع مثعي، فاستقرّ في نفسه منها شيء، ثم أغار على القرّ العتيبي، فأصاب إبلاً، وفيها جملٌ حسن المنظر، فانتخبه، وأهداه للنيرة مكافأةً لقولها، ويُروى أن النيرة ماتت بعد عقود، وبقي الجمل حيًّا في أهلها*.

صايد و مثعي

كان صايد ابن هدبا، شقيق مثعي الأكبر، لا يقلّ دلالةً عن أخيه، بل كان يُضرب به المثل في معرفة الفيافي ومسارب الدروب، وفي يومٍ من الأيام، وهما في سفرٍ لغرضٍ لهما، وقعا في أرض الدبدبة - **وهي فلاةٌ ممتدة جنوب غرب الكويت** - على بيض حبارةٍ بين الرمال، مضى أسبوع وعادا ليلًا في ذات الطريق.

قال صايد: **مثعي، أدلّ أنا أم أنت يا راعي الحرشا؟**

مثعي: **وش الرأي؟**

صايد: **الرأي على بيض الحبارة اللي شفناه في الدبدبة.**

مثعي: **توكّل على الله.**

وسارا في ظلمة الليل، والناقة تحاذي أختها، حتى وقفا بعد ساعةٍ في موضعٍ واحد، قد التصقت الناقة بالأخرى.

مثعي: **وين البيض يا صايد؟**

صايد: **على يسار رجل الناقة.**

مثعي: **غديتُ وأنا راعي الحرشا حول، وشفهن على يمين رجلها.**

فلما نزلا، كان قول مثعي أصح، وهذا لا ينقص من قدر صايد في الدلالة، فكلٌّ منهما من بيتٍ عُرف بهذه الخصيصة، وامتازت بها عائلة الهدبا، حتى تصدّروا راية الدلالة في بواديهم، وأُخذ عنهم الطريق كما يُؤخذ عن المعالم الثابتة.

مشلح ابن هدبا

تميّز **الملك عبدالعزيز آل سعود** بدهاءٍ سياسيّ، وبُعد نظرٍ إداريّ مكّناه من اختيار الرجال الأكفّاء لكل مرحلة من مراحل مشروعه في توحيد البلاد، ولم يعتمد على القوة العسكرية وحدها، بل جمع بين السيف والعقل، وبين القيادة المركزية، ومعرفة الرجال الميدانية، ومن هؤلاء **مشلح بن مثعي ابن هدبا الرشيدي**، الذي عُرف بدلالته الدقيقة في الفيافي، ومسارب البادية، حتى قيل إنه كان دليل الملك الأول، وقد رافق الملك منذ انطلاقته من الرياض في مسيرة التوحيد، وظل معه خلال مراحل الكفاح حتى تحقق التوحيد، واستتبّ الاستقرار.

لم تكن الدلالة عملاً ثانويًا، بل كانت ركيزة عسكرية وأمنية؛ إذ إن معرفة الطرق، ومواطن الماء، ومسالك الالتفاف، تعني سلامة الجيش، وسرعة الحركة، ومباغتة الخصم، ولهذا علت شهرة **مشلح ابن هدبا** في باب الدلالة حتى فاقت شهرته فارسًا مقاتلًا، وشاعرًا، مع ما عُرف عنه من بأسٍ في الميدان وبلاغةٍ في القول، فقد ذكر **الراوي منديل الفهيد** أبيات لمشلح ابن هدبا:

يوم أزعلنك لابسات الدناديش حطيت فينا يا خو هيا عذاريب

عذروبنا لقيل حوفوا على الجيش نبحث خفا المردم بلح العراقيب

معنا مداغيش القبايل دراويش إن جت نجوم الليل مثل المشاهيب.

وسأبيّن سبب تلك الأبيات المتقدمة، وهو مما سقط عند الراوي الفهيد؛ إذ إن منشأها أن فتاةً هَوِيتْ مشلحًا، وكان **الفارس جدوع الإصلوت العجرمي الرشيدي** يميل إليها، ويُضمر لها الحب، فلما علم أن هواها قد استقرّ لمشلح، قال أبياته:

سَيَرت يم صويحبي زين العود طارٍ عليّ من الحبيّب وردي

لقيت ذا العماهيك طاروح طير الحباري يهدي

قلت اقعد قال عجل وأبي أروح ماني من يقعد على غير ودي

الحر لامن انتزع عقب اللوح لركزو له بالشبك ما يهدي.

أعظم دليل ومتقفي أثر عرفته جزيرة العرب

عرفت نجد أدلاء برزوا أفرادًا، مثل ـ **جفران المعلكي، وخميس بن رمثان، وماجد بن خثيلة، وسهل القوس** ـ؛ وكلّهم ذاع صيتهم في جزيرة العرب بما امتازوا به من معرفة المسالك واقتفاء الأثر، إلا أن **عائلة الهدبا** تميّزت بأن شهرتها لم تقف عند فردٍ بعينه، بل اقترنت باسم العائلة بأسرها؛ إذ عُرفت بالدلالة جيلاً بعد جيل، حتى صار رجالها يُذكرون في طليعة الأدلاء الذين عرفتهم البلاد، وتذكر **غيرترود بيل** في مذكّراتها، حين كانت برفقة الملك عبدالعزيز آل سعود، وقد رأت **مشلح ابن هدبا**، قولًا يفيد مكانته؛ إذ تصفه بأنه كان يقف دليلًا للملك، وربما كان **أعظم دليل ومتقفي أثر عرفته جزيرة العرب**، وتضيف في وصفه أنه كان ذا منظر مهيب، قد صبغ شعره بالحنّاء، وأكحل عينيه، وخلفه فصيلٌ من الأدلاء ينتظمون وراءه.



غيرترود بيل

تضيع النجوم في السماء

ولا

يضيع ابن هدبا في الأرض

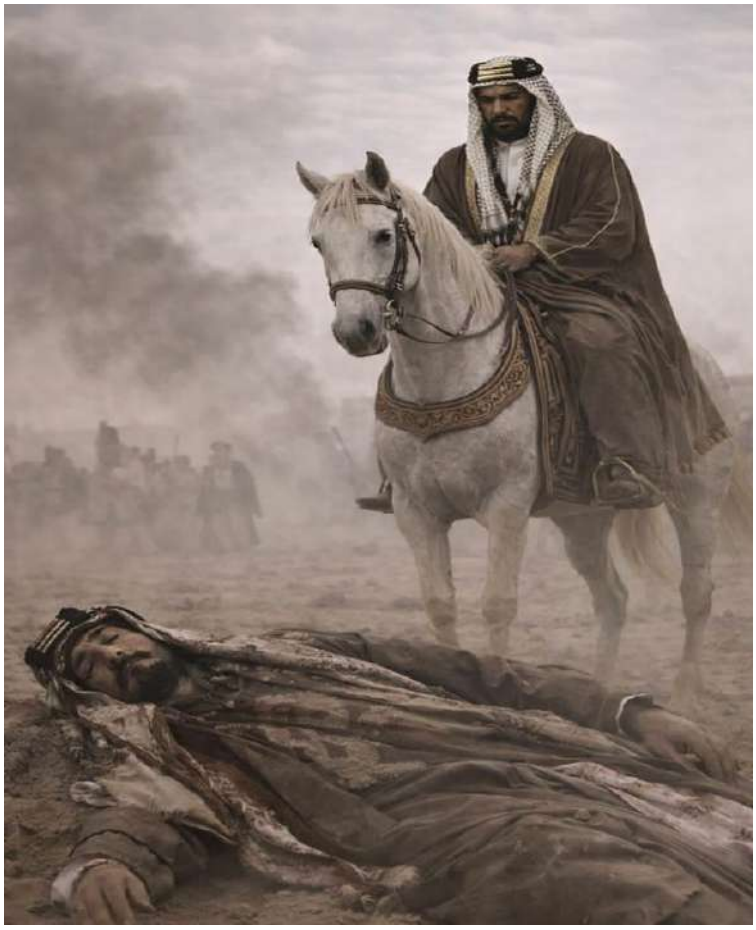
بهذه العبارة يُختصر معنى الدلالة عند آل الهدبا؛ فكما أن النجوم تهدي الساري في ليله، كان ابن هدبا هو النجم الهادي في أرضٍ لا ترحم من يجهل مسالكها.

بدأ مشلح ابن هدبا الرشيدي مسيرته حين سار إلى الرياض مرافقًا **الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود** وأسرته، وذلك بعد عامٍ من استرداد الرياض على يد **الملك عبدالعزيز آل سعود** سنة 1902م، ومنذ وصوله، لازم الملك عبدالعزيز في مسيرته، يشهد تحوّله من إمامٍ إلى سلطانٍ، ثم إلى ملكٍ أعلن قيام **المملكة العربية السعودية**، لم يكن مشلح ابن هدبا مرافقًا عابرًا، بل كان عنصرًا ميدانيًا فاعلًا في حملات التوحيد؛ إذ إن الدليل في تلك المرحلة كان عين الجيش في الصحراء، يعرف موارد الماء، ومسالك الالتفاف، ومواضع الكمين، وقد نُسب إليه دورٌ مؤثر في الوقائع التي انتهت بمقتل **عبدالعزيز بن متعب الرشيد** في معركة **روضة مهنا** سنة 1906م، وهي معركة مفصلية في تاريخ الصراع بين **آل سعود** و**آل رشيد**، بهذا يتضح أن مقولة «**ولا يضيع ابن هدبا في الأرض**» لم تكن مبالغة شعرية، بل توصيفًا لمهارةٍ صنعت أثرًا في مسار الأحداث.

مقتل الجنازة

بعد أن ضمّ الملك عبدالعزيز آل سعود أقاليم **ـ الوشم والأفلاج والصمان والقصيم ـ**، بقيت القصيم ساحة سجالٍ بينه وبين عبدالعزيز بن متعب الرشيد، الذي مُني بنكباتٍ متتالية أمام قوات عبدالعزيز آل سعود، فطلب ابن رشيد مددًا من العراق، وضرب معسكره في روضة مهنا ينتظر قدومه من الشمال، عندها قرر عبدالعزيز المباغتة ليلًا، وأسند المهمة إلى مشلح ابن هدبا ليلتفّ بالقوة حول معسكر ابن رشيد، ويأتيه من جهة الشمال، كانت السماء مكتظّة بالغيوم، والظلام حالكًا لا يُرى فيه الرجل بجوار صاحبه، ومع ذلك مضى مشلح بالرجال حتى أبلغهم أن القوم أمامهم بنحو ثلاثة كيلومترات، كانت الخطة تقوم على خداعٍ محسوب: أن يظن جيش ابن رشيد أن القادم من الشمال هو المدد المنتظر.

أمر عبدالعزيز رجاله أن يسيروا ببطء، وألا يبدؤوا الهجوم حتى لو أُطلقت عليهم النار، وأن يحافظوا على الصمت التام، سمع معسكر ابن رشيد وقع الخيل، وخطى الرجال، فغلب على ظنهم أنه المدد، ولو كان عدوًا—**هكذا قدّروا**—لاستحال أن يهجم في مثل هذا الظلام، أُشعلت المشاعل، فعمّم عبدالعزيز أوامره: ادخلوا بهدوء، ومن يسأل «**من أنتم؟**» فليُسكت فورًا، ومن يتكلم يُطلق عليه النار وأنتم على سكينتكم، تسلّل رجال ابن سعود بين الخيام، وبدأ الاضطراب يعمّ المعسكر، خرج عبدالعزيز الرشيد ـ الجنازة ـ فزعًا، ورأى الراية مرفوعة فظنها رايته بيد خادمه فريخ، وصاح: «**من سمح لك ترفع الراية يا فريخ؟**» فإذا هي راية ابن سعود، تعرّف رجال عبدالعزيز على صوته، فاتجهت البنادق نحوه، وأُطلقت النار، فقُتل سنة 1324هـ/1906م في شهر مارس، وتفرّق جيشه، وحُسمت المعركة التي غيّرت ميزان القوى في نجد، وبهذه الليلة اجتمع دهاء الخطة، وصلابة الانضباط، ومعرفة الأرض، فكان الظلام سلاحًا، والمباغتة حسمًا.



صورةٌ تخيُّليةٌ تُجسّدُ مصرعَ عبدالعزيز الرشيد في ميدان المعركة، بينما يقف الملك عبدالعزيز آل سعود على صهوة حصانه.

ابن رشيد وبني رشيد

كانت علاقة قبيلة الرشايدة بحكام حائل علاقةً متقلبة تبعًا للمرحلة السياسية، والظروف المحيطة، فقد اتسمت علاقتهم بـ **محمد بن عبدالله الرشيد** بالقوة، والمتانة، وكذلك مع **عبدالعزيز بن متعب الرشيد**، حيث ارتبطت المصالح العسكرية، والتحالفات القبلية في إطار النفوذ الرشيدي بنجد، وعقب الاضطرابات التي أعقبت مقتل عبدالعزيز بن متعب سنة 1906م، برز دور بعض بطون الرشايدة في دعم التحركات داخل حائل، فساندوا **حمود السبهان** في دخوله حائل، وتنصيب ابن أخته الصغير **سعود بن عبدالعزيز بن متعب الرشيد** حاكمًا عليها، على أن يتولى حمود السبهان الوصاية الفعلية وإدارة الحكم، ويُذكر أن غالب المشاركين من قبيلة الرشايدة في تلك المرحلة كانوا من البراك.

سلطان ابن رشيد

تولّى سلطان بن حمود الرشيد الحكم في حائل بعد أن قَتل ابنَ عمه الأمير متعب بن عبدالعزيز الرشيد، وقضى على عددٍ من إخوته، فيما نجا سعود بن عبدالعزيز، إذ هرّبه خاله حمود السبهان إلى المدينة المنورة وهو صغير السن، سعى سلطان إلى تثبيت حكمه عبر تحالفات إقليمية، فأقام تحالفًا مع أمير بريدة محمد بن عبدالله المهنا، وكذلك مع فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير، وتوجّهوا جميعًا لقتال الملك عبدالعزيز آل سعود في معركة الطرفية سنة 1326هـ/1907م، إلا أن المعركة انتهت بانتصار عبدالعزيز، وكانت من الوقائع التي رسّخت تقدّمه في القصيم وأضعفت موقف آل رشيد سياسيًا وعسكريًا.

النقرة

تنقل بعض الوثائق، والروايات المتداولة في نجد أن سلطان بن حمود الرشيد، بعد عودته إلى حائل، سعى إلى تثبيت هيبته في البادية وإظهار قوته، فجمع جيشًا، وتوجّه نحو جماعات من قبيلة الرشايدة، وكان أغلبهم من المهيمزات والقلادان، نازلين بأهلهم وأموالهم على مورد ماء يُعرف **بـ**

ـ النقرة ـ ودارت هناك مواجهة عنيفة استُعمل فيها السلاح الأبيض، واشتد القتال حتى انكسرت قوة سلطان الرشيد، وتراجع بعد أن خسر رجالًا وإبلًا، وتذكر الأخبار أن الرشايدة غنموا إبله، ووسموا عليها وسمهم **ـ الكفه ـ**، فوق وسم آل رشيد المعروف **بـ ـ امطَقِع ـ**، والذي كانت البوادي تسميه لما يرمز إليه من رهبة وسطوة، وتُؤرَّخ هذه الوقعة بسنة 1326هـ/1907م، في سياق الاضطرابات التي أعقبت الصراع الداخلي في بيت آل رشيد، وهي مرحلة اتسمت بتبدّل التحالفات وتعدد المواجهات بين القوى القبلية في نجد.

فقال الشاعر :

ياجراد طار ماوقع — وارد النقره يبي ماها
قال وقع قال ماوقع — ديرتبي يابعد ممساها
يوم حضرم*وسطهم صقع — بندقه يازين مرماها
كم رحول حسها صرقع — لجة الضلعان برغاها
وكم ذلول وسمها مطقع — فوقها الكفه وسمناها
وكم هنوف طشة البرقع — طار بخنقها بيمناها.

(حضرم بن هنيدي القلادي)*

سعود الرشيد

في سنة 1327هـ/1908م تحرّك حمود السبهان من المدينة المنورة متجهًا إلى حائل، وبرفقته الصغير سعود بن عبدالعزيز بن متعب الرشيد، وكان في نحو العاشرة من عمره، وجاء هذا التحرك بعد أن راسله عددٌ من وجهاء حائل، وقد سئموا من حكم سعود الحمود الرشيد، طالبين التغيير، استنجد حمود السبهان بمجموعة من الرشايدة ليؤمّن دخوله حائل، ويُحكم السيطرة على المدينة، فساروا معه حتى دخلها دون مقاومة تُذكر، وفرّ الحاكم السابق، وبذلك نُصّب سعود بن عبدالعزيز حاكمًا على حائل، وتولّى حمود السبهان إدارة الحكم نيابةً عنه لصغر سنّه.

كريم نجد

الكرم كالشجاعة؛ محبوبٌ في النفوس، عسيرُ المنال في ذُرى سنامه، وقد بلغ **علي بن ناصر القنور** تلك الذروة في زمنه، حتى لُقِّب بـ: **منادي بالعشا، راعي الجنيفاء، حاتم نجد، مشبع الجوعان، كريم نجد**، لم يكن يغزو ليُنفق، ولا يغير ليُطعم من أموال غيره، ولم تسنده دولة بمالٍ أو مؤونة، بل كان يعطي من خاص ماله، عن سماحة نفس، وبيته مشرع الأبواب للقريب والغريب، للمقيم والعابر، كان أهل نجد يعلمون أن كريمهم إذا أقبل الليل اعتلى قصره، أو أناب من ينادي عنه، فيصدح الصوت في الفضاء:

"يا جوعان أقبل على الطعام".

وفي زمنٍ شحيح الماء والمنبت، قد يمكث فيه الرجل يومًا أو يومين، وربما أطول، بلا زاد؛ كان هذا النداء نجاة، يقبل الجائع ليلًا، فيجد تمرًا أو بلحًا يسدّ به رمقه، فإذا كاد يشبع دعاه صاحب الدار إلى عشاءٍ قائم، فيدهشه الأمر: **أبعد هذا التمر عشاء؟** فيقوم إلى المائدة، فيرى الثريد أو الجريش تعلوهما اللحوم، ويزيدهما السمن واللبن، وربما وُضع الأرز في زمنٍ لم يكن يعرفه إلا قليل من أهل نجد، لم يكن يُطعم ليكفي، بل ليكرم.

كان قصره من طابقين، بقرب مسجد وبيوت، وبلدته مسوّرة، وفيها مخزن للعلف، يملك اثنين وثمانين رأسًا من البقر، وثلاثة آلاف من الغنم، وثلاثة أطنان من القمح، ومئات النخيل في عينٍ تقع جنوب شرق قصره بنحو كيلومترين، تحفّها الأسوار، ثروةٌ حاضرة، لكنها لم تكن حبيسة

الجدران، وكان أفقه بالناس من كثيرين؛ يعرف أن في الجوار من يمنعه الحياء أو عزة النفس من السؤال، فجعل للعطاء وجهًا خفيًّا، يُوزَّع الطعام ليلًا، ويأمر بعدم إضاءة السراج، ليأخذ المحتاج حاجته في ستر الظلام، فلا يُعرف اسمه، ولا تُخدش كرامته، هكذا كان كرمه، إشباعًا للجوع، وصيانةً للوجوه.

مناصرة القنور للإمام عبدالعزيز

كان صاحب عين القنور من المساندين لآل سعود، وقد عُرف بثبات موقفه إلى جانب الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في مراحل توحيد البلاد، لم يكن دعمه قولًا عابرًا، بل عونًا مستمرًا ومؤونةً لا تنقطع، في زمنٍ كانت فيه الموارد شحيحة، والتحركات العسكرية تعتمد على الإمداد الأهلي قبل قيام مؤسسات الدولة، وقد شكّلت حادثة أسر **الأمير سعد بن عبدالرحمن آل سعود** شاهدًا على عمق هذا السند؛ إذ بدت فيها ملامح الوقوف الصريح إلى جانب الملك عبدالعزيز، دعمًا ومؤازرةً في ظرفٍ حساس، فالدعم في أوقات الشدة معيار الولاء، لا سيما حين تكون الدولة في طور التأسيس، والرهان على الرجال قبل العتاد.

سعد بن عبدالرحمن آل سعود

في سنة 1328هـ الموافق 1910م، كان الأمير سعد بن عبدالرحمن آل سعود في ديار قبيلة عتيبة، يسعى لطلب العون مؤازرةً لأخيه الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في مسيرة التوحيد، فألقي القبض عليه، واقتيد أسيرًا إلى **الشريف حسين بن علي الهاشمي**، الذي كان يتحرك بأمر الدولة العثمانية لمواجهة عبدالعزيز، ونزل الشريف في بلدة نَفِي، في حين تحرك الإمام عبدالعزيز بقواته في تلك الناحية، وفي تلك الأثناء نزل الإمام على عين القنور، فكان الموقف امتحانًا للرجال، عندها نهض **علي بن ناصر بن عجلان القنور العوني الرشيدي** بما عُرف عنه من سعة اليد وثبات الولاء؛ فذبح ثلاثًا من الإبل وثلاثين رأسًا من الغنم في ليلة واحدة، عدا ما وُزّع من التمر والخبز على الجيش، ولم يكن ذلك فعل ساعة، بل استمر على هذا النهج طوال مدة إقامة الإمام وجنده، كان الإمداد في تلك المرحلة شريان الحملات، ومن يرفد الجيش بالغذاء يشارك في صناعة النصر، حتى قال له الإمام عبدالعزيز تقديرًا لصنيعه:

" قل يالله يا ابن قنور، الله يلحقنا جزاك ".

خيل القنور فداء الأمير سعد

بعد أسر الأمير سعد بن عبدالرحمن آل سعود، دخل **الشيخ محمد بن هندي بن حميد العتيبي** وسيطًا بين الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والشريف حسين بن علي الهاشمي، وذلك عقب رسالة تهديد بعث بها الإمام إلى ابن هندي، وفي سياق هذه الوساطة، طُلب أن تُهدى إلى الشريف فرسان من خيل **علي بن ناصر بن عجلان القنور العوني الرشيدي**، فأُرسلت الفَرَسان، وكان ذلك سببًا في إطلاق سراح الأمير سعد.

وقد ذكرت بعض المصادر أن علي القنور تقاضى ثمن الفرسين، غير أن هذا القول لا ينسجم مع ما عُرف من سيرته ومواقفه؛ فرجلٌ مدّ الإمام بالمؤونة، وأطعم جيشًا كاملًا أيام إقامته، وبذل من الإبل والغنم ما احتاج إليه دون حساب، لا يبدو من طبعه أن يجعل من فداء أسير، هو شقيق الإمام، وفي ظرفٍ مصيري من مسيرة التوحيد، معاملةً مالية، والأقرب إلى ما عُرف عن علي القنور أنه **أهدى الفرسين بلا مقابل، وجعلهما في سبيل إطلاق سراح الأمير سعد؛** فمن جعل ماله سندًا للدولة الناشئة، وبذل ما يملك في نصرتها، لا يُتصوَّر أن يحوّل موقفًا من مواقف المروءة والنصرة إلى صفقةٍ تجارية.

كريم نجد وقاسم آل ثاني

مرّ ركبٌ من الحجاج، ونزل على عين القنور يستأذنون الشرب، فأُذن لهم ولمّا رأى **كريم نجد علي بن ناصر بن عجلان القنور العوني الرشيدي** خدم الحملة قد شرعوا في إعداد الطعام، أرسل إلى أمير الركب يدعوه ومن معه إلى ضيافته، وأن لا حاجة لإعداد طعامه، كان أمير الحملة **الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني – حاكم قطر -**، فاعتذر بلطف، مشفقًا على

مضيفه من مؤونة إطعام الجمع. فلما عاد الخادم باعتذاره، أمر علي القنور أبناءه بإعداد الطعام للقافلة، ثم مضى بنفسه إلى الركب، وحين بلغهم، ورأى القدور على النار، ترجل عن فرسه، وأخذ يكفئها بيده، وسط دهشة الخدم، وأُخبر الأمير بصنيعه، فسأله عن سبب ذلك، فقال قولته المشهورة:

" الذي ينزل العين لا بد أن يأكل من ضيافتي، فليست العين بأكرم من صاحبها "

استجاب **الشيخ قاسم***، على أن يُحمل الطعام إلى موضع نزولهم، فما هي إلا ساعات حتى وُزّع الطعام على القافلة.

عند الرحيل، وبعد أن آنس الشيخ قاسم بحديث مضيفه، دفع صُرّةً من الذهب مع أحد خدمه مكافأةً له، فقبضها علي القنور، ثم لحق بالأمير فردّها عليه قائلًا:

" لم يعلّمنا آباؤنا أن نقبض ثمن ضيافتنا، ولسنا كخبازي البصرة نعطي بيد ونأخذ بأخرى، كما أن الإمام عبدالعزيز كفانا المؤونة ".

بعد الحج، اجتمع الشيخ قاسم بالإمام عبدالعزيز، وقال له:

"لقد أتيتك من رجلٍ لو كان لديه عصبة كبيرة لحكم".

فسأله الإمام: **من؟**

فذكر له قصته معه، وأشار إلى أن الإمام يمدّه بالمؤونة، فابتسم الإمام وقال:

" والله ما صدق في هذه، فهو من يمدّنا بالمؤونة ".

تعجب الشيخ قاسم من عظمة هذا الخُلق، ولما عاد إلى قطر، أرسل إلى كريم نجد نجيبةً من إبله، وبندقية حديثة تقديرًا لموقفه*.

(قاسم بن محمد بن ثاني التميمي، مؤسس دولة قطر والحاكم الثاني لها،1295هـ 1331هـ)*

وفاته

حياة **علي بن ناصر بن عجلان القنور العوني الرشيدي** سيرةٌ عطرة، امتدت آثارها أبعد من زمنها، قضى معظم عمره يبذل مما آتاه الله، لا طلبًا لذكرٍ، بل وفاءً لمعنى الكرم في نفسه، قهر الطمع، وأقصى الشح، ووأدهما بعطاءٍ سارت به الركبان، وتداولته الألسن، ودُوِّن في الصفحات، وأيقظ قرائح الشعراء، لم يكن كرمه حادثةً عابرة، بل منهج حياة؛ حتى صار اسمه قرين النداء بالعشاء، وصار فعله معيارًا يُقاس به الجود في نجد، ومضت العقود، وتبدلت الأحوال، وأخذت جزيرة العرب بمركب الحضارة الصناعية، وتغيّر وجه العمران والعيش، غير أن الأثر الصادق لا تمحوه الأزمنة، ففي مدينة جدة، سمع **الشاعر فهد السكران** صاحب مطعم

ينادي الناس إلى الطعام، فتداعى إلى سمعه نداءٌ قديمٌ من نجد: " **يا جوعان أقبل على الطعام** ".

هنا تتجلى حقيقة الكرم الذي يُغرس في زمن القحط، يبقى حيًّا في زمن الرخاء، والرجال الذين يعطون بلا حساب، يظلون مقياسًا للأجيال، مهما تبدلت المدن، وتغيرت الأزمنة، فقال فهد السكران:

يلي تنادي بالعشى منت معطيه أما يجيب بفلوس وإلا يروحي

اللي ينادي بالعشى مضحي فيه هذا علي القنور شوق الطموحي

فعل لبوه وبينات موارية ويبين لي من فعل جده ملوحي.

(الكويت وقبيلة الرشايدة ص60)*

وقال الشاعر مرزوق العتيبي:

يا الهجن هجن لابن قنور يا أهل الركاب المناجيب
وألفوا على الشايب المذكور مدهل أهل الفطر الشيب
قلته وأنا سارح بالقور طروا علي معازيبِ
أقولها حق ما هوب زور في كاسبين المواجيب.

توفي علي بن ناصر بن عجلان القنور العوني الرشيدي في ثلاثينيات القرن الرابع عشر الهجري، الموافق لعام 1917م.

ناصر القنور

لم يكن **ناصر بن علي القنور** بعيدًا عن أبيه **علي بن ناصر بن عجلان القنور العوني الرشيدي** في الكرم، غير أن الفرق بينهما كان في الحال لا في الخلق، الأب كان يعطي من سَعة، والابن يعطي من ضيق، والأصعب أصدق، سأل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود جلساءه: " **أكرم علي أم ابنه ناصر؟** ".

تحاشوا الجواب وقالوا: " **أنت أعلم** ".

فألحّ عليهم، فاتفقت آراؤهم على أن الأب أكرم. عندها قال الملك، وقد اشتد صوته:

" **لا والله، ناصر أكرم... أكرم... أكرم، علي يعطي من رخاء، وناصر يستدين والعرق يبل جبينه ليكرم ضيوفه** ".

هذه شهادة ملكٍ خبر الرجال في الشدة، والرخاء، وليست مجاملة تقال.

وفاته

توفي ناصر بن علي القنور في ستينيات القرن الرابع عشر الهجري، بعد أن ملأ مكان أبيه سيرةً وموقفًا، وخلفه أخوه **دخيل الله بن علي القنور**، فحمل الاسم كما يليق به، ولعل أصدق ما يُقال في الرجال ما يأتي على ألسنة خصومهم، فقد كان بين **ناصر والشاعر علي بن رشيد** خصومةٌ على أراضٍ، فلما جاء من يخبر الشاعر بوفاة ناصر قال:

" تبشروني بوفاته؟ بل عزّوني ".

قيل له: **" خصمك! ".**

فقال: **" خصمي على العز والشرف ".**

ثم قال يرثيه، معترفًا أن الخصومة لا تنال من قدر الرجال، وأن العداوة في الحقوق لا تُسقط المروءة، ولا تمحو الفضل، هكذا تُقاس القامات:

ياحزيم ملأي الصحون الوساعِ شرقي حزم مهيضه دافينه

لا هو بلا نايم ولا هو بواعِ في منزلن لابدنا نازلينه

يا ليت عمره يوم جاه الوداعِ انه يباع وبالثمن مشترينه

المقبله شفته سوراين قاع والخيل من ضرب الخطى حافرينه

عشاه شهره نادربرتفاعِ اما خزيزالضان والا حتينه

اللي رحل ماهوب ينكس رياعِ لابد مانتلي السلف بالضعينه

الخل شقنه دروب السواعِ ومزينين الخل وموسعينه

والمشمله شقت سوارث قاعِ والحزم من ضربات خطاه حافرينه.

دخيل الله القنور

بعد مدة من وفاة ناصر بن علي القنور، مرّ موكب الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بعين القنور، ولم يعرّج عليها، فلحقه دخيل الله بن علي القنور، واستوقفه قائلًا:

" طال عمرك، أنت حاقرنا أو آوي لنا وما تبي تكلفنا؟ "

فأجابه الملك:

" لا بالله، ما أبي أكلفكم وأعنيكم، وخيركم ضافينا يوم كنا بحاجة، وأما الحين فلله الحمد والشكر".

كلمة تختصر مرحلة كاملة، كانوا يضيفونه حين كان في طور التأسيس، يوم كانت الدولة تحتاج إلى سند الرجال قبل مواردها، أما بعد أن استتب الأمر، فقد أراد ألا يرهقهم بمؤونة الضيافة، ومع ذلك، قبل الملك ضيافة دخيل الله، ليس مجاملة له، بل وفاءً لبيتٍ كان سندًا في الشدة، فاستحق أن يبقى محل تقدير في الرخاء.

زامل السبهان

زامل بن سالم بن علي السبهان تولّى حكم حائل نائبًا عن الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد سنة 1327هـ (1909م)، بعد أن أصبح وصيًّا عليه، وفي مرحلة مضطربة من الصراع، أُسِر الأمير سعد بن عبدالرحمن لدى الشريف حسين بن علي، في وقتٍ كان فيه زامل السبهان قد خرج بجيشٍ لمؤازرة الشريف بأمر من الدولة العثمانية، ومواجهة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، تزامن ذلك مع استقلال سعود الكبير بقرية الخرج، لتُفتح على الإمام

عبدالعزيز ثلاث جبهات في آنٍ واحد، غير أن زامل السبهان لم يكن مطمئنًّا لنيات الشريف حسين، فاستجاب سريعًا لأول عرض صلحٍ من الإمام عبدالعزيز، وقد اشترط في اتفاقه عدم التعرّض لزكاة ثلاث قبائل من قبائل حائل وبواديها **ـ قبيلة الرشايدة، وقبيلة عبد الله من مطير، وقبيلة حرب ـ**، بهذا الموقف، انتقل زامل من موقع المواجهة إلى موقع الموازنة السياسية، محافظًا على نفوذ حائل وقبائلها في لحظةٍ كانت موازين القوى فيها تتبدّل بسرعة.

العوامرة

تمكّن العوامرة من ردع حاكم حائل، وهزيمة قواته حين باغتهم بهجومٍ على الحائط، غير أن الكرّة ارتدّت عليه، فانكسر جيشه وتفرّق رجاله*، فقال الشاعر عوض بن سمير البراك في ذلك اليوم:

ربعتي ياحي والله من قبيلة فرحة الصايح ليا حل الصمايل

والرشيدي كل طيب يستوي له مدركين الطايلة يوم الأوائل

ما يكب الطايلة غير الهزيلة ربعتي صعبين مافيهم هزايل

أهل الحائط على درب الفعيلة عز منهم لابته يوم الفعايل

المعادي ضيع المولى دليله غزوة السبهان جت من قصر حائل

وارتكى لين اعدمو جيشه وخياله وانهزم في المعركة والدم سائل

يذبحون الكبش ما دارو بديله في الكرم زادو على بعض القبائل

الرشيدي للمعادي حنظليله ولا نغط انوار لعيال الحمايل.

(رواية راشد بن ناجي الأبح)*

جمرة عبس

تمكّن **الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود** من توحيد نجد، وإخضاعها لسلطة الشرع ثم لحكمه السياسي، بعد صراع طويل مع القوى المحلية، وقد أشرنا إلى أن عبس ألقت بجمرتها في جبلي أبان ـ **أبان الأحمر وأبان الأسمر** ـ، متمثّلة **بالمضابرة**، في نطاق **جبال أبانات** الواقعة شمال غرب الرياض، فأصبح المضابرة ضمن أنصار الإمام عبدالعزيز، في المقابل، جمع **الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد** شيوخ قبيلة شمر في حائل، وكان لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، ومن قصره رُسمت خطط بسط النفوذ على نجد، وقد وصلته أسلحة ألمانية حديثة عبر الدولة العثمانية، حملها **رشيد بن ناصر ابن ليلى**، الوسيط بين ابن رشيد والعثمانيين، وكانت تلك البنادق — **التي يتّسع مخزنها لخمس طلقات** — سلاحًا غير مألوف في نجد آنذاك، في سياق سياسة عثمانية لا ترغب بقيام قوة عربية موحّدة، دارت معركة **جراب** بين عبدالعزيز آل سعود، وسعود بن رشيد، ولم يُحسم النصر لأيٍّ منهما، بسبب اضطراب صفوف القبائل التي نهبت المعسكرين وغدرت بالطرفين، وكان من بين من شارك مع عبدالعزيز قبيلة العجمان، إلا أن جماعة منها نهبوا مخيمه في مطلع القتال، فاختلّ ميزان المعركة(**1915م**).

تبع ذلك صدام مباشر بين الإمام عبدالعزيز، وقبيلة العجمان، عُرف بمعركة كنزان، وأسفر عن مقتل شقيقه سعد بن عبدالرحمن آل سعود، كما أُصيب الإمام عبدالعزيز نفسه*.

عقب هذه الأحداث الدامية، نزح قسم من العجمان إلى الكويت، غير أن الشيخ جابر المبارك الصباح أمرهم بمغادرة البلاد، فاتجهوا إلى العراق، ثم إلى حائل، حيث انضمّوا إلى ابن رشيد في حربه ضد ابن سعود، لتتواصل فصول الصراع في نجد.

المضابرة

نزل من انشقّ عن **ابن سعود** من **قبيلة العجمان** في حائل، حيث رحّب بهم حاكمها سعود بن عبدالعزيز الرشيد، وكان شيخ العجمان آنذاك **ضيدان بن حثلين**، واتُّفق بين **ابن رشيد** ومشايخ شمر والعجمان على المسير إلى الرياض لقتال **الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود** سنة 1334هـ (1916م).

تحرّك الجيش نحو الرياض، ولمّا قارب جبلي أبان، تداولوا الرأي في طريق المسير؛ إذ إن أمامهم أراضي قبيلتي مطير وعتيبة، ولم يريدوا الاصطدام بقبائل كبيرة قبل بلوغ هدفهم، رغم ضخامة جيشهم الذي بثّ الرهبة في من مرّ به، فاستقرّ رأيهم على المرور عبر ديار الرشايدة، ومهاجمة مواشيهم في أبانات، ديار المضابرة، مستقلّين عددهم أمام كثرتهم، كان جيش **ابن رشيد** يزيد على ألفي مقاتل مسلّح راكب، في حين لم يتجاوز **المضابرة** مئتي رجل. فجأةً داهمهم الجيش، فركبوا خيلهم وتمترسوا، واندلع القتال.

اشتدّت المعركة، وكانت النيران تحصد من جيش ابن رشيد؛ فقُتل عدد من شيوخ شمر، وسقطت خمسٌ وثلاثون من خيل العجمان، وقُتل كثير من المقاتلين، وفق ما ورد في كتاب **. الكويت وقبيلة الرشايدة، نقلًا عن رواية ناصر بن وديع العجمي في تلفاز الكويت سنة 1965م .**، وكان من المشاركين في الواقعة، وانتهى القتال بانكسار الجيش الكبير أمام جمرة عبس؛ الجمرة التي استهانوا بها أول الأمر، فإذا بها تشتعل فتحرق من استصغرها، وتبدّد صفوفه.

نصر المضابرة نصرٌ لآل سعود

كان انتصارُ المضابرة في تلك الوقعة نصرًا يصبّ في مصلحة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود؛ إذ كسروا الجيش المتوجّه إلى مهاجمة الرياض قبل أن يبلغ غايته، فأربكوا خططه وبدّدوا زخمه، وقد سمّى المضابرة تلك المعركة **الخناق**، لما ضاق فيه المجال على الجيش الكبير حتى انحشر وتفرّق، فيما أطلق عليها آخرون **عقر الخيل**، لكثرة ما سقط فيها من خيل المهاجمين، حتى غدت رمزًا لانكسار القوة حين تستهين بخصمها، كان ذلك الحدث فاصلاً؛ إذ تحوّل هجومٌ واثق إلى ارتدادٍ موجع، وأسهم في ترجيح كفّة مشروع التوحيد في نجد، فقال **هادي بن شمهليل المضبيري** في ذلك اليوم:

بالله ياللي ما نبي غيرك مجيب تجعل خطا الخونة على من خانها

جتنا البيارق سارحات معا الشعيب تزعجك لجة خلجها وحيرانها

ضاعت شيال البيض من حر اللهيب كلن تنب رجالها وابوانها

كلن يبين عزوته عند المصيب يوم البنات البيض تنخا اخوانها

ثار الدخن من شان عذبات الحليب لين الهنادا عزلت ربانها

كم فارسا بالمعركة طايحٍ عطيب وخلت ظهور الخيل من فرسانها

عقب المشوط الصفر حايد ياحريب راحت طلايعهم تجر أرسانها

من القلايع كل كسابن يجيب تخيرت من خيلهم رعيانها

خلا المهار الصفر جذلات السبيب أصايلن متعمقين حصانها

خاشر نسور غرور في هاك الجذيب على وقايع كسعت جنحانها

يا أمير مالك عندنا حظ ونصيب الفود خيلك ودعت فرسانها

حانا هل الضلع الحمر سو الحريب كم هيتا نكسر شرف عدوانها

بمسلباتن من تمثنن مايطيب تاقع بهم رمايها ما خانها.

كان **سعد المشيعلي الحربي** شاهدَ عيانٍ على وقائع المعركة، فرأى بأمّ عينه كيف انقلب ميزانها، وفاض إعجابه بما صنعه المضابرة، فاندفع ينظم قائلاً:

حزة طلوع الشمس جانا بالهذيب منقيه يفكرك كثر حسابها

من الدواسر الى القليب في عبلة والملح غطى هضابها
وشفت الظفر والفعل والحس الصليب ربع عزاويها تسرا قرابها

فعل يخل الطفل من هوله يشيب أولاد مضبر والرصاص حرابها
تحابسوا في وسط حلوات الحليب لين اضهروها غصب من طلابها
صارت قلايعهم بكثلات السبيب الحظ طيب والرصاص أسبابها
وابن حنيه يعتزي باصل عريب حظه كبير وبندقه قد جابها
واخوه الاصقه قلت والشر العطيب يضرب دروب كايد مضرابها
يالله دخيلك عن ترديت النصيب يوم القلايع شفت كل جابها
ياذيب ياذيب المقوقي لاتغيب خلك حول محيوه وهضابها
والضبع هو والطير خل له الشعيب والضبعة اللي كاشرات أنيابها
سبعة جلاويه يشادون الغريب أسود الجبال نمورها وذيابها
سكان ابان مركزة هدل العسيب كم معتدي طشوه حول هضابها
ان جيتهم ببيوتهم حلو الحليب وان جيتهم عادي تعاف ترابها
بني رشيد اللي يضدون الحريب بغارات دائم ماتلث اركابها
واللي مكذبني يجي ينشد حبيب يوم ان برجس طاح في ملعابها
الكذب والله مالنا فيه النصيب والصدق مفتاح الفرج وابوابها.

كما يقول الشاعر المتأخر فرحان بن منصور المضيبري :

تدري وش اللي يِرَيح خاطري من كل الأتعاب

إني من اللابه اللي طيبهم متوارثينه مضابرة من رشيد عبس مبدأ ساس الأنساب

سلالة الفارس اللي بالمناهج دارسينه في كل دوله لنا في الجامعه منهج وطلاب

يقرأ ويكتب وفي كل اللغات مترجمينه واللي عرف مجدنا وفعولنا إن شاء الله ما هو بمغتاب

واللي جحد صفحت التاريخ مانتم ناشدينه جبال أبانات تلغي في الجزيرة كل مرقاب

وأكبر جبل يتصل في جبال حايل والمدينه من عصر حدب السيوف اللي تفرق جمع الأحزاب

سيفٍ نغزيبه وسيفٍ للشدايد ذاخرينه وإن صار ما صار وأصبح في الرجال حضور وغياب

ننقع الدم الأحمر نقعة الماء بالدفينه يوم القبايل اتفاخر بالسيوف والدم والأرقاب

عدونا والله إنا واصلينه واصلينه.

الهدبان

بعد انكسار جيش ابن رشيد على يد المضابرة، اتجه فلوله نحو جبال العَلَم من ديار الرشايدة، ولمّا بلغوها، تصدّى لهم القلادان — **وأكثرهم من الهدبان** — فهزموهم بعد أن تفرّق جمع ابن رشيد، واضطربت صفوفه، ولا تُخلَط هذه الوقعة **بمعركة العَلَم الكبرى** التي قادها ـ **خضران بن رفادان** ـ، الملقّب ـ **بمسعار أبو ليلى** ـ، والتي جرت أحداثها بعد سنة تحديدا في 1335هـ (1917م)، وكانت أوسع نطاقًا، وأشدّ أثرًا من سابقتها.



هذه دويلاتُ جزيرةِ العرب التي خُطّط لها في السياسات البريطانية آنذاك، غير أن إرادةَ الله أمضى من كل تدبير، وأعلى من كل مخطّط؛ إذ يسّر للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود توحيدَ معظمِ جزيرةِ العرب تحت رايةٍ واحدة، فله الحمدُ والمنة.

ثورة الشريف

كانت القبائل في نجد والإحساء تتبع **الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود،** والقبائل القريبة من حائل تدين بالولاء **لابن رشيد،** أما قبائل الحجاز فكانت تحت راية **الشريف حسين بن علي**.

أطلق الشريف حسين رصاصته معلنًا قيام الثورة العربية على الحكم العثماني، فالتفّت حوله قبائل الحجاز، وكان من **الرشايدة** في صفّه ـ **الشيخ هديبان الجحيش، والشيخ خضران بن رفادان، والشيخ سمران بن سمرة** ـ، ويُذكر أن ـ **الشيخ دليم بن براك** ـ كان معهم كذلك، وخطب الشريف حسين في الجمع، مستنهضًا همم العرب، ومذكّرًا بفضلهم، داعيًا إلى طرد الحكم العثماني الذي وصفه بالاستبداد، فعقّب **الشاعر رشدان بن موزة بن خلف الحربي** بقصيدةٍ قال فيها:

حنّا بأمانِ الله وأمانك يا شريف حنّا سيوفك حيث ما تهوى بها

ما نقبل الصالحات والسّلم النظيف حتى الدول ترجع على اللي جابها.

إن كانها ثورة عرب فعلٍ شريف حنـّا لها درعٍ صقيلٍ نـــابها

نمشي على حدّ الظبا مشي الخفيف ونذود عنها لو تعزّى نـــابها

يا شريفنا درب المعالي ما يخيف والروح دون الأرض لا طاب بــها

إن قيل من يفزع؟ نقول السيف سيف وأهل الوفا يوم اللقا أربابها.

بدأت القبائل قتالَ الجند العثمانيين بعد أن ساندتهم الحكومةُ المحلية، وأمدّتهم بالسلاح والذخيرة، وكانت المهيمزات في صفّ الشريف حسين بن علي حتى رحيله، فيما قاتل **الشيخ سمران بن سمرة الذيابي الرشيدي** إلى جانبه فترةً من الزمن، ثم عدل لاحقًا إلى الانضمام لصفّ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، في تحوّلٍ يعكس تبدّل الولاءات، وفق موازين القوى في تلك المرحلة.

سمران ابن سمرة

الشيخ سمران بن سمرة الذيابي من شيوخ شمل الرشايدة، قاد قومه في قتالهم ضد العثمانيين، وخاض معهم وقائع عدّة، ومن أبرز المواضع التي شهدت مواجهاته **قلعة خان الصورة**، الواقعة غرب خيبر، حيث دارت اشتباكات عنيفة أوقع فيها برجاله خسائر كبيرة في صفوف العثمانيون، وفي ذلك يقول **الشاعر حميد بن فحيمان (رحمة الله)**:

سل جليب سمي الصورة قديم يوم جونا الترك فوق المهار

وذبحوا شلاح قهار الخصيم وذبحنا عنده عشرتين رد ثار.

لم يُطل الشيخ سمران بن سمرة الذيابي المقام في صفّ الشريف حسين بن علي؛ إذ أخذ يوازن الوقائع ويتفحّص مسار الأحداث في المنطقة، حتى انتهى إلى قرارٍ حاسم بالانضمام إلى الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ومناصرته سنة 1334هـ، ويُعدّ من أوائل مشائخ القبائل الحجازية إن لم يكن أول السابقين الذين أعلنوا الوقوف مع الإمام عبدالعزيز في تلك المرحلة الدقيقة، وظلّ على عهده حتى وفاته، ثم واصل أبناؤه المسير على نهجه، ومنهم **الشيخ سرور بن سمران**، الذي استمر في مناصرة الإمام، وتثبيت ذلك الولاء.



من اليمين د. عبدالله بن سعد العويمري، الشيخ سالم ابن سمرة شيخ شمل الرشايدة، مؤرخ قبيلة الرشايدة الروائي عادل الرشيدي، وأحد الحضور، وسند بن ابراهيم ابن سمرة.

أبو ليلى

رشيد بن ناصر بن رشيد، المشهور **بـ ابن ليلى ـ**، من حاضرة حائل، كان متعلّمًا حافظًا للقرآن، عُرف بالفطنة، والذكاء، حتى كسب ثقة **السلطان العثماني عبدالحميد الثاني**، الذي قرّبه ومنحه لقب **ـ باشا ـ**.

أدّى ابن ليلى دور الوسيط في صفقات السلاح بين الدولة العثمانية وآل رشيد، من عهد **ـ محمد بن عبدالله الرشيد، ثم عبدالعزيز بن متعب الرشيد ـ**، وصولًا إلى **سعود بن عبدالعزيز الرشيد**، وبعد ما تعرّض له ابن رشيد من إخفاقات، أقنع ابن ليلى الدولة بمواصلة إمداده بالسلاح، فعاد بقافلة كبيرة محمّلة بالمؤن والعتاد، قوامها اثنا عشر ألف بعير، ترافقها قوة من نحو ثلاثمئة جندي عثماني وعدد من الضباط، وانضم لجيش حائل بقيادة سعود بن رشيد، واتجهوا إلى مسرح العمليات في الحجاز، لقتال قوات **الأمير عبدالله بن الحسين** التي كانت تحاصر العثمانيين، وتضغط عليهم في المدينة المنورة إبّان أحداث **الثورة العربية الكبرى**.

مِسعار أبو ليلى

دخل جيشُ أبي ليلى — **العثماني والحائلي** — أراضي **قبيلة الرشايدة**، وكان يزيد عدده على ثلاثة آلاف جنديٍّ ما بين مقاتلٍ نظاميٍّ وفارسٍ راكب، وقد بلغهم خبره، وكان قاصدًا **المدينة المنوّرة** لفكّ الحصار الذي فرضه **الأمير عبدالله بن الحسين** على الحامية العثمانية فيها إبّان **الثورة العربية الكبرى**، ولمّا بلغ **وادي الرَّقَب**، أغار على بعض عرب من الرشايدة ونهب منهم، ثم واصل المسير حتى **عواند طوالة**، حيث كانت **المهيمزات** في انتظاره بقيادة **الشيخ خضران بن رفادان**، ومعه نحو مئةٍ وعشرين مقاتلًا مسلّحًا، من ضمنهم **ـ الشيخ مشعان ابن غضوى**،

والشيخان مرزوق ومريزيق ابني ثامر الدنهري، وخضير بن رفادان، حوقان النميان، مقبل القعيسة، دهيكل، طميهير الفعري، سعد بن دحيدح ـ، ومعهم أربعة رجال من حرب كانوا في عداد المهيمزات. **(سنذكر أسماء الأخرون في صفحة منفردة)**

توقّفت القافلة للاستراحة، فخرج سعود بن عبدالعزيز الرشيد في نفرٍ من فرسانه لإرهاب القبائل حول الموضع، وفي تلك الأثناء كان خضران قد أحكم الطوق على القافلة والعسكر، وأمر بعض رجاله أن يتولّوا تعطيل المدافع ومنعها من الاشتعال، محذّرًا من أن انفلاتها سيقلب ميزان المعركة.

اندلعت النار حول القافلة، وأخذت الطلقات تحصد الجنود من كل صوب، ولم يفلح رجال المدافع في إطلاقها إلا مرةً واحدة، ثم دبّ الاضطراب في الصفوف، واستمر القتال ساعاتٍ حتى كثر القتل في الجند، فانهزموا، وتركوا القافلة وما فيها من سلاحٍ ومؤن، ولمّا تيقّن الرشايدة من فرار الجيش، نزلوا إلى القافلة، واقتسموا الغنائم، وكان ابن رشيدٍ بعيدًا مع فرسانه يغيرون على من صادفهم، فسمعوا دويَّ الرصاص، فعاد مسرعًا، فلمّا أشرف على الموضع، وجد جيشه قد تفرّق، والرشايدة حول القافلة، فرآه خضير من بعيد فعرفه، فقال لأخيه خضران:

«تكفّى، سعود بن رشيد، اذبحه».

فأجابه خضران وهو يرقبه:

«والله إنّي فتران»

كان سعود ابن رشيد يرى الرجال من بعيد ومعه فرسانه، يظنّهم من جيشه، حتى تبيّن له أن القافلة وقعت، فانصرف هاربًا ومن معه، قال مرود العرم الحربي في ذلك اليوم:

غارواعلينا يحسبونا روت بأم صخال لي تشادي حليفي

الضيغمي جانا بخيلٍ وقوات ومدافعٍ بالحرب ترزف رزيفي

وترصدواله ناطحين المغيرات بأم المشؤك والسلاح النظيفي

مهامزه من زارها بالعداء مات ومزبنة نشر الذليل المخيفي

وصالوا عليهم صولتن تشفي الذات منها الضياغم عجلوا بالنكيفي

وقسم الغنايم بيننا بالمساواة حتى كثر مال الغني والضعيفي

وبيض على الله والهضاب المنيفات واللي لفنّا من توال الشريفي.

قال سعد بن دحيدح النميان أيضا :

المسعدلي ماهو مقرود اللي حضر كاين طواله

جبنا عشاير وضانن سود منها الضعيّف كثرماله

غير المدافع مع البارود جبنا بالآلاف حماله

يالضيغمي ماكسبت الفود انكفت والشين مشتاله

عقب مهيمزعيال العود لهم مواقيف قتاله

يوم اكرموا ضيفهم بالجود وشانت نواياه وأفعاله

لدوا لسيفٍ نمش مجرود والروس من متنهاشاله.

تقاسم الرشايدة الغنائم، وكان نصفها يُرفع إلى الأمير عبدالله بن الحسين، الذي بدا عليه التعجّب من فعلهم بذلك الجيش الكبير، وقد قلبوا موازين القوة في ساعات، وكانت **دلهى الفديمي المهيمزي**، أخت الفارس نونان، تسوق ثمانية جمالٍ محمّلة بالذخيرة، وكلما مرّ بها سائلٌ قال:

«الحذِيّة يا دلهى».

فتجيب بثبات:

«في المِقبلات».

بلغ خبرها الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد، فقال متحسّرًا:

«أويلي، أثر فيه مِقبلات بعد».

ومنذ تلك الوقعة، **لم تقم لابن رشيد قائمةٌ** كما كانت من قبل؛ فقد تلقّى جيشه ضربةً قاصمة أضعفت رجاله وعتاده، وأثّرت في هيبته ومكانته، وقد أُشير إلى هذه الوقعة في **جريدة القبلة،**

العدد (91)، الصادر سنة 1335هـ/1917م، ضمن أخبار المواجهات الجارية آنذاك، غير أن الجريدة لم تُورد تفاصيل المعركة على النحو الذي حفظته روايات أبناء القبيلة وتناقلوها؛ فلم تذكر وقائع القتال ومجرياته، ولا حجم المقاومة التي واجهها جيش ابن رشيد، وإنما اكتفت بالإشارة إلى الغنائم التي وصلت إلى الأمير عبدالله بن الحسين، وقد أوصلها إليه **الشيخ هديبان الجحيش المهيمزي**، ومن هنا فإن رواية الجريدة لا تكشف كامل تفاصيل الواقعة، ولا يصح أن تُجعل وحدها أساسًا للحكم على نتائجها؛ إذ إن أخبار المعارك في ذلك العصر كانت كثيرًا ما تُنسب إلى أمير الجيش أو قائد الحملة، حتى وإن لم يشارك بنفسه في القتال، فيُذكر المنتصر باسم قائده، بينما تغيب أسماء من خاضوا المعركة ميدانياً، أما روايات أبناء القبيلة، فتورد تفاصيل أوسع عن سير القتال وما جرى فيه، وهي التي تحفظ جانبًا من الصورة التي لم تسجلها الجريدة.

أسماء المشاركين في معركة العلم (مسعار أبو ليلى)

الشيخ مشعان ابن غضوى، الشيخ خضران بن رفادان (القائد)، الشيخ مرزوق ومريزيق بن ثامر الدنهري، خضير بن رفادان، دهيكل بن مطيع، شديد بن مطيع، فانود بن رافد، عبيد بن فانود (الملقب حوه)، عيادة بن فانود، مقبل القعيسة، طميهير بن عماش الفعري، محمد بن سالم الطحيش، عواض بن عماش الفعري، سعد بن دحيدح، خيران بن جدعان، فانح الضبع، شامخ الضبع، خالد بن مجعد بن عيفة، عالي بن عيفة، عايد أبو ولد، حوقان بن عايد أبو ولد، شعبان الخنيعة، شلاح بن الوافي، معتق بن عيفة، مرود العرم الحربي، عويض العرم، شامان بن سالم الفعري، مبريك القاضي الفعري، الجرو الجبيري، ناجي بن عسلاء الجبيري، ماطر بن عسلاء الجبيري، قبلان الدهري، عواض بن أمان الدنهري، مدوس النغيري الدهري، دواس الدهري، عايض بن صفينة الدهري، زياد البغيق، معزي بن زياد، رغيّان الفديمي، مبريك بن عايد أبو ولد، دغيمان العماري، صالح الربيط العماري، دغمان الدنهري، عليان الخوينة، مزيد الخوينة، سعران الفديمي، جري بن سالم الفعري، فجوان الجبيري، فهران العماري، بليم بن حليس الثعلبي، سعد الهيبي الفعري، بتال بن شويجي، عليان بن عيفة، مطر بن مطير النمياني، منزل بن مطر النمياني، وريور بن منزل، بذر الأبيلق، زريبان الأبيلق، بنيان بن فرج الفديمي، راشد بن دعوع الضبع، كراديس

الفعري، راشد بن جدعان النمياني، عيد بن دحيدح النمياني، معجب بن دحيدح النمياني، عوض بن عتيق بن رفادان، عايش بن مدعث الثعلبي، رشيد بن مدعث الثعلبي، معيبد بن رشيد الثعلبي، سعود بن البغيق الجبيري، حضيري الجبيري، مدوخ ابن عيفة، عيادة بن سلمى الجبيري، دوخي ابن عيفة، نمران بن عيفة، عوض بن رشيد الفعري، راشد الناتور الجبيري، لافي بن عيفة، مخيضير النمياني، عيدان بن فانود، شعبان بن الوافي النمياني، خصيفان الفديمي، دخان الجبيري، معتق الخويينة، فردوس بن رشيدة العماري، حيوي بن مطيع، حمد العرم الحربي، حمود بن سبيله الحربي، هليل بن سمليل الحربي.



المجلد ٩١ السنة الاولى

القبلة

الجامعة الاسلامية والجامعة التوراتية

(ايها العرب)

أخبار المعسكرات العربية

تفصيل غنائم الحملة الشمرقية

نشرنا في عدد ٢١ شعبان الماضي خبر تلك الكسرة المشؤومة التي وقعت على رؤوس جماعة ابن رشيد ومن معهم من قوة المتمردين واغتنام جيش حضرة صاحب السمو الامير زيد اسلحة تلك الحملة ومؤنتها

وقد اطلعنا الآن على تقرير مرفوع من حضرة صاحب السمو الامير زيد الى سدة جلالة ولي النعم بتاريخ ٢٩ شعبان وفيه البيان الآتي عن غنائم الحملة المذكورة :

لم أرفع لجلالة مولاي غير العريضة السابقة عن وقعة ابن رشيد لاني تربصت الى أن يتم احصاء الغنائم وقد تم ذلك الآن وهذا بيانه :

أربعة مدافع جبلية

ثلاثمائة آلاف جعل محملة ذخائر متنوعة (غاز وأرز وسكر . . . الخ)

أربعة وأربعون قطيعاً من الابل (كل قطيع يبلغ عدده من خمسة وثلاثين ناقة الى ثمانين)

مائتا ناقة خلفة (أي حاوب)

خمسة وثمانون قطيعاً من الغنم

ستة عشر حمل بنادق ماوزر ألمانية من ذات الخمس ومعها ذخائر وافرة

علم واحد من اعلام ابن رشيد

ذلول رشيد بن لبلى العائع

وبلغ عدد ما أحصيناه من قتلى الاعداء ستة وسبعين غير ما قتل من الخيل والركائب

ومن جملة القتلى أخو غالب بك الذي هو الآن قائد المركز بالمدينة المنورة

أما المدافع فقد وصلت الى معسكري يوم أمس مرفوقة بسبعة أسرى من الترك وسنكتفي بعض نواقص المدافع المذكورة ونبقيها عندنا اذا كانت بحالة للاستعمال والا فاني ارسلها الى مكة

وصل الينا قبل يومين صالح بن بلاع قائد من بقي من العقيلات في المدينة المنورة

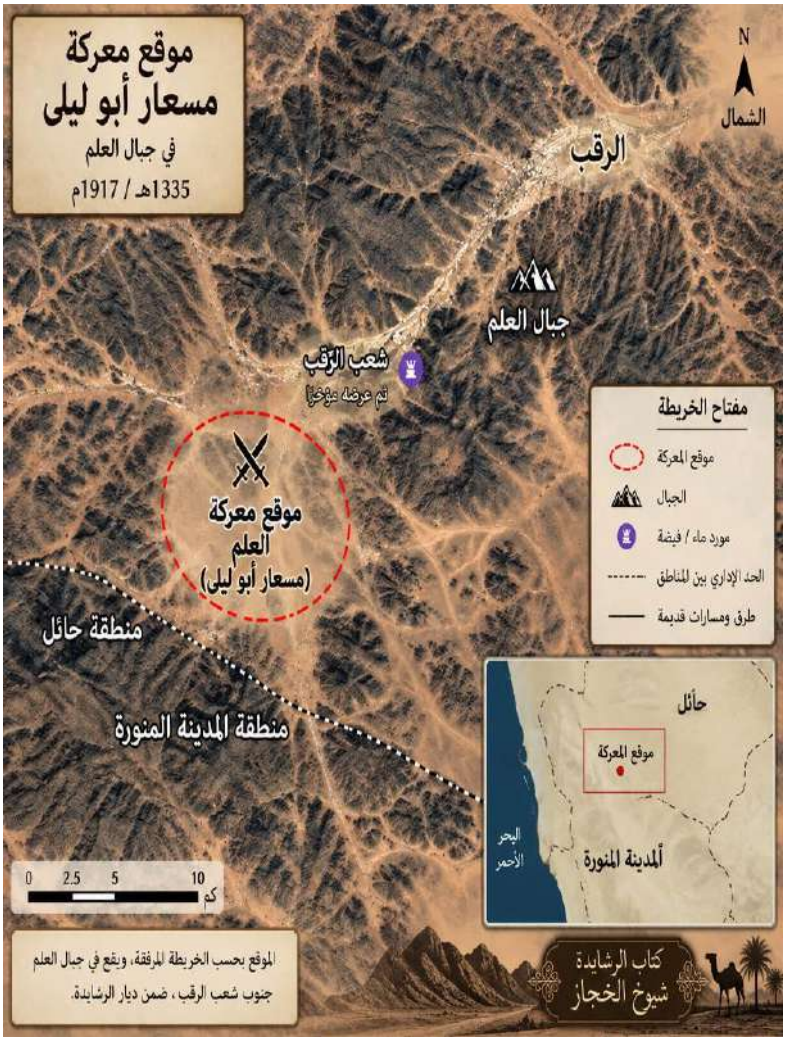
زيد

امساكية شهر رمضان المبارك

رقم التاريخ	اليوم الاسبوع	بداية	الفجر الكاذب	الفجر الصادق	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
		ع ق	ع ق	ع ق	ع ق	ع ق	ع ق	ع ق	ع ق
١٠	الجمعة	٢ ٥	٤٨ ٨	٢٢ ٨	٤٢ ٨	٥٨ ٨	١٩ ٥	٣٨ ١٠	٣٦ ٨
١١	السبت	٢ ٥	٤٨ ٨	٢٢ ٨	٤٢ ٨	٥٨ ٨	٢٠ ٥	٣٩ ١٠	٣٦ ٨
١٢	الاحد	٢ ٥	٤٨ ٨	٢٢ ٨	٤٢ ٨	٥٨ ٨	٢٠ ٥	٣٩ ١٠	٣٦ ٨
١٣	الاثنين	٢ ٥	٤٩ ٨	٢٣ ٨	٤٣ ٨	٥٩ ٨	٢٠ ٥	٣٩ ١٠	٣٦ ٨

عظمة الولايات المتحدة

الاحزاب الالمانية


موقع معركة
مسعار أبو ليلى
في جبال العلم
1335هـ / 1917م
N
الشمال
الرقب
جبال العلم
شعب الرقب
تم عرضه سابقًا
موقع معركة
العلم
(مسعار أبو ليلى)
منطقة حائل
منطقة المدينة المنورة
مفتاح الخريطة
موقع المعركة
الجبال
مورد ماء / فيضة
الحد الإداري بين المناطق
طرق ومسارات قديمة
حائل
موقع المعركة
البحر الأحمر
المدينة المنورة
0 2.5 5 10
كم
الموقع بحسب الخريطة المرفقة، ويقع في جبال العلم جنوب شعب الرقب، ضمن ديار الرشايدة.
كتاب الرشايدة
شيوخ الخجاز

الحرب العالمية الأولى

شكّلت سنوات الحرب العالمية الأولى مرحلة تحوّل جذري في البنية السياسية للبلاد العربية، ومع اندلاع الثورة العربية الكبرى بقيادة **الشريف حسين بن علي**، أصبحت القبائل البدوية عنصرًا حاسمًا في موازين القوى، نظرًا لسيطرتها على المسالك الصحراوية، وخطوط الإمداد، وفي مقدمتها سكة حديد الحجاز، **وبرزت قبيلة الرشايدة** باعتبارها قوة قبلية ذات حضور ممتد بين الحجاز، وسواحل البحر الأحمر، ما وضع شيوخها أمام خيارات تفاوضية متعددة بين **العثمانيين**، و**الهاشميين**، و**البريطانيين**، ومن هؤلاء الشيوخ الذين فاوضوا:

الشيخ ناصر بن هزاع الرشيدي، الذي تفاوض مع القيادة العثمانية في المدينة المنورة، خصوصًا خلال فترة قيادة **فخري باشا**، وتندرج في المراسلات سنة 1917 ضمن ملف :

(BOA, DH.ŞFR 89/201)

تنتهي الروايات المحلية إلى مقتل الشيخ سنة 1918 في سياق صراع داخلي.

الشيخ غازي بن محسن الرشيدي

الشيخ غازي بن محسن الرشيدي شارك إلى جانب قوات الشريف حسين، لا سيما ضمن العمليات التي قادها **الأمير فيصل بن الحسين** في شمال الحجاز، وترد إشارات إلى دور بعض رجال الرشايدة في تأمين الإرشاد الصحراوي خلال حملة العقبة سنة 1917م، وقد ورد ذلك في مذكرات **توماس إدوارد لورنس.**

(Seven Pillars of Wisdom)

الشيخ دليم بن غانم الرشيدي

الشيخ دليم بن غانم الرشيدي، ذُكر في **مذكرات فخري باشا** ضمن لقاءات مع شيوخ قبائل سعوا إلى التخفيف من الإجراءات العقابية المفروضة على عشائرهم، حيث سعى إلى تسوية تحفظ لقبيلة الرشايدة مكانتها مقابل تقديم دعم عسكري أو تسليم سلاح.

الشيخ مسلط بن شافي الرشيدي

الشيخ مسلط بن شافي الرشيدي، إزاء احتدام النزاعات، والتقلبات السياسية التي عصفت بالحجاز، وما خلّفته من آثار دامية، اختار النزوح نحو اليمن اتقاءً لتداعيات الصراع، وتشير المراسلات التي جرت بينه وبين **الإمام يحيى حميد الدين** إلى قبول استقبال الشيخ مسلط وجماعته من الرشايدة في مناطق شمال اليمن*.

(مراسلات سياسية يمنية، 1919، محفوظة ضمن وثائق الدولة اليمنية)*.

حائل

كانت جزيرة العرب يومئذٍ كياناتٍ متفرقة، تغذي القوى الاستعمارية هذا التمزق، وتحرص عليه خدمةً لمصالحها، وفي مقدمتها **الإمبراطورية البريطانية**، التي درجت على تثبيت الانقسام حيثما حلّت، لأن وحدة البلاد تعني قوة أهلها وتراجع نفوذها، وكانت **قبيلة الرشايدة**، شأنها شأن غيرها، تخضع للسلطة التي تبسط هيمنتها على الأرض التي تقيم فيها، ثم شاء الله أن تتوحد البلاد، فجمع شتاتها **الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود** تحت راية واحدة، فقام كيان جديد أنهى الفرقة، ورسّخ الاستقرار.

دليم ابن براك

حاصر الإمام عبدالعزيز مدينة حائل عدة أشهر، وكانت قبيلة الرشايدة بقيادة **الشيخ دليم بن براك** في صفه وتحت رايته، وفي عام 1340هـ الموافق 1921م، كان الحسم حين تدّخل دليم بن براك وأقنع حاكم حائل **محمد بن طلال الرشيد** بانتفاء جدوى استمرار المقاومة، وأن التسليم أجدى من إطالة أمد القتال، فتم تسليم حائل للإمام عبدالعزيز، وعيّن **إبراهيم السبهان** حاكمًا عليها، وبذلك دخل **الرشايدة** في طاعة الملك عبدالعزيز، باستثناء **المهيمزات** الذين كانوا يؤازرون **الشريف عبدالله بن الحسين** في تلك المرحلة.

ضيف دليم

الشيخ دليم بن قاسم بن براك، شيخ شمل الرشايدة، ذاع صيته في منطقته، وما جاورها، وعُرف بكثرة ما نُقل عنه من مواقف الشجاعة، ومشاهد الفروسية، ومن القصص التي ما تزال تتردد على الألسن إلى اليوم ما يأتي:

نزل رجل ضيفًا على الشيخ دليم، فأكرم وفادته، وأدّى حق الضيافة كاملًا، وبعد أن ارتحل الضيف، ومضى في طريقه، اعترضته عصابة من قطاع الطرق، فقتلوه طمعًا فيما يحمل، بلغ الخبر الشيخ دليم، فاشتد غضبه، وأمر رجاله بتتبع الجناة، واقتفاء أثرهم بلا هوادة، حتى ظفروا بهم، فأنزل بهم القصاص، وقطع دابرهم، وفي هذا السياق، قال **الشاعر فارع الجردي** مستحضرًا ضيف دليم بن براك، بعدما قصر أحد معارفه في شأنٍ له:

الضيف ضيف دليم ماهو ضيفك — راعي البويضاء يوم الأرياق يباس
ليته حليف دليم ماهو حليفك — اللي قطع ثلاث روس بدل راس
ولانت ماتخوف وكلٍ يخيفك — من الخوف والريبة شفاياك يباس
اليوم ترفات الصبايا تعيفك — ماعاد لك بين الملابيس مجلاس.

ويقول الشاعر صايل السرحاني :

الضيف له عند المعازيب قيمه — واللي جهل ينشد دليم بن براك
عليت ياراع اليدين الكريمه — يامكرم الضيفان من فعل يمناك
أوفيت الضيف قدر وحشيمه — وذبحت فِسده ثلاثه بيمناك.

هديبان الجحيش

الشيخ هديبان بن عواد بن عايض الجحيش، شيخ المهيمزات، وأحد شيوخ شمل الرشايدة من الزعاترة، عُرف بمكانته الرفيعة، ونفوذه بين قومه، وتعددت ألقابه التي اشتهر بها، ومنها:

راعي الشرفا، أخو هدبه، ذيب الغداري، ومصفي المرح.

وقد امتدت سيرته في القيادة والمواقف، فارتبط اسمه بالحزم، والإقدام، وحسن التدبير في مواطن الشدة، وكان **دغيم بن عليثه الزعيتري** ذراعه الأيمن، ورفيق دربه في الوقائع؛ يلازمه في معاركه، ويشاركه مواقفها، فكانا معًا مثالًا للتكاتف والثبات، وحضورًا بارزًا في وقائع الزعاترة، وكان للزعاترة خيل أصيلة ذاع صيتها بين القبائل، واشتهرت بأسمائها وفرسانها، ومن أشهرها

-الرثوع، للفارس عليثه الزلامي.

-عيدة، للفارس ثاري بن نابت.

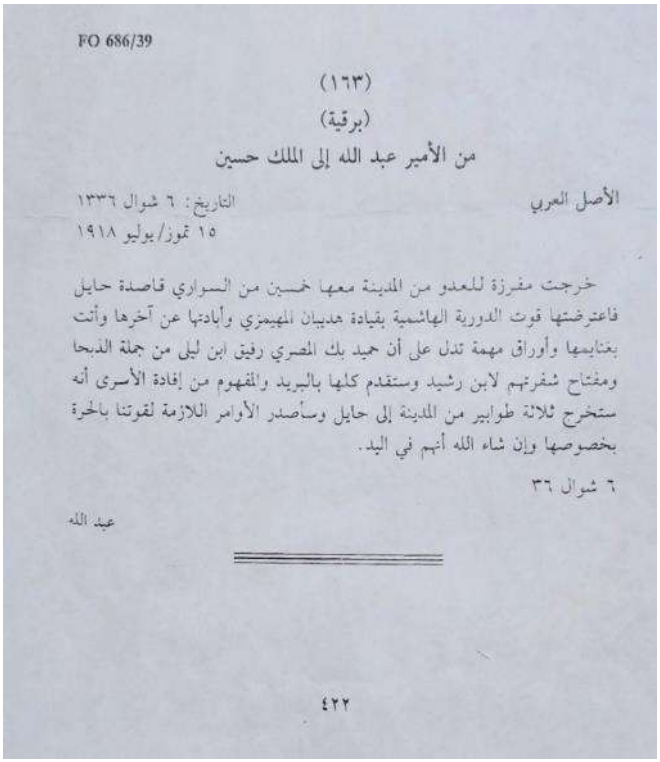
-شقران، للفارس دحيلان بن نغص.

لم تكن الخيل في تلك المرحلة مجرد وسيلة للركوب أو القتال، بل كانت جزءًا من مكانة الفارس وهيبته، ورمزًا للفخر، والأصالة، تُعرف به كما يُعرف باسمه، وتُروى أخبارها مع أخبار فرسانها في مجالس القبائل.

الأمير عبدالله بن الحسين بن علي

حظي الشيخ هديبان بن عواد الجحيش بمكانة رفيعة وقربٍ لدى **الأمير عبدالله بن الحسين**، بعد أن أظهر شجاعة لافتة في قتال العثمانيين، وقد ساد التوتر بين **العرب** و**السلطة العثمانية** في الحجاز خلال تلك المرحلة، وتراكمت مشاعر السخط عبر سنوات السيطرة، حتى جاءت ساعة المواجهة بدعم الشريف وتسليحه للعشائر، فانخرط كثير من الفرسان في القتال، وتذكر إحدى الروايات الواردة في **مذكرات الأمير عبدالله بن الحسين** أن **القائد هديبان الجحيش** اعترض سرية عثمانية كبيرة خرجت من المدينة المنورة متجهة إلى حائل، فتمكن من القضاء عليها، وقُتل قائدها **حميد بك المصري** في تلك الواقعة، وظل هديبان وفيًا للجهة التي ينضوي تحت رايتها؛ فعندما غادر الأمير عبدالله بن الحسين إلى **الأردن**، طلب من هديبان مرافقته، غير أنه آثر البقاء في بلاده، ثم انضم إلى **السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**.

يُعدّ الوفاء سِمةً راسخة في شخصية الرشيدي، إذ عُرفت قبيلة الرشايدة بثباتها على العهد، وصدق ولائها، وابتعادها عن مسالك الخيانة والغدر، حتى غدا ذلك من أبرز ما يُتداول في وصفهم عبر الأجيال.



FO 686/39

(١٦٣)

(برقية)

من الأمير عبد الله إلى الملك حسين

الأصل العربي التاريخ: ٦ شوال ١٣٣٦
١٥ تموز/يوليو ١٩١٨

خرجت مفرزة للعدو من المدينة معها خمسين من السواري قاصدة حايل فاعترضتها قوت الدورية الهاشمية بقيادة هديبان المهيمزي وأبادتها عن آخرها وأتت بغنايمها وأوراق مهمة تدل على أن حميد بك المصري رفيق ابن ليلى من جملة الذبحا ومفتاح شفرتهم لابن رشيد وستقدم كلها بالبريد والمفهوم من إفادة الأسرى أنه ستخرج ثلاثة طوابير من المدينة إلى حايل وسأصدر الأوامر اللازمة لقوتنا بالحرة بخصوصها وإن شاء الله أنهم في البد.

٦ شوال ٣٦

عبد الله

٤٢٢

(الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية –نجد والحجاز- المجلد الثالث)

إخوان من طاع الله



عقب استعادة **الرياض** وما حولها، عمل **الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن** على تثبيت سلطته عبر مخاطبة رؤساء القبائل، وأرسل إليهم الدعاة لتعليم الناس أمور دينهم، وحثّهم على نبذ العصبيات القبلية التي أنهكت البلاد، فاستجاب له كثير من العرب، ونشأت حركة عُرفت بـ«**الإخوان**»، أي **الإخوة في الله** -، تقوم على الالتزام الديني والطاعة للإمام، غير أن هذه الحركة ما لبثت أن اتخذت طابعًا عسكريًا؛ فقام «**إخوان من أطاع الله**» بفرض رؤيتهم **بالقوة** على من رأوا أنه خالف أوامر الإمام، أو امتنع عن الانضواء تحت سلطته، ومع اتساع النفوذ، دخل في صفوفهم **الصادق** و**المتحمس**، كما دخل **الخائف** و**طالب المصلحة** الذي احتمى باسم الدين، وأمام صرامة الإخوان وقوتهم، خشي عدد من **شيوخ القبائل** من اندفاع أفراد قبائلهم، فأظهروا الانضمام إليهم، ولبسوا العمائم البيضاء شعارًا للالتزام، ثم انخرط **الإخوان** في حملات عسكرية لتطويع المناطق وتثبيت الحكم، وقاتلوا كل مُناوئ لسلطة الإمام عبدالعزيز في تلك المرحلة المفصلية من توحيد البلاد.

وأرى أن حركة **إخوان من طاع الله** كانت من الأسباب التي يسّرها الله عز وجل لتهيئة الظروف التي مهّدت لنهوض الأمة وتوحّدها؛ إذ أسهمت في إحداث تحول عميق في المجتمع القبلي آنذاك، وبثت قدرًا كبيرًا من الرهبة في نفوس القبائل، بعدما كانت البيئة القبلية قد اعتادت الشدة والمواجهة، ولم يكن الخوف يجد فيها سبيلًا بسهولة؛ فقد نشأ أهلها وترعرعوا في بيئة قاسية، صقلت طباعهم، وعوّدتهم على الصبر، والجلَد، ومواجهة الأخطار.

ربيّع بن حباب ابن غضوى

كان عيد بن محمد الصقري في إبل أهله، ولم يتجاوز التاسعة من عمره، حين أغار **الإخوان** على إبل **المهيمزات** في صفيط، وكان رجال المهيمزات منشغلين بجداد نخيلهم في الحويط، حيث تتركز أملاكهم من النخيل، فيما كانت الإبل على ماء صفيط لا يحرسها إلا الرعاة وبعض أهلها.

لمّا رأى **ربيع بن حباب** الهجوم، وكان في السابعة عشرة من عمره، اندفع نحو ضلعٍ قريب، واتخذ منه موضعًا للرمي، وشرع يطلق النار لتأخير المهاجمين، وفي الأثناء، انطلق الرعاة بالإبل هاربين بها، ويروي **سعيد بن عيد الصقري** عن والده عيد أنه فرّ على ناقة قُتلت تحته، فأكمل هروبه على قدميه، استطاع ربيع أن يحجز تقدّم الإخوان قرابة ربع ساعة إلى نصف ساعة،

مثبتًا شجاعة نادرة في مثل سنّه، ويُنقل عن عيد الصقري قوله:

"لو كان مع ربيع ثمانيةٌ مثله، لما بقي من الإخوان أحد".

ويُذكر أن ربيعًا قتل أكثر من ثلاثين رجلًا حتى نفدت ذخيرته، فصعد إليه المهاجمون في الضلع، وقتلوه بعد أن نالوا منه بالخناجر (**قطعوه**)، ولا تزال قبور قتلى الإخوان ظاهرة لأهالي صفيط، كما بقي قبر ربيع شاهدًا على تلك الوقعة التي جرت سنة 1336هـ الموافق 1918م.

وقعة اللّعَبة

اللّعَبَة موضعٌ سهلٌ يقع شرق بلدة الحناكية، وبحكم الموقع الجغرافي لبلاد **المهيمزات**، كانوا في صفّ **الشريف**، وظلّوا على وفائهم له حتى رحيله، وهي سِمة انعكست في سلوكهم السياسي؛ الثبات مع الحاكم ما داموا في طاعته، أبلى **الشيخ هديبان الجحيش** بلاءً مشرّفًا مع الشريف، ثم كانت له مواقف قوية لاحقًا مع **الملك عبدالعزيز** في مرحلة توحيد البلاد، وكذلك **خضران بن رفان**، أحد كبار شيوخ المهيمزات، عُرفت له مواقف مشهودة في تلك الحقبة المضطربة، وفي هذا السياق وقعت معركة اللّعَبَة سنة 1340هـ الموافق 1922م، حين خاضها بنو عمار (**العمامير**) في مواجهة إخوان من أطاع الله، ضمن سلسلة الصدامات التي شهدتها المنطقة في زمن التحولات الكبرى، وتثبيت النفوذ.

ذبحة العمامير

سُلّح العمامير من قِبل الشريف، ونزلوا في منطقة اللّعَبَة، ومعهم جماعات من قبيلة **مطير**، وأخرى من قبيلة **حرب**، وبعض أبناء عمومتهم من **الرشايدة**، كانت القيادة يومئذٍ **لثامر بن بتال بن الأعرج العماري**، وقد اتخذوا موقعهم ليكون ساترًا لمن خلفهم من هجمات **الإخوان**، وكانت معهم نساؤهم وأموالهم.

بلغتهم الأنباء بأن جموعًا كبيرة من الإخوان – و**هم قبائل مختلطة** – تتجه نحوهم، اضطرب الجمع، وقيل إن عدد الإخوان يفوقهم أضعافًا، وأن البقاء في السهل مخاطرة، فطُرح رأي الانسحاب، غير أن العمامير رفضوا، وكانوا يزيدون على ثلاثين مقاتلًا، وقالوا:

.

«معنا هالبنادق الجديدة، والله ما ننسحب»

انسحبت جماعة مطير، ثم لحقت بهم جماعة من حرب إلا قليلًا منهم، كما انسحب عدد من المهيمزات بعد أن رأوا تصلّب موقف العمامير الذين لم يبقى معهم إلا **الخبارية** من المهيمزات، **ومسيعيد بن جويعد آل مطيع**، وعدد من الرشايدة لا يتجازون الخمسة.

مع شروق الشمس هجم الإخوان عليهم، وكان العمامير ومن بقي معهم على استعداد، فدارت المعركة من الشروق حتى ارتفاع الشمس، ساعاتٍ من قتالٍ شديد، حتى نفدت ذخيرة العمامير، فقُتلوا جميعًا، وعُرفت تلك الواقعة بـ«**سنة ذبحة العمامير**»، وقُتل معهم الخبارية بعد أن أبلوا بلاءً ظاهرًا، وقتل مسيعيد بن جويعد بن عليثه بن محمد بن مطيع (**رحمهم بارئهم**).

كانت النساء مجتمعاتٍ في طرف الموقع، فلما انتهى القتال شرع الإخوان في جمع الغنائم، فوجدوا صررًا من المال على ظهور الخيل، سأل أحدهم امرأةً متعجبًا:

« يوهبوا ! أنتم ما عمركم انوخذتم؟ »

فأجابته:

« لا والله ما عمر ربعي انوخذم »

كان القتلى في كل موضع، وبعض الجرحى يُجهز عليهم، ومن بين المصابين رجلٌ من العجاونة من الرشايدة تظاهر بالموت، وقف عليه أحد المهاجمين وقال:

«مسوي نفسك ميت، الموت جايك جايك»

ثم أطلق النار عليه في صدره ومضى.

أوقد الإخوان نارًا عظيمة، وكانوا يلقون فيها من يجدو معه عظم – **أداة استنشاق الدخان** – ليحترق، ثم رحلوا تاركين الجثث خلفهم، وتُروى حادثة:

أن رجلًا مُسنا من قبيلة حرب كان مختبئًا، فلما رأى القوم يرحلون أسرع إلى النساء، فأخفينه بينهن في عباءة، فرآه رجلان من بعيد يمتطيان ناقتين، فتسابقا نحوه، قفز أحدهما، وجذبه من بين النساء، وأراد نحره، فصاح به صاحبه:

«**تكفى... تكفى أخشرني فيه نص الأجر**».

فأجابه: «**ما لك إلا الربع**»، ثم نحر الرجل المسن، والرجلان من نفس قبيلة الرجل.

بعد رحيل الإخوان أقبل الناس لدفن قتلاهم، وعثر العجاونة على صاحبهم وفيه بقية رمق، على الرغم من إصابته البالغة، فحملوه وتولّوا علاجه عامين كاملين وهو طريح الفراش لا يقوى على الحركة والكلام، حتى منَّ الله عليه بالشفاء، كانت تلك الوقعة من أشد أحداث تلك المرحلة قسوةً، وبقيت في الذاكرة باسمها الدالّ على فداحة ما جرى فيها.

قال عايش ابن مدعث في ذلك اليوم :

يا ليتني ما رقبت الدار ولا شفت مدوس وعربانه

من فوقهم يقنب السرحان وطير الخلا ضف جنحانه.

وقال شاعر من قبيلة حرب قصيدة طويلة:

أبكي وأبكني بنات العمامير أبكي ثامر والوجيه المفاليح

مغبرّاتٍ ما يبين الحياتي والنار بين الضلع صوتٍ وصياح.

جتهم جموع الإخوان بالمناكير مثل السيل لا جا على غير ميلاح

ثبتوا هل العزّ وقت المعاسير ما لان حدّهم ولا قالوا انساح

طاحوا كرامٍ ما عرفوا التخاذير وسقوا ثرى اللعبة دمٍ فوّاح

يا لعبة اشهدي على فعل العمامير مجدٍ كتب بالصدق لا هو بمزاح

والإخوان جوا والقدر له تداوير والله حكم بين العباد بما راح.

كذلك صغت أبيات فيهم:

العمامير المهابه والمروّه والسناد روس قومٍ للمواقف لها روسٍ تشيل

مضرب الأمثال في فكّ النشب وقت الشداد وان دعى الداعي لهم فزعتهم ما تميل

هم كما روس الجبال اللي تهزّها الرعاد واقفه لا ما تزحزحها ليالي الدخيل

في خطاهم صاعقه تمشي على درب الجلاد كل شبرٍ في وطاهم يرتجف له مستحيل.

الإخـوان

كانت البادية، ولا سيما بادية جزيرة العرب، وبالأخص نجد، قبل قيام **المملكة العربية السعودية**، بيئةً بالغة القسوة؛ لا يثبت فيها إلا من اشتدّ عوده، وقوي بأسه، وصار كالسبع في شدته وجلده، فالحياة هناك لا ترحم متراخيًا، ولا تُبقي لضعيفٍ مقامًا، ومع ما عُرف عن العرب من مكارم الأخلاق، وما جُبلوا عليه من النجدة، والوفاء، والحميّة، ظلّ الغزو موردًا من موارد القوة، ووسيلةً لبسط الهيبة وإشاعة الرهبة بين القبائل، فترسّخت الشجاعة في النفوس، وألف الناس الإقدام، وهان عليهم الموت حتى غدا جزءًا من معادلة البقاء، غير أن مشيئة الله كانت ماضية، ورحمته بأمة نبيّه، وحفظه لبيضة الإسلام، أمرًا مقدّرًا لا يتخلّف؛ فتهيّأت الأسباب، وتيسّرت السبل، ونشأت حركة «**الإخوان**»، أو ما عُرف بـ«**إخوان من طاع الله**»، وهم رجال من قبائل شتّى، اجتمعوا تحت راية **الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**، وقاتلوا في سبيل تثبيت سلطانه وبسط نفوذه على ما امتدت إليه قوتهم من أرجاء الجزيرة العربية، وكان النصر حليفهم في مواطن كثيرة، فدبّ الرعب في القلوب، وارتجّت بهم أرجاء البلاد، وعلى الرغم مما اتسمت به حركتهم من شدّة وبأس، فإن ما جرى كان جزءًا من سياق تاريخي طويل، ساق الله فيه من الأحداث ما آل في نهايته إلى توحيد البلاد وقيام المملكة العربية السعودية.

وأرى أن اسم «الإخوان» الذي أطلقه **حسن البنّا** على جماعته عند تأسيس «**الإخوان المسلمين**» كان متأثرًا بتسمية «إخوان من طاع الله»، وإن كان السياقان مختلفين؛ فقد نشأت حركة البنّا في بيئة سياسية، وفكرية، واجتماعية متعددة الاتجاهات، وتداخلت فيها

اجتهادات، ومشارب فكرية مختلفة، مما أوجد تباينات داخل بنيتها التنظيمية والفكرية، أما «إخوان من طاع الله»، فكانت جماعتهم مرتبطة بالمشروع الديني، والسياسي الذي نشأ في نجد في ظل الدولة السعودية، واتسم خطابهم الديني بالتشديد في مسائل التوحيد ومقاومة ما كانوا يعدّونه مخالفًا له، كما اتسم سلوكهم في بعض المراحل بالشدة في التطبيق، ومن ثمّ، فمع اشتراك التجربتين في لفظ «الإخوان»، فإن بينهما اختلافًا واضحًا في المنطلقات، والبيئات، والظروف التاريخية، والنتائج.

مبهل

يقع **بئر مبهل** شمال عقلة الصقور، وكان موردًا تقصده البادية الرحّل، يستقون منه ويقيمون حوله بأهليهم، ومواشيهم ثم يمضون، وفي يومٍ من تلك الأيام، نزل عند البئر عددٌ من المهيمزات وبني عمومتهم من الرشايدة، ومعهم جماعات من قبائل أخرى، وقد اجتمعوا على الماء في حالٍ من السكون والاطمئنان، غير أن الإخوان باغتوهم بهجومٍ مباغت، فدارت وقعة شديدة، وقُتل أكثر من كان في الموضع، وعند ذلك الحدث الأليم، استحضر الشاعر/ **الشيمي بن مذعور العماري** — **رحمه الله** — شجاعة قومه وبطولاتهم في سالف الأيام، قبل حركة توحيد المملكة العربية السعودية، مستذكرًا بأسهم وماضيهم الذي عُرفوا به بين القبائل:

من عقب ما نرعى الخطر وانـتمهزاه — اليوم في راس القرى مانميلي

جانا المطـوع مامشى بالمداراه — واخلاء جنب العد عقب القطيني

الموت ماخلا احد قلت ماجاه — فكر بإهل مبهل وطاهم مليلي.

طبيب البادية

في زمنٍ لا يبلغ فيه الأطباء اليوم واحدًا في المائة من البشر، فكيف بالحال في مطالع القرن الرابع عشر الهجري، وفي باديةٍ معزولةٍ لا مستشفيات فيها، ولا مدارس طب؟ كان المعالج هناك نادرًا، والمتمكن بينهم أندر.

عيادة ابن سلمى الجبيري

في تلك البيئة برز **عيادة بن ميس بن سلمى الجبيري المهيمزي الرشيدي**، كبير جماعته الوحرة، لم يكن طبيبًا بالمعنى المؤسسي، بل صاحب خبرة متوارثة، وتجربة عملية صقلتها الأيام، يجبر الكسور بإحكام، ويخيط الجراح بيدٍ ثابتة، مستعملًا أمعاء القعود بعد تنظيفها وتجهيزها خيوطًا للجراحة، في دلالة على فطنة عملية سبقت الأدوات الحديثة، كانت مهارته وليدة الحاجة، والحاجة في البادية مدرسة قاسية لا تعطي شهادات لكنها تخرج رجالًا.

كان عيادة يومها مقيمًا على بئر مبهل، وحين اشتعل القتال احتمى وقاتل، فقتل من القوم، ثم وقعت المذبحة، ورأى ما نزل بالناس من فاقةٍ، وحزنٍ، وجرحٍ مفتوح في الأجساد والقلوب، عندها تغيّر المشهد: أمر ابنته **ربدة** ألا تمنع أحدًا من ماشيتهم، وكان يملك منها الكثير، ذُبحت الشياه للمصابين، وأُطعِم الجائع، ودُوي الجريح، وعاد الرجل إلى دوره الذي يجيده: تضميد ما تمزّق وجبر العظم، وخياطة الجراح.

ومن قومه الوحرة برز الفارسان **ماطر** و**ناجي** ابنا مطيران بن عسله.

يا طير بلغ عن عيادة وصرّح — شيخٍ على العليا من المجد مبني

وقت الشدايد بالسيوف يتوشّح — ووقت الجراح بطيب فعله يحنّي

يجبر كسور العظم لا طاح وجرّح — ويخيط نزفٍ والرجا فيه يغني.

خضير ابن رفادان

خضير بن رفادان فارسٌ ذائع الصيت، قُتل في إحدى الغزوات بعد أن صرع عددًا من الرجال في آخر وقائعه، وكان مقتله بعد معركة عواند الطوالة، ويقال: **مسعار أبو ليلى**، رحمه الله ورحم من قُتلوا في تلك الوقائع، وعفا عن الجميع، وذُكر أن الشيخ خضران بن رفادن قال مفاخرًا بقومه المهيمزات: "**في ربعي المهيمزات نجمين أفلَا سريعًا: فالح بن مدعث، وخضير بن رفادان**".

ورثاه الشاعر عايش بن مدعث بقصيدةٍ يومها، ثم عرّج على شقيقيه فالح ومعيبد اللذين قُتلا في معارك متفرقة، فقال:

عوص النضا غربن بخضير — في حبل الأدراك طشنه

عقيد هجن السعد والخير — لا صمّل العلم ينصنه

ياما خذا البل من أرض مطير — وياما أرسل السبر للقنّة

يبكنه اليوم خلج الضير — ويبكنه اللي يعرفنه

أمه تصيّح قبول عصير — تبي الهبايب يجيبنه

قبله طيوري غدن اثنين — أمي أبويه جنوهنه

يا الله يا اللي تعيش الطير — إنك تعوضهم الجنة.

وقوله:

«**قبله طيوري غدن اثنين**»، إشارة إلى أخويه فالح ومعيبد، رحمهم الله جميعًا.

فالح ابن مدعث

قُتل فالح بن مدعث مع باتل بن الأعرج العماري، حين كانوا عائدين إلى ديارهم، وبرفقتهم محمد العوتلا العماري، وعايش بن مدعث، فاعترضتهم جماعة من الفرسان، ودارت بينهم مواجهة بالنار حتى قُتل فالح وباتل، وسَلِم محمد العوتلا وعايش بن مدعث، وقيل إن فتاةً كانت تهوى فالح بن مدعث، فلما بلغها خبره، قالت:

عليت ياللي طاح من بين ريكين اللي اليا ركب النضا يقبلنه

ياذيب ياللي مدهلك ضلع فرقين بلغ ذيابة ريك لا ياكلنه

يا ذيب حطه في كهف ضلع ريكين وداعتك سبع الخلا لا يجنه.

شامان القلادي

كان شامان رجلًا ضخم البنية، طويل القامة، شهد إحدى الغزوات مع جماعةٍ من الرشايدة، فيهم خضير بن رفادان، ودارت رحى معركةٍ عنيفة في تلك الغزوة، فأُصيب شامان وسقط في مرمى البنادق، وتعذّر على رفاقه الوصول إليه تحت كثافة الرمي، كان ينادي أبناء عمومته، ويلحّ عليهم أن يمضوا ويتركوه، خشية أن يُصاب غيره بسببه، غير أن خضير بن رفادان، وهو متوسط القامة، لم يتردد؛ فانطلق إليه يخترق وابل الرصاص، حتى بلغه، فاحتمله على ظهره — وقد كان جسد شامان يفوقه حجمًا وقامةً حتى كأنه ضعفاه — وعاد به والطلقات تنطلق بين رجليه وبمحاذاته، وقد شقّت ثوبه من شدّة قربها، حتى بلغ به مأمنه، وسلم القوم جميعًا، وعادوا دون أن يفقدوا أحدًا، كانت تلك الحادثة بحدود سنة 1919م.

وفاء شامان

حمل شامان معروف خضير في عنقه ما عاش؛ فلم ينسَ له ذلك الموقف ما بقي فيه عرق ينبض، وكان يضحي في كل عيد أضحى بكبشين: أحدهما عنه، والآخر عن خضير، وفاءً وعرفانًا، واستمر على تلك الحال ثمانين عامًا كاملة، حتى توفي رحمه الله سنة 1420هـ الموافق 1999م، تلك سيرة وفاءٍ نادرة، وموقف إخلاصٍ ثابت لا يتبدّل بطول الزمن، ومن ثبت على الشكر ثمانين عامًا، فإنما يدل ذلك على صفاء معدنه، وصدق طبعه.

صغتُ أبياتًا في كلا الموقفين:

يا شامان يا ضلع الوفا يوم الملاقي — يوم البنادق وسط صدرك تزاعل

طيحتك سود الليالي في السواقي — والنار تصهل والبنادق تقابل

تنشد ربعك: خلّوني وانا فداكم — لا ينجرح غيري ولا حدٍّ يتحامل

لكن خضير، وعزّته فوق الطراقي — شقّ الرصاص وجاك ما هو بمخاذل

متوسط القامة... فعوله سباقي — يشيل ضلعين الرجال ولا يمايل

حملك على متنه ووجهه صماقي — والطلق بين رجوله وثوبه مشاقل

رجع بك حيٍّ وخصمك في احتراقي — ولا فقد ربعه ولا جاه ناقل

ومن ذاك يومٍ وانت بالعهد باقي — تذبح ضحيتين والوفا لك وسايل

واحدٍ لك... والثاني لراعي السباقي — خضير للي للمنايا مقابل

ثمانين عامٍ والوفا فيك راقي — ما هزّك الوقت ولا العمر زايل

من عاش بهالدرب ما هو بعادي — معدنك طيبٍ مثل طيب الأوائل.

بيعة الرشايدة للسلطان عبدالعزيز آل سعود

انضمّت قبيلة الرشايدة، من كان منهم في نجد والحجاز، بأجمعهم إلى السلطان عبدالعزيز عند رحيل الشريف، ولم يشقّوا عصا الطاعة، وفاءً بطبعهم الذي عُرفوا به؛ إخلاصًا للصديق، وبرًّا بالجار، وصدقًا للوطن.

السبلة

تمرّد جزءٌ من «إخوان من طاع الله» على السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فوقع قتلٌ للأبرياء واضطرابٌ في البلاد، عندها جمع السلطان الإخوان الموالين له، وانضمّت إليهم قبائل وأنصار، وكان من ضمنهم الرشايدة، وفيهم **دليم بن براك**، و**سرور بن سمرة**، و**هديبان الجحيش**، وقعت المعركة سنة 1347هـ الموافق 1929م، وكانت الغلبة فيها للسلطان عبدالعزيز، فانتهى التمرّد، واستتبّ الأمن.

حامد ابن رفادة

كان أمير شرق الأردن عبدالله بن الحسين، ووالده الحسين بن علي يسعيان إلى استرجاع الحجاز، وساندهما ملك مصر فاروق الأول، فدعموا حامد بن رفادة، أحد شيوخ قبيلة **بلي**، الذي أعلن تمرّده في شمال الحجاز، وأخذ يزعزع الأمن، ويقاتل القبائل الموالية للسلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ومجّدت بعض صحف الأردن ومصر أفعاله، وقدّمته في صورة البطل، وذلك في وقتٍ كان فيه السلطان عبدالعزيز يتحرّك لتثبيت الاعتراف بدولته الناشئة، التي سيُعلَن لاحقًا قيامها باسم المملكة العربية السعودية، ويتوَّج ملكًا عليها.

حاولت دوائر نافذة في الأردن ومصر تأجيج الفتنة أملاً في تمرّد القبائل، وعودة الاضطراب إلى جزيرة العرب، غير أنّ الأحداث انتهت بترسيخ الدولة، واستتباب الأمن.

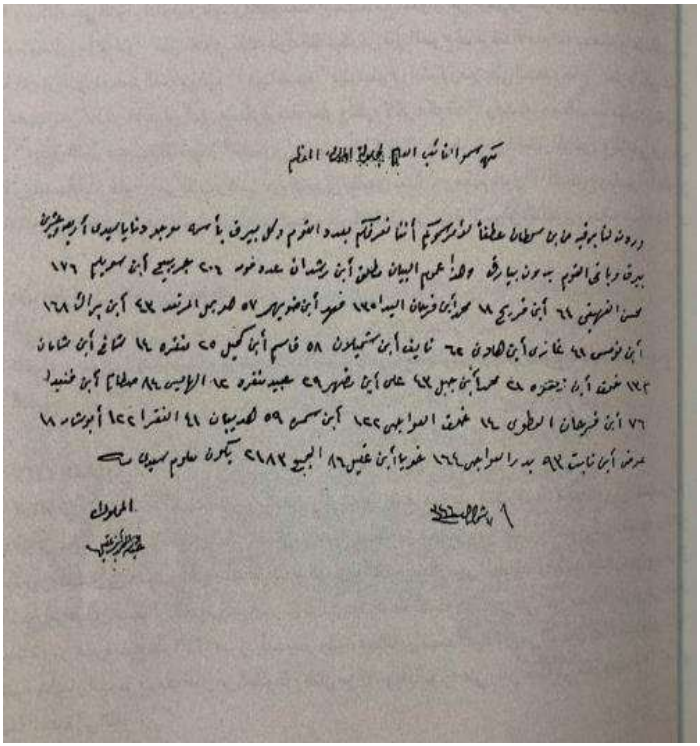
جيش

ابن عقيل لا ينام ولا يقيّل

كان أمير الجوف **عبدالله بن محمد بن عقيّل التميمي** من أخلص القادة والأمراء للدولة السعودية، واشتهر بالحزم والدأب حتى لُقّب جيشه بـ«**جيش ابن عقيل لا ينام ولا يقيّل**»، لكثرة تحرّكه وملاحقته حامد بن رفادة.

اتخذ ابن رفادة من الأردن ومصر ملاذًا يتقي به الملاحقة، غير أن المطاردة لم تتوقف، حتى حُوصِر في ـ **جبل شار** ـ قرب بلدة ضبا، فدارت معركة بين الجيش وأعوانه، تفرّق فيها أنصاره ولجؤوا إلى الجبل، وتمكّن **الشيخ هديبان الجحيش** من صعود الجبل والدخول عليه في مغارة، فقتله وقطع رأسه، لتنتهي بذلك حركة التمرّد، وقد وردت تفاصيل هذه الوقائع في مذكرات ـ **جون باغوت غلوب** ـ « **حرب في الصحراء** »، وكذلك في كتاب «**أرض مدين**» لـ **عبدالله فيلبي**.

تكوّن جيش ابن عقيل من قبائل: **الرشايدة**، و**عنزة**، و**بلي**، و**بني عطية**، و**شمر**، وجاءت برقية إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود تذكر بيارق الجيش وقبائله وعدده، وجاء فيها ما يلي:



تمكّن الشيخ هديبان الجحيش من قتل الشيخ ابن رفادة وقطع رأسه، فطُويت بذلك صفحة فتنته، وكانت تلك آخر حركة تمرّد في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، إذ قُطع دابرها على يد قبيلة الرشايدة سنة 1351هـ الموافق 1932م، وبانتهاء هذه الواقعة استقرّ الأمر، وترسّخت هيبة الدولة، وأُغلقت مرحلة الاضطراب التي حاولت أن تعود بالشمال إلى الفوضى.

يا ابن عقيل وجيشك اللي ما ينام سيف الدولة لا تهادى وانبرى

لاحقت فتنة ابن رفادة بالهام لين ضاق به جبل شار واعترا

من ضبا لحدود نجدٍ والتهام خيلكم مثل السحاب إذا جرى

رشايدةٍ فعلهم ضربٍ وحسام لا دعا داعي الوغى ما تأخرا

عنزةٍ وبلي وبني عطية وشمرٍ كلهم تحت اللوى صفٍ سرى

حاصروا المتمرد اللي ما استقام لين ضاقت به مغارات الذرا

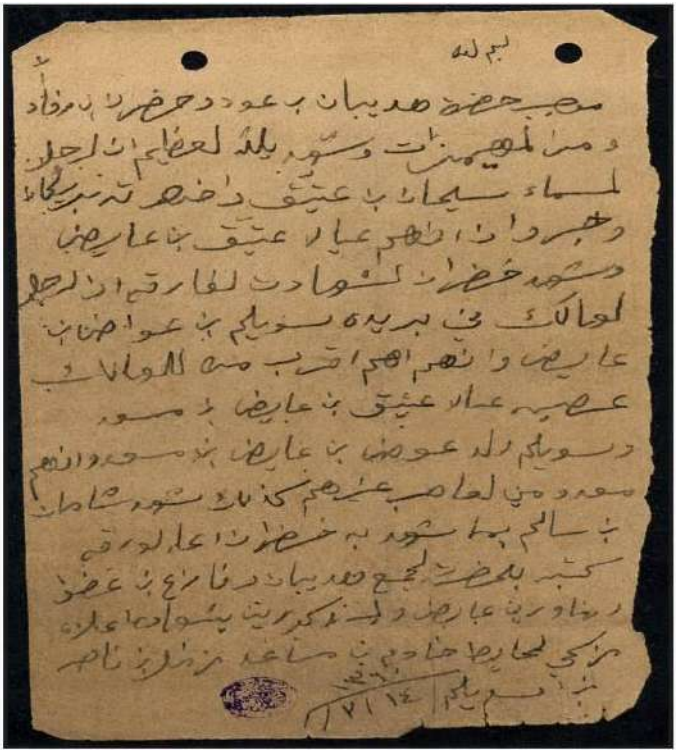
صعد الجحيش الجبل عزًّ وإقدام وادخل عليه والمنايا تنتظرا

ضربهٍ أنهت حكاية ذاك العام وانقطع دابر فسادٍ وانتشرا.



الشيخ هديبان بن عواد الجحيش المهيمزي، أحد شيوخ شمل قبيلة الرشايدة

فازع ابن غضوى



تؤرخ الوثيقة لعام 1360هـ، وفيها شهادة كلٍ من **الشيخ هديبان بن عواد** و**الشيخ خضران بن رفادان** والشيخ **فازع ابن غضوى**، تؤكد أن سيحان وبريكان وجروان هم أبناء عتيق بن عايض الفعري، وأنهم أقرب عصبة للمتوفى سويلم بن عواض بن عايض، كما شهد بذلك شامان بن سالم، وكُتبت الوثيقة بحضور عدد من رجال القبيلة، ثم خُتمت بختم ابن سويلم، خادم ابن مساعد.

الفصل الخامس

زمن

المملكة العربية السعودية



المملكة العربية السعودية

في السابع عشر من جمادى الأولى سنة 1351هـ، الموافق 23 سبتمبر 1932م، أُعلن قيام **المملكة العربية السعودية**، وتوِّج عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملكًا عليها، وهو الرجل الذي اقتلع أوتاد الفتنة، وقطع حبال العصبية، وجمع الشتات تحت راية واحدة، على يديه تبدّل حال البلاد بعد قرونٍ من المعاناة؛ أعوامٍ طويلة من التنازع، والاقتتال على الكلأ والماء، عاناها الآباء وتوارثها الأبناء، فكان الإعلان ميلاد دولةٍ أنهت الفرقة، ورسّخت الأمن، وفتحت باب الاستقرار بعد تاريخٍ ثقيل من الصراع.

محمد العوني

قال الشاعر محمد بن عبدالله العوني في مدح عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إبّان معركة البكيرية سنة 1321هـ – 1904م:

منّي عليكم يا اهل العوجا سلامْ — واختص ابو تركي عمى عين الحريبْ
يا شيخ باح الصبر من طول المقام — يا حامي الوندات يا ريف الغريب
اضرب على الكايد ولا تسمع كلام — العز بالقلطات والراي الصليب
لو انت طعت الشور يا الحر القطام — ما كان حشت الدار واشقيت الحريب
اكرم هل العوجا مدابيس الظلام — هم درعك الضافي لْيَا بار الصحيب
واولاد علي دورهم يوم العتام — يحمون نار الحرب في حامي اللهيب
عينك الى سهرت يعافون المنام — غشٍ لغيرك وانت لك مثل الحليب
لي عسكر البارود واحمرّ الكتام — وتلافحت باذيالها شهب السبيب
والله ما يجلا عن الكبد الملام — إلا الموارت يوم تسمع له نحيب
ومصقلاتٍ كنّها نوض الغمام — بحدودها نفرق حبيبٍ من حبيب.

عاش محمد بن عبدالله العوني في حاضرة القصيم منذ مولده حتى شبابه، ولم ينشأ بين أبناء عمومته، الأمر الذي جعل عددًا من المؤرخين يختلفون في تحديد نسبه، ويجهل بعضهم امتداده القبلي، غير أن قلةً من الباحثين ذكرت أنه ينتسب إلى العونة، حلفاء مطير، وهم فرع العونة من قبيلة الرشايدة، كان العوني حادّ الطبع، متقلب المزاج، وهو ما أدخله في صدامات مع السلطة آنذاك، فسُجن في الإحساء، وتوفي سنة 1343هـ الموافق 1924م، بعد حياةٍ حفلت بالشعر، والمواقف، والجدل.

الأبيتر عقال الصدق

ياراكب من عندنا فوق عرماس عرماس تشدي قايدات الجمايل

ليا روحن من عندنا مثل الاقواس صيتك دليلتهن بليا دلايل

تسني ديار اللي عن الضيف ينلاس لى خطر ليله يلمع الصبح شايل

ما لك لدي ياشوق مدقوق الالعاس كود الامام الليشبك حرحايل.

أبياتٌ طويلة قالها **عقيل بن رويضان الغضوري**، كان من ضمنها أبياتٌ أغضبت عقال الصدق عايض الأبيتر؛ إذ رأى فيها موازنةً بين **الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**، الذي وحّد البلاد وبين **ابن رمان** صاحب تيماء، وهو ما عَدَّه مجاوزةً لا تُقبل، فقال عقال الصدق عايض الأبيتر:

بديت بذكراله عليم بما كان فلاق عن وسى البحر يوم قده

حرف تقول معلق له بميزان راعيه عن درب القدا مايرده

يوم انت ما برقت يابن رويضان الحرف ما برقت باول مشده

يامارد المردان مخطيك الايمان انت الخيار من الوجيه المصده

شايب وراسك للشياطين مسكان وخطاك ورقان الجبل ما يسده

لاديت سلطان العرب لابن رمان ياشين ما كل فرقته بقده

والله فلا نقرض سهم لابن رمان طيبه على تيما وهداج حده

ابن سعود اللي له الناس رعيان زامي بحرمهبول من يستحده

مودع مناعير النشاما تقل ضان مرذين عيرات النضا بالاشده

ذولاهل العوجا زلازل وعقبان وغيرالفهود مشبثين باسده

أنا عقال الصدق والا انت كذبان واقر الصحيح ان كان تفهم مرده

والله ان تونس غبها يارويضان ما قلت من حرف يجيكم مرده.

الصقرية

حيّيّه بنت محمد الصقري، شاعرة من شاعرات قبيلة الرشايدة، قالت أبياتًا في مدح خؤولتها **النميان المهيمزات**، ثم انتقلت إلى وصف حال الجزيرة بعد استقرار الحكم في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، حامدةً الله على ما أفاض من نعمة الاجتماع بعد الفرقة، والأمن بعد الخوف:

اللي مضى يادهيم كلن يقوله — يوم ان أبو مدوس على الفطرّ الذير

ياما ركض مع ساقته بنت أصيله — اللي عليهن العيال المناعير

سلمن على جدانهم والقبيله — وعاداتهم كسب البكار الصواغير

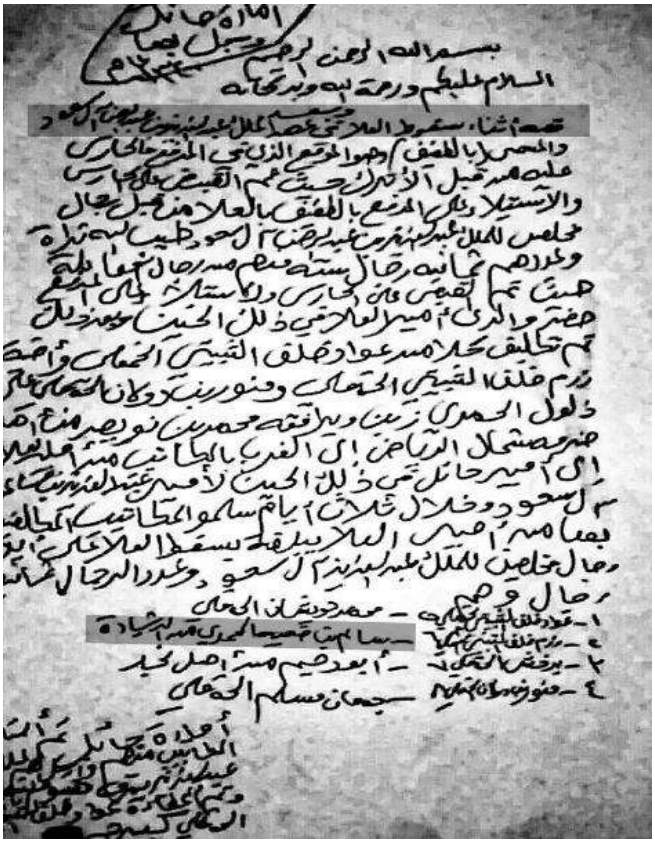
خوالي إلي يدهلون النفيله — سقم العنيد إلي براسه عياطير

واليوم كلن ساكن له بديره — بحكم السعود مطوعين الطوابير

وزبن على المعبود منشي المخيله — واستغفر الله عن كلام به الزور.

سالم ابن ضعية

سالم ابن ضعيّه، وهو سالم بن ثويني بن مثني بن حمود القلادي، أحد فرسان الرشايدة المعدودين، عُرف بالإقدام والصرامة، لا يعرف التردد، ولا يلين في تنفيذ ما يُوكل إليه، استعان به أمير حائل **عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود**، فكان شديدًا في إقامة النظام وتنفيذ الأوامر، حتى اشتكى الناس من حزمه، وقوة بأسه، أسهم في فتح العُلا للملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وكان برفقة جمع **الخماعلة** من عنزة، ضمن مرحلة تثبيت الحكم، وبسط الأمن في شمال غرب الجزيرة.



كان سالم ابن ضعيّه، على شدّته وبأسه، صاحب نخوةٍ ونجدة، وفي زمن توحيد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود للبلاد، لقي في طريقه رجلًا وزوجته قاصدين إحدى الجهات، فرافقهما حمايةً لهما، فهاجمهم قُطّاع طريق، ففرّ الرجل وترك زوجته، فاستجارت بسالم، فثبت لها، وصدّ الهجوم، ودحر القُطّاع، وقال في ذلك مفتخرًا بنخوته:

أمس الضحى لوشفتني ياعضيدي في ساعة صارت علينا فجيعه
جانا المهار معسكرات الحديدي بايمن شعيب الدوح عند الطليعه
ذبحتهن لعيون زاه الجديدي يوم الردي ضاقت عليه الوسيعه
طاحن ثمان وعشر والله شهيدي واقفن ثمان والصوايب شنيعه
عاداتنا لعصم الشوارب نصيدي والعمر لسهوم المنايا نبيعه
لولا يمانينا تصد الضديدي رحنا طعام للسباع المجيعه,

كما فيه قيلت الأبيات الشهيرة :

لاوذلولي خذاها عبيـد راحت مهر بُم دواره
وش عاد لو جبت منها وليد واسقم منهو على ناره
اعتاش في كورها ياعبيد ولاانت تعتاش بتجاره
من عقب ماهي تذب الريد اليوم للزمل قهاره
لي فاطرن ماتبا الرعديد تبا ولد يلحقه كاره
ودك عليها مثل مرعيد وإلا ابن ضعيـه على أذكاره.

قصتها أن فارسًا من قبيلة عنزة هام بفتاةٍ أبوها ليس من أهل الفروسية، تقدّم يخطبها، فاشترط عليه والدها مهرًا قاسيًا: **ناقته وبندقيته؛** وهما يومئذٍ عِزّة الرجل، وعماده في زمن الفرقة، وشظف العيش، تردّد الفارس أول الأمر، ثم غلبه الهوى فقبل، ودفع ما طُلب، فلما نال مراده تحسّر على ما فرّط، وأنشد أبياتًا ذكر فيها **سالم ابن ضعيّه الرشيدي**، و**مرعيد بن رمال الشمري** الذي حضر، وساق عددًا من النوق فداءً لتعود الناقة والبندقية إلى صاحبها، غير أن والد الفتاة أبى أن يرجع عنه، واشتدّ بعد أن مسته الأبيات، عندها أرسل سالم ابن

ضعيّه مع رسول طلقةً واحدة، وجعلها رسالةً صريحة: إن لم تُعد الناقة والبندقية، فهذه الرصاصة ستجد طريقها إليه حيثما أخفاها، وتستقر في رأسه، ارتاع الرجل، وأدرك أن الوعيد

ليس قولًا يُرمى في الهواء، فردّ الناقة والبندقية إلى الفارس، وانتهت القصة بردّ الحقّ إلى صاحبه.

رحل سالم ابن ضعيّه إلى الأردن إثر خلافٍ مع حاكم حائل **عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود**، وكان سالم، كما تقدّم، شديد البأس قويّ البنية، فذاع صيته في بادية الأردن، ولا سيما في منطقة معان، حيث اكتسب هيبةً ومكانة بين أهلها، ثم أصبح من رجال عبدالله بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، وذُكر أنه تزوّج هناك وأنجب، واستقرّت له سيرةٌ شهيرة بين القبائل.



وثيقة رقم (٥٩-٣٤٥)

حضرة صاحب السمو الامير المعظم

مولاي

مع اعتقادي في سموكم التسامح لازعجاجي [كذا] خاطركم في هذه اللحظة فاني في حاجة ماسة الى حضور المدعو سالم بن ضعيا [كذا] الى عمان في شأن تحقيقي : ولقد سبق لي ان انذرت المذكور أن لا يفارق عمان قبل ان يبلغني بذلك :

وعلى ذلك اكون ممتنا لسموكم ان تكرمتم بالسماح للشخص المذكور ان يعود مع حامل كتابي هذا ان كان موجودا ضمن معية ركاب سموكم كما علمت وحاجتي اليه هي لساعات قليلة فقط .

وتفضلوا يا صاحب السمو عظيم احترام واجلال خادمكم

المخلص المطيع

J.A. Chancellor.

المندوب السامي لشرقي الاردن

عمان في ١٤ نوفمبر سنة ٣٠[١٩م]

وثيقة رقم (٦٠-٣٤٥)

إشارة في إحدى الوثائق إلى اسم سالم ابن ضعيّه ضمن من كانوا في رِفقة الأمير عبدالله بن الحسين خلال وجوده في جنوب شرق الأردن.

الشيخ حمد أبو قرينات

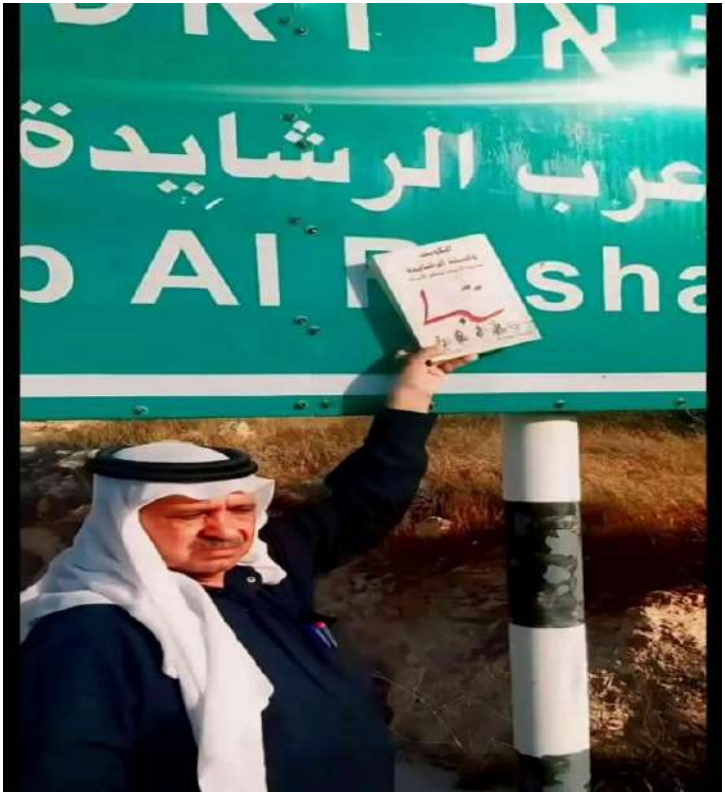
ذكرنا في صفحاتٍ سابقة من هذا الكتاب حضور قبيلة الرشايدة في بلاد الشام، وما كان لهم فيها من مشيخات متعددة ومكانة راسخة بين أهلها، وقد سطّروا مواقف مشرّفة، وتضحيات جسام دفاعًا عن الأرض، ولا سيما في فلسطين، في مدنها وقراها وبراريها، ومن أبرز رجالاتهم في تلك المرحلة الشيخ **حمد أبو قرينات الرشيدي**، الذي كان له أثر بيّن في تلك الوقائع.



الشيخ محمد حسن الرشيدي

استوطن الرشايدة أرض الأردن منذ عهد الدولة الزنكية، فكانت لهم ديار معروفة في جرش والكرك ومختلف البقاع، ورغم تعاقب الأزمنة وتبدّل الأحوال، بقي اسمهم راسخًا في ذاكرة أهل المنطقة، محفورًا في مواضع الأرض، وألسنة الناس حتى يومنا هذا، وفي عجلون برز رجال كانت لهم مكانة معتبرة بين أبناء البلد، ومنهم المختار محمد بن حسن بن حسين الرشيدي، الذي عُرف بحضوره وتأثيره في محيطه.





أبو سند الخربيش الرشيدي، من أرض فلسطين، يرفع كتاب «الكويت وقبيلة الرشايدة» في مشهدٍ يحمل دلالةً رمزية عميقة؛ إذ يجسد تمسكه بجذوره، واعتزازه بانتمائه، جامعًا بين الانتماء للأرض التي يعيش عليها والقبيلة التي ينتسب إليها، ويغدو رفعه للكتاب تعبيرًا صريحًا عن وفاءٍ للهوية، واستحضارًا للتاريخ، وتأكيدًا على أن رابطة القبيلة تبقى حاضرة في الوجدان مهما تباعدت الديار.

فلسطين

كان للمملكة العربية السعودية دورٌ بارز في القضية الفلسطينية منذ بداياتها، إذ وقفت ممثلةً بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في مواجهة قوى عالمية كبرى كانت تؤيد، وتدعم المشروع الصهيوني، في وقتٍ كانت فيه معظم الأقطار العربية ترزح تحت وطأة الانتداب، والهيمنة الغربية، أما المملكة، فبفضل الله ثم بحكمة الملك عبدالعزيز، وحنكته السياسية، فقد بقيت دولة مستقلة لم تخضع لاحتلالٍ أو انتداب، وعلى الرغم من تلك الظروف، فقد ساند الملك عبدالعزيز القضية الفلسطينية دعمًا واضحًا بالمال والرجال، فشارك أبناء الجزيرة العربية في ميادين الجهاد، وكان لقبيلة الرشايدة حضورٌ في ذلك، إذ أسهم رجالها في القتال ونصرة فلسطين، سواء كانوا في المملكة العربية السعودية أو في غيرها من الأقطار.



قبيلة السواركة

تُعد قبيلة السواركة من القبائل العربية العريقة التي تمتد مواطنها بين بلاد الشام وشبه جزيرة سيناء، وقد عُرفت، كسائر القبائل العربية، بقيام الأحلاف القبلية التي نشأت على أسس الجوار والنصرة والمصالح المشتركة، مع احتفاظ كل قبيلة بأصلها ونسبها المستقل، ومن أشهر تلك الأحلاف، **حلف الجوار** الذي جمع فرعًا من قبيلة الرشايدة بقبيلة السواركة قبل نحو ثلاثة قرون، حيث استقروا في بوادي الشام، ولا سيما في منطقة عسقلان، واستمرت تلك العلاقة الوثيقة عبر الأجيال، مع بقاء انتمائهم الأصيل لقبيلة الرشايدة.

ومن هذا الفرع برز عدد من الرجال الذين كان لهم أثرٌ بارز في التاريخ الوطني والاجتماعي، وفي مقدمتهم الشيخ **شحدة بن غيث بن مغيث الرشايدة**، الذي جمع بين الزعامة العشائرية والعمل الوطني، وأسهم في خدمة القضية الفلسطينية، وتولى تمثيل قبيلة السواركة في المملكة الأردنية الهاشمية خلال عهد جلالة **الملك الحسين بن طلال**، كما كان أحد أبرز رجالات القضاء العشائري والإصلاح، فترك سيرةً حافلة بالعطاء والمواقف المشرفة، تستحق أن تُوثق في صفحات التاريخ.



الشيخ شحدة بن غيث الرشيدي أمام جلالة الملك حسين بن طلال والملكة نور الحسين

شحده الرشيدي

وُلِد الشيخ شحدة بن غيث بن مغيث الرشايدة في وادي الحسي بمنطقة بئر السبع عام 1920م، ونشأ في بيت عرف بالوجاهة والزعامة العشائرية. تلقى تعليمه الأول في الكتاتيب، فتعلم القراءة والكتابة، وأتم حفظ القرآن الكريم، ثم تولى مشيخة عشيرته عقب وفاة والده، الشيخ الحاج غيث بن مغيث، كما أصبح ممثلًا للسواركة لدى الديوان الملكي الهاشمي، وفي عام 1949م انتُدب للمشاركة في مؤتمر أريحا، وكان من بين الشخصيات التي وقعت وثيقة مبايعة الملك عبدالله الأول بن الحسين ملكًا على الأردن وفلسطين، وهو الحدث الذي شكّل محطة مفصلية في تاريخ الضفتين.

الكف الأسود

وفي عام 1950م أسس الشيخ شحدة الرشيدي كتيبة **الثوار البدو (الكف الأسود)**، التي نفذت عددًا كبيرًا من العمليات الفدائية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، واستهدفت **عملية معاليه عقرابيم (الباص)،** مواقع ومنشآت تابعة للاحتلال الإسرائيلي، ومن أشهرها **وعملية مستوطنة باتيتس، وعملية نسف خزان زوهر**، إلى جانب عمليات أخرى عديدة تركت أثرًا في مجريات العمل الفدائي خلال تلك المرحلة.

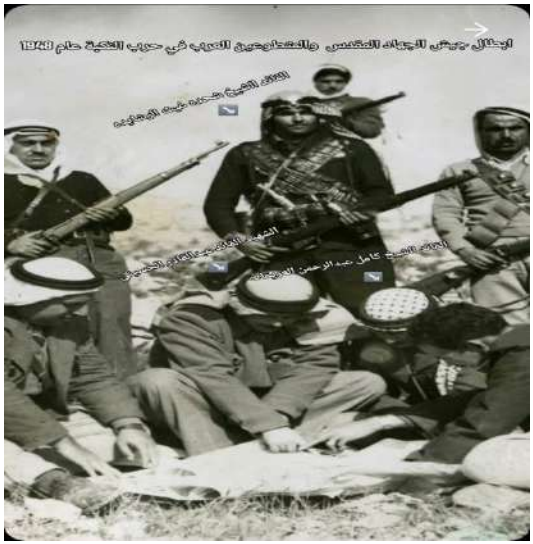


قائد الكف الأسود شحدة الرشيدي



وقد ارتبط اسم الشيخ شحدة الرشيدي بدعم القضية الفلسطينية، وكان من الشخصيات الوطنية التي سخّرت جهودها وإمكاناتها في سبيل نصرة الشعب الفلسطيني، وأسهمت في دعم المقاومة خلال مراحل مبكرة من الصراع العربي الإسرائيلي، وفي عام 1972م صدرت الإرادة الملكية السامية بتعيينه عضوًا في مجلس الاتحاد الوطني الأردني، كما كان عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني، وشارك في العديد من المؤتمرات العربية التي عُقدت في الجزائر وليبيا ومصر وسوريا.

وفي عام 1980م عُيّن عضوًا في اللجنة التنفيذية والمكتب الإداري الدائم للهيئة العربية الإسلامية العليا لفلسطين، وذلك عقب إعادة تشكيلها في العاصمة الأردنية عمّان، بعد أن كان مقرها في بيروت برئاسة الحاج أمين الحسيني، ويُذكر أن والده، الشيخ الحاج غيث أبو مغيث، كان من أوائل مؤسسي الهيئة في القدس، ولم يقتصر دوره على العمل الوطني والسياسي، بل كان من أبرز رجالات القضاء العشائري في الأردن، حيث عُرف بالحكمة ورجاحة الرأي وسعة الاطلاع، وكان مقصدًا لأبناء العشائر والقبائل في الإصلاح وفض النزاعات، وقد أسهم، رحمه الله، في حل مئات القضايا والخلافات العشائرية، ومنها قضايا الدم والعِرض، وعُرف بسعيه الدائم إلى إحقاق الحق، وإنصاف المظلوم، وإصلاح ذات البين، كما كان قاضيًا عشائريًا معتمدًا لدى مستشارية شؤون العشائر الأردنية، وظل يؤدي هذا الدور لسنوات طويلة، حتى غدا أحد أبرز أعلام القضاء العشائري في الأردن، تاركًا سيرةً وطنية واجتماعية حافلة بالعطاء، بقيت شاهدة على مكانته بين أبناء عشيرته والعشائر الأردنية والفلسطينية عامة، توفي رحمه الله تعالى 2007/5/4م يوم الجمعة.



زعيم فرقة الكف الأسود الشيخ شحدة الرشيدي.

سيلمان بن غيث الرشيدي

وُلد الشيخ سليمان بن غيث بن مغيث الرشيدي عام 1924م في خربة الرشايدة بوادي الحسي في منطقة بئر السبع، ونشأ في بيت عرف بالوجاهة، والإصلاح بين الناس، تلقّى تعليمه في مدرسة بئر السبع الأميرية، المعروفة **بمدرسة أبناء مشايخ البدو**، حيث تلقى علومه الأولى قبل أن يلتحق بسلك الشرطة.

عمل ضابطًا في الشرطة المصرية في قطاع غزة خلال الفترة الممتدة من 1949م إلى 1967م، واشتهر بحرصه على الإصلاح بين الناس قبل وصول الخصومات إلى الجهات الرسمية، وكان يسعى إلى احتواء النزاعات بالتراضي، حتى إنه كثيرًا ما كان يتحمل من ماله الخاص نفقات الصلح وجبر الخواطر، إيمانًا منه بأهمية إصلاح ذات البين.

ولما لمس المسؤولون في إدارة الشرطة نجاحه في حل النزاعات، وجّه العميد مصطفى حافظ بفتح مكتب خاص له داخل مركز الشرطة، يتبع إدارة الشرطة، يتولى فيه استقبال أصحاب

الخصومات والسعي إلى الإصلاح بينهم، وإعطاء كل ذي حق حقه، دون الحاجة إلى تسجيل شكاوى رسمية متى أمكن ذلك، وقد أسهم هذا المكتب في حل عدد كبير من القضايا الاجتماعية والعشائرية، حتى أصبح مقصدًا للمتخاصمين ووجهاء المنطقة، كما كان للشيخ سليمان دور بارز في دعم المجموعات الفدائية في قطاع غزة خلال تلك المرحلة، مؤمنًا بواجبه الوطني والقومي، ومساندًا لكل ما يخدم قضايا شعبه.

امتاز رحمه الله بصفات القيادة والرجولة والشهامة، وكان حاضرًا عند الشدائد، كريم النفس، سمحًا، عذب الحديث، صادقًا، جريئًا في قول الحق، معروفًا بالنخوة وإغاثة الملهوف، ولم يكن يرد قاصدًا، بل كان بيته وديوانه في غزة ملتقى **لأبناء قبيلتي الرشايدة والسواركة**، ومقصدًا للقريب والبعيد وعابر السبيل، ومجلسًا عامرًا بالكرم، ومدرسةً في القضاء العشائري والإصلاح بين الناس، يبذل فيه جهده، ووقته، وماله في سبيل إنهاء الخصومات، وتقوية أواصر المحبة بين أفراد المجتمع، ظل الشيخ سليمان بن غيث مثالًا للمصلح الاجتماعي، وصاحب المكانة الرفيعة بين أبناء القبائل وأهالي غزة، حتى وفاته عام 2005م في جمهورية مصر العربية، ثم نُقل جثمانه ليدفن في قطاع غزة، بعد حياة حافلة بالعطاء، والإصلاح، وخدمة الناس، تاركًا سيرةً طيبة لا تزال تُروى بين من عرفه ومن سمع بمناقبه.



الشيخ سليمان بن غيث الرشيدي.

أراضي الرشايدة في بئر السبع

من أسماء المواضع والأراضي التي كانت تعود للرشايدة في منطقة بئر السبع بفلسطين، ثم فقدوا السيطرة عليها، **خربة الرشايدة**، و**حَمْرة الرشايدة**، و**فرش الرشايدة**، و**أرض الزريقية**، و**خربة الخصاص**، و**خربة النخابير**، و**المرتع**، و**القرارة**، إلى جانب مواضع أخرى ارتبطت بهم تاريخيًا، وتُقدَّر مساحة هذه الأراضي بنحو 10,000 معناة، أي ما يقارب 20,000 دونم، وهو ما يعكس اتساع رقعة انتشارهم واستقرارهم في تلك المنطقة قبل الأحداث التي أدت إلى فقدانها.



في ضيافة أحفاد الشيخ المجاهد شحدة الرشيدي، في لقاءٍ جمع عبق التاريخ وأصالة الإرث، ويظهر في الصورة، من اليمين: سليمان بن عبدالله الرشيدي، هدلان، الدكتور سلطان العدهي الرشيدي، والشيخ ناصر بن عبدالله بن شحدة الرشيدي.

المختار محمود العرجان الرشيدي

ظلَّ الشوق إلى فلسطين والمسجد الأقصى ملازمًا لقلوب الرشايدة الذين هُجِّروا من ديارهم قسرًا إلى الأردن، فحملوا حبَّ أرضهم وذكرياتها في وجدانهم، وظلَّ الحنين إليها حاضرًا في أشعارهم وأحاديثهم، ومن هؤلاء **المختار محمود بن زايد العرجان الرشيدي، رحمه الله (1447هـ)**، الرجل الفاضل الكريم الذي عرفتُه عن قرب، وعرفتُ خصاله الحميدة من خلال معاشرته ومعرفة من ينتمي إليه ويجاوره، وقد قال، رحمه الله، أبياتًا كثيرة في **الرشايدة**، ومكارم الأخلاق، وفلسطين والمسجد الأقصى، معبّرًا عن مشاعر الوفاء والانتماء والحنين إلى الأرض التي هُجّر منها أبناء قومه قسرًا، ومن تلك الأبيات التي تجلّت فيها محبته **لفلسطين** وشوقه إلى **المسجد الأقصى**، نستحضر شعره شاهدًا على حضور القضية الفلسطينية في وجدان الرشايدة، وعلى ما كان يحمله الراحل من مشاعر أصيلة تجاه الأرض وأهلها:

من الشونه مديت أنا بماطور — قرب الكرامة وراضيها

وأشوف جبال القدس والطور — ورام الله وأرضٍ تُوَاليها

من جنين لغزة هذول صقور — ورجال بالروح تفديها

حيفا ويافا ذهب مذخور — نارٍ على كبد العدا فيها

وشهيد بلادي وبنات الحور — بالجنة عايش بأعاليها

والصقر ما يخوفه زرزور — لولا الخيانة تغذيها,



المختار محمود العرجان الرشيدي، رحمه الله، يتوسط المجموعة إلى يسار الروائي عادل الرشيدي، خلال لقاء في ديوانه بالشونة، في المملكة الأردنية الهاشمية، عام 1443هـ، في مشهد يجسّد أواصر المحبة والأخوة والتواصل بين أبناء الرشايدة.

ابن هدبا والملك عبدالعزيز

استمرَّ مشلح بن هدبا في خدمة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود منذ أيامه في الكويت، ومع تعاقب مراحل حكم عبدالعزيز، وتدرّجه في الألقاب من إمام إلى سلطان ثم ملك، ظلَّ مشلح من رجاله المقرّبين؛ إذ كان دليله الخاص والرئيسي، يعتمد عليه في المسالك والطرق، ويرافقه في كثير من الوقائع والمعارك، كما شارك في عدد من الحملات إلى جانب أبناء الملك عبدالعزيز، ولا سيما مع الملك فيصل بن عبدالعزيز إبّان حرب اليمن حين كان فيصل يقود القوات هناك، وقد لازم مشلح تلك الحملة، وكان من رجالاتها، وفي أثناء وجوده في عسير تزوّج، ورُزق بابنه الوحيد متعب.



كبير أدلاء الملك عبدالعزيز آل سعود، مشلح ابن هدبا الرشيدي

درب ابن هدبا

درب ابن هدبا – **ويُقال أيضًا الهدباء أو هدبة** – وكلها مسميات تعود إلى مشلح بن هدبا بلا خلاف، كما يُعرف الطريق كذلك باسم دباية ابن هدبا، ودرب ابن هدبا هو الطريق الذي سلكه مشلح بن هدبا حين قاد الجيش من الرياض متجهًا إلى أم قليب القريبة من حفر الباطن، ثم اتجه شمالًا نحو موضع هدبا المعروف اليوم، ومنها دخل إلى الصبيحية في أرض الكويت، وسبب تسمية الطريق باسمه يعود إلى حادثة تاريخية وقعت في إمارة الكويت سنة 1357هـ / 1938م، حين اندلع تمرد داخلي، وكانت ـ **المملكة العراقية الهاشمية** ـ تطمح إلى ضم الكويت، فسعت إلى دعم ذلك التمرد بما يخدم أطماعها، عندها تحرك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بجيشٍ آليٍّ نحو الكويت، وكان مشلح بن هدبا دليل ذلك الجيش، فأرشدهم عبر مسالك آمنة، وجنّبهم الطرق الوعرة حتى وصلوا إلى الكويت، ولما وصل الملك عبدالعزيز، طلب حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر المبارك الصباح من قبيلة الرشايدة قمع المتمردين الذين كانوا قد سيطروا على مخازن السلاح، فتصدّى لهم الرشايدة، وقمعوا التمرد، واستتبّ الأمن في الكويت، وثُبّت الحكم لآل صباح.

معالم الطريق

سبق أن ذُكر سبب تسمية طريق أو درب مشلح بن هدبا، ونضيف هنا ما ورد في بعض الكتب حول هذا الطريق، فقد ذكر المؤلف **سعد بن عبدالعزيز الشبانات** في كتابه بحوث، وتحقيقات جغرافية وتاريخية لمنطقة الصُلب والصمان، الذي قدّم له الأستاذ **سعد بن جنيدل**، ما نصّه:

درب الهدباء

ينسب هذا الدرب إلى الرجل الذي سلكه، وهو مثعي بن الهدبة الرشيدي، ويبدأ الدرب من رماح متجهًا نحو الشمال الغربي بمحاذاة رمال الدهناء، ثم يعبر الصلب مارًّا بعدد من أشهر خباري الصمان، ومنها: مغطيات وأم قرين والبخراء والخمة، حيث يتقاطع هناك مع درب المبيحيص. ثم يواصل سيره شمالًا غربيًا حتى يتقاطع مع درب المنشرحة قرب جبل صغير يُسمّى الأشعل، وقد عُلّم هذا الدرب لاحقًا بأعمدة خرسانية.

كما ذكر المؤرخ **محمد العبيّد** واقعة جو لبن في مذكراته – **النجم اللامع للنوادر جامع** -، وأشار كذلك إلى الطريق، واللافت أن كلا المؤلفين نسب الدرب إلى مثعي بن الهدبة، لا إلى ابنه مشلح.

غير أن هذا القول غير دقيق؛ إذ لم يُعرف عن مثعي الهدبا أنه شارك في أعمال مع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، بينما الثابت أن ابنه مشلح بن هدبا هو الذي كان دليل الملك في مسالك الصحراء، وهو الذي قاد الجيش عبر هذا الطريق، الأمر الذي جعل الدرب يُنسب إليه ويُعرف باسمه.


طريق ابن هدبا
الرياض - حفر الباطن - الكويت
طريق تاريخي قديم يربط وسط نجد بشمالها حتى يصل إلى الكويت مروراً بحفر الباطن.
العراق
الكويت
حفر الباطن
الخليج العربي
بريدة
الزلفي
الرس
المجمعة
الدوادمي
الخرج
السعودية
الرياض
N
طريق ابن هدبا
الحدود الدولية

مرض مشلح

عندما استقرّت البلاد ورُسِّمت الحدود سنة 1359هـ (1940م)، أصيب مشلح بن مثعي الهدبا بمرضٍ شديد، فأمر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بإرساله إلى الكويت للعلاج، وكان الطريق يومئذٍ غير معبّد، فوُضع مشلح في حوض سيارة مغطّى بشراع، وسارت المركبة تشقّ الرمال في طريقها نحو الكويت، ويروي مرافقوه أنهم، رغم سماع أنينه من شدّة الألم، كانوا كلما نزلوا منزلاً يسألونه:

-**وين مكاننا يا مشلح؟**

فيخبرهم بمكانهم بدقّة، مع أنه لا يرى الطريق، وكرروا السؤال عليه مرارًا كلما نزلوا منزلًا، لعلّه يخطئ، فلم يخطئ قط، حتى إنهم سألوه ليلةً وهم يتعشّون، وهو في حوض السيارة مستلقٍ على ظهره: **وين مكاننا يا مشلح؟**

فقال: **أنتم في البحَره.**

قالوا: **البحَره أي هي؟**

فأجاب: **بحرة التريبي في الصمّان.**

عندها كفّوا عن سؤاله، وقد استحوا أن يمتحنوا دليل الجزيرة ويحاولوا تخطئته وهو عليل يتألم، وتوفي مشلح بن مثعي الهدبا في الكويت سنة 1373هـ (1954م).

عزة نفسه

الأنفس اثنتان: نفسٌ عزيزة، وأخرى ذليلة، ولا تسكن عزة النفس إلا في صدور الكرام من الناس وأرفعهم قدراً، وكان مشلح بن هدبا من أولئك؛ عزيز النفس، كريم السجية، فعلى الرغم من قربه من الملك عبدالعزيز آل سعود ومكانته عنده، لم يُعرف عنه أنه سأل لنفسه شيئاً، مع أنه كان يقضي حوائج الناس، ويتشفع لهم عند الملك، وذُكر لي عن مطلق بن سعيد الهدبا رحمه الله قال: كنت مسافراً إلى الرياض برفقة عمي مشلح، فبتنا ليلة في الطريق، فسألته:

أنت عند عبدالعزيز تِحل وتربط، وتتوسط للناس في قضاياهم مع القبائل، وأمورك ماشية عنده، هو يعطيك شيئ؟

فقال مشلح: **يا مطلق، الرجل الذي يضرب جبهته في فهرٍ (صخرة) حتى يخرج منها الدم ولا ينزل من جبينه دم، تدري شنو هذا يوم القيامة؟**

قلت: **لا والله ما عرفته يا عم.**

قال: **هذا الذي ضيّع دمه في الدنيا يشحذ، أما أنا، فوالله لو طلبت من عبدالعزيز مدينةً كاملة لأعطانيها وما رد لي طلباً، لكني والله ما أخذت منه إلا ما يمده لي بيده.**



صورة تخيلية الملك عبدالعزيز و مشلح بن هدبا.

مركز هدبه

سُمّي مركز هدبا الحدودي بهذا الاسم نسبةً إلى مشلح بن هدبا، تكريماً من المملكة العربية السعودية لهذا الرجل الذي كان له إسهام في انتصارات مؤسسها الملك عبدالعزيز آل سعود، ويقع هذا المركز جنوب غرب الكويت، وتحديداً جنوب منطقة الرديفة، على الحدود بين المملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

متعب بن مشلح

لم يفارق متعب بن مشلح الهدبا منطقة عسير، على الرغم من أن والده من أهل الكويت؛ فقد بقي في أرض والدته، وتزوج من أهلها، وامتلك فيها أراضي واستقر بها، وفي يوم من الأيام، إبان حكم الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، صودرت له أراضٍ لم يكن يملك صكوكها، وذلك لمصلحة خدمات عامة للدولة، فتوجه متعب إلى الملك فهد طالباً مقابلته، فلما مثل بين يديه عرّف بنفسه وأخبره بقصته، فأمر له الملك فوراً بتثمين أرضه وتعويضه بعشرات الملايين من الريالات، إكراماً لوالده مشلح بن هدبا.

دباية العيفانية

طريقٌ صحراويّ قديم، رسمه وخطّ مساره عيفان بن أغريب الرشيدي قبل نحو مئتي عام، يبدأ من حدود الصرار متجهاً نحو الشمال الغربي، مارّاً بين قرية العليا والخبيراء حتى يصل إلى حفر الباطن، قاطعاً مسافة تزيد على 170 كيلومتراً، وقد وُضعت على امتداد هذا الطريق علامات من الحجارة، تهدي سالكه في الفلاة لئلا يتيه.



دباية العيفانية

الفليجي السليطي

الفليجي بن سلمان السليطي الشمري رجل عُرف في منطقته بحسن السمعة وطيب السيرة، وكان من أهل الكرم والجود، وأسهم بما قاله من شعر اجتماعي في تثبيت اسمه بين الناس، إذ تداولوا منظوماته التي قالها فيمن جاوره من أهل البادية، وكان قد جاوره جماعة من الرشايدة، فلما ارتحلوا عن جواره قال:

شدو ومدو وعلقو كل مطروح وشالو ثقيل القش فوق الجمالي

كل الجماعه مابهم طق وجروح لكن هوى بالي معلا وعالي

والثالث اللي عندنا يازن الروح ولد الكفيف* مبهرين الدلالي

مناحي العدهي

مناحي العدهي الرشيدي من أجواد العرب، تسبقه سمعته الطيبة حيثما حلّ، نزل سنة 1940م (1359هـ) قريباً من بستان الفليجي بن سلمان السليطي الشمري في ضواحي منطقة حائل، وكان الفليجي من عادته أن يوقد النار قبل بزوغ الشمس، ويرنّ النجر معلناً الترحيب بمن يسمع الصوت ليأتي لشرب القهوة، ومؤانسة الحديث، فلما نزل مناحي العدهي أوقد النار قبل الفليجي، فسمع الفليجي صوت النجر، فقال: **لن يطول عمل هذا الرجل أياماً حتى يكف**.

وكان يقصد أن مناحي لن يستمر في إيقاد النار كل صباح وصنع القهوة، لما في ذلك من كلفة، خصوصاً أنه رجل متنقل بماله وأهله، بينما الفليجي صاحب بستان ومقيم في أرضه، إلا أن العدهي استمر على عادته، يسبق الفليجي كل صباح بإيقاد النار، حتى ذهب إليه الفليجي، وهناك بدأت بينهما صداقة متينة دامت خمس عشرة سنة.

(المقصود بالكفيف هو محمد بن سعود بن مبارك الصقري، وقد بلغ من العمر في حينها أكثر من ١٢٥ عام، وقصر نظره، وولده هو عيد بن محمد الصقري، معلا المضيري وعالي ابن عيفه النميان المهيمزي)*

قويت تلك الصداقة بين مناحي العدهي الرشيدي والفليحي السليطي، حتى جاء اليوم الذي رحل فيه العدهي دون أن يودّع صديقه، إذ لم يطق ألم الوداع، فارتحل من أرض شمر إلى أرض بني رشيد، سهوب حرة بني رشيد.

وفي صباحٍ لم يسمع الفليحي صوت نجر العدهي، فذهب يستطلع الأمر، فإذا بصاحبه قد رحل، كانت المفاجأة موجعة؛ ضاق صدر الفليحي وتوجع لفراق صديقه، ففاضت قريحته بأبياتٍ تُعد من أجود ما قال، ولا تزال تُتداول إلى اليوم:

لضَاق صَدْرِي يَم الْأَجْوَاد سَجَيتْ أدله بهم والقلب يَنْسَى جَهَادَه

البارحة يَامَا لقَرِيبِي تِمَنِّيت هاب المراح وضَاقَ صَدْرِي زِيَادَه

شديت يالعِذْهِي وَعَنِّي تَنَحَيت وخليت غبار الدار عندي ركاده

يوم التفت الصبح ماشفت أنا البيت محذى مشب النار يذرى سَمَادَه

يَادَق نِجْرَه تَالِي الليل فَزَيت وله شبة مع فجة النور عاده

لو لِي عظامٍ تَنْهَضَنْ كَانَ شَدَيتْ أَثْلِي هَوَى نَفْسِي وَالْحَقّ مرَادَه

ياليت ماجونا وأنا ما لَهُمْ جِيتْ والله ما يَضِيع عِبَالٍ الجَرَادَه

تَدْفِنَّ بِبَطْنَ القَاعِ وَوَلْدَه تَقِلْ مِيت رَبّ الْمَلا يَعْلَمُ بِحِسْبَة عَدَادَه

ولا يشبه السمْنَ العِرَابِي على الزيت ولا يُوَازِنَ الفَاجِر رَاعُ العِبَادِه

عَلِيكَ بَأَعْظام الْعَرَبّ لَا تُوَازِيتْ وعزي لِمَنْ حَطَّ الرِدِي لَهُ سَنَادَه

والعَفِنْ مَا يَفْقَدْ سِوَى حَي أَو مِيت ولاله على صَعْبَ المراجل جلاده

مجمع علوم بالمجالس سِمَارِيت حادتْ عَلِيه اللي تزين وساده.



أحفاد مناحي العدهي يحتفون بالمؤلف ويكرمونه في مدينة حائل عام 1437هـ يظهر في الصورة، من اليسار: د. سلطان العدهي، والشيخ نصار بن ناصر بن مناحي العدهي رحمه الله، ثم المؤلف، ويظهر الشاعر فهد بن حمود العدهي في وسط الجالسين.

المويزري

كان حسين وغنيم المويزري الرشيدي من مربيي الأميرين سلطان وسلمان ابني الملك عبدالعزيز آل سعود، وكانا يحرصان على تربيتهما وتأديبهما، حتى إنهما كانا يخوفانهما من والدهما الملك إن لم يقوما لصلاة الفجر، حثاً لهما على المحافظة عليها.

قبر جميلة

جميلة المويزري الرشيدي، اسمٌ على مسمّى، وقد تداول اسمها في الآونة الأخيرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي سنة 2024م (1445هـ)، مما دعاني إلى التثبت من قصتها.

أمها تُدعى **زين عين**، وكانت جميلة من أجمل نساء زمانها، فكثُر خُطّابها، ومن أشهر من خطبها **الشيخ جابر الأحمد الصباح** حين كان محافظاً لمحافظة الأحمدي (1964م)، وكان أحد أصدقاء الشيخ يهواها ويريد خطبتها، فلما علم أن الشيخ جابر خطبها كفّ عنها إكراماً له، غير أن القدر لم يمهل جميلة طويلاً؛ إذ وافتها المنية قبل زواجها بشهر، ودُفنت في برّ الصمان، وكان ذلك الرجل الذي أحبها يمرّ بقبرها بين حين وآخر، فيرش عليه الماء ويصلحه، وظل على ذلك سنواتٍ عدة.

يا قبر جميلة على برّ الصمّان ملهوف — كنّ الرياح اللي تمرّ تنوح وتند بها

زينٍ ولد زينٍ وطيب الساس معروف — حِسنه تعدّى الناس والكلّ يطلبها

حتى جابر خطبها والطيب معروف — وراعي الهوى صان الرفيق ولا يغصبها

لكن حكم رب السما سابقٍ ومكتوف — جتها المنيّة قبل عرسٍ يقرّبها

وصار الذي يهواها على القبر ملهوف — يرشّه الماكل ما مرّ ويطيّب تربها

سنين يمشي له على الوجد والمعروف — ذكرى جميلة في ضميره تعذّبها.

الإستقرار

عندما بدأت معالم المملكة العربية السعودية تتضح، وظهرت نهضتها العمرانية والاقتصادية، أخذت القبائل تميل إلى الاستقرار بعد حياة الترحال، فاتخذت بيوتاً من الطين أو الحجر، وذلك بعدما ترسخ الأمن واستتب الأمان في المنطقة.

ناصر بن عايضة

ناصر بن عايضة العجوني شاعر، ومؤرخ، وباحث في شؤون قبيلة الرشايدة، له عدد من البحوث والاجتهادات في تاريخ القبيلة، وقد أسهم في مشروع كتاب «**موسوعة القبائل العربية**» لمؤلفه محمد الطيب رحمه الله، ومن أبرز إسهاماته في هذا العمل ذكر **قُرى قبيلة الرشايدة** في المملكة العربية السعودية وتوثيقها.



قرى الرشايدة

ذكر **ناصر بن عايضة العجوني** أسماء عددٍ من القرى الواقعة في ديار بني رشيد في المملكة العربية السعودية، وذلك ضمن إسهاماته في توثيق تاريخ القبيلة، وجاء ذكر هذه القرى على النحو الآتي: انبوان ، ضريغط، الصخنه، مرغان، العقيفيه، وسيطا دليم، القاسمية، المثواة، بعيجان، بدايع أوول، الذكري، بدايع ابن سالم، البحرة، الهدية، القاسمية، الصالحية، النجيل، المحنا، عدوة أثقب، وسطاء أثقب، بدائع البادية، عقيلة أثقب، بدائع الشق، حمة، حميضة، الكرشافة، بويب البدع، الباحة، وسيطا علي بن بركة، أبا الصوان، أم شعاري، أبو زرايب، المتركا، ناصفة الحماد، وسعة الرس، المرير، عماير المرير، الملوي، صفيط، أم روشن، العوشزي، الخفيج، مصدة، أم طرفة، أبو صور، أبو الحميدة، عشيرة، الساهبة، الضرسي، الحمادة، المكضم، المغار، اطلوحة، العاند، مرموته سيحان، العقيلة، أبا السيدران، مغيرا، الرصيعة، الخضراء، الثعلة، الخفق، الثمد، السُرير، الصلصلة، أبو جرف، العرايد، روضة الحسنى، اللحن، الخريبية، العاند، زباران، شعيب القرن، بدايع شعيب القرن، طلوح، العليا، جبل العلم، نفجة، النخلة، قصيبا، النمارة، المرموثة، قسمة حضرم، النميرة، فيضة المسعار، الصقعاء، أبو سواسي، العوجاء، شقة الفيدة، البدائع، المقارن، الخفج، البحرة، اللبانة، أبا الصبان، أبلة، كرانيف، الحفنة، دغيبجة، المجصة، المجيصة، المناخ، بقيلة، المحفر، أبو سهيلات، البويضة، بدع العايضات، قنى، المطاوي، البركة، الشويمس، البرقة، أم زريبة، البويب، الأسمرة، عين طوالة، أم هشيم، الحميمة، مرحب، قوينية، ضفية، الحلوة، سوادي، الحليفة، الدوادمي، القسمة، الوسيطا، المخروق، الدابية، البويب، روض ابن هادي، قصير ابن ثاني، هجرة العبيد بن صنيتان، عماير ابن هادي، عقلة المرجع، مرحب السفلي، هجرة وادي القهد، بدايع العمير، الناصفة، بديع ابن حويط، أبو رضام، الجفرة، سناف الصفية، أم العمر، العميرية، أم حبل، الحماد، الشعيلا، أفيعية، الدفينه، أم قويفات، بدايع الدفينه، الفاجه،

البدنة، الصور، بياضة الصور، الهمجة، الرقب، خفيج ابن خزيم، أم هشيم، عقلة المخروق، فياض الأحامرية، أم أرطاء، الطليحات، المعرش، مبرز، مزعلة، ثمايل الشقران، سهل الحمراء، قسمة الحمراء، أبو شويحات، غنيم والعهين، الرقيطة، العماشي ومشرفة، خفيج أبا الصبان، أبو دوحات، هجرة جبل البصر، الفقي، العاند، العقيلة، أم عرنة، الطنب، بدع ابن خلف، بدع ابن علي، وسيطا البدع، ثويليل، بديع ثويليل، العرادية، فيضة أثقب، الشق، الوسعة، الغريسة، معاذب بن رميح، الحايط (فدك)، والحويط أغلب سكانها المهيمزات.

أبانات: سويقه، ضليع رشيد، الشقامية، شقامية العليا، تلعة رشيد، وادي النعم، أبو طرفا، جدعي، الجحفة، أبو صوير، الفضي، المرموثة، الجرذاوية، الفضي، أم رفاف، الديرية، أم صفيح، ملحة، أم برقة، العمودة، مارونات، فياضة، أبا الهدار، القرعة، قراظية، فيضة الشعب، أبو قليبات، ضمينة، عفراء، الثغيب، روضة حمدان، الجرارية، جحيرة، فيضة الأخيضر، أبا الحياص، النويصفة، القعرية، الدليمية، محرقا، المرموثة الشمالية، فيضة السلمات، النقرة، بدايع الردافين، مهيضة جرار، أبو طلح، الناعمة، الظاهرية الجنوبية والشمالية، الوسق، الناصرية، مخيط، أكبرا، الناصفة، الشهباء، الأصافر، فردة، أم قريرية، أبو برقا، أم الملح. **انتهى**

هناك قرى للرشايدة لم يتم ذكرها، وهي في نجد، مثل:

الوِدَي، ومشرفة وخِرب العقاب للخمالية، وكذلك عين ابن قنور ورئيس مركزها **الشيخ منصور بن علي القنور**، وعين الصوينع، والعجارمة القريبة من محافظة ثادق، وعليها **الشيخ سعد بن حامد ابن صبح**، كذلك بدايع الصفراء وعليها **الشيخ برغش بن مطني ابن الأعرج العماري**، هذا غير القرى التي كانت للرشايدة وهجروها منذ قرون.



صورة تذكارية طيّبة، تفوح منها طِيبة المكان وكرم أهله، في المدينة المنوّرة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وذلك في ديوان الشيخ حمّاد بن هديبان، عام 1437هـ، من اليمين أ. عيد بن نافع الحوقان، والشيخ حماد أبو تركي، الروائي عادل الرشيدي، والشيخ ابراهيم بن محمد الهديبان شيخ قرية الملوي، و أ. تركي بن حماد الهديبان.

ولابن عجوين ناصر قصيدةٌ تُعرِّف بنفسها، وتُفصح عن لسان قائلها، وتُبيّن نسبه ومعدنه.

يا جاهل فينا تسمع للأخبار — تسمع علوم الطيب والطيبينا

حنا بني رشيد بالعز والكار — بديارتن وحدودنا بيّنينا

نذرا الخوي ونكرم الضيف والجار — ونصبر على البلوى ليامن بلينا

ودخيلنا حنا بعيدٍ عن النار — كلن يهيبه من سواعد يدينا

حنا سلايل عبس ماضين الأذكار — لسلومنا وجودنا حافظينا

من عبس بن بغيض في قر وقرار — وحفاد ريث من قديم السنينا

أحفاد غطفان وسعد ماضي الأخبار — من قيس بن عيلان منا وفينا

وابن مضر هو ساسنا وابن نزار — من سلسلة عدنان متسلسلينا

احدودنا وجدودنا ما بها انكار — لحدودنا وجدودنا عارفينا

يحدنا خيير على حرة النار — ويردنا سور المدينة يمينا

وادي الرمة ناخذ به يمين ويسار — على العلم والضعن والشعبتينا

ولنا بنات المطلات معبار — أربوعنا لحدودهن محتمينا

ذي دارنا اللي ما نبا غيرها دار — ادیار أهلنا القديم الأولينا

للخير فعاله وللشر قهار — وأيضاً على هدي النبي مهتدينا.

ضلع دبي

ضلع دبي موضع يقع شمال شرق الحليفة، إلى الشرق من الذكِري وبالقرب منه، وقد سُمّي بهذا الاسم نسبةً إلى ـ **دبي بن دحيان بن بحار المهيمزي** ـ ، وهو رجل من الرشايدة من أهل الكويت، لجأ دبي إلى هذا الموضع بعد مشكلة حدثت له في الكويت، وذلك في حدود سنة 1250هـ (1834م)، فأقام فيه مدةً من الزمن، ثم عاد إلى الكويت بعد انتهاء تلك المشكلة، ومنذ ذلك الحين عُرف الموضع باسم **ضلع دبي**.

أبيتر ابن رميح

تقع الأبيتر على طريق سقف – أنبوان، وتحدّها من الجهات الأربع معالم معروفة عند أهل البادية من الشمال، الشَّعْبَة، ومن الغرب، الغَلْفاء، ومن الشرق، البَنّانة، ومن الجنوب:، بدع ابن حويط، وشيخ الأبيتر هو شيخ فخذ الرميح، ـ **الشيخ فياض بن جويعد بن سند الرميح** ـ ، وهو من بيت معروف بالرياسة، فجده العقيد الفارس سند بن رميح أحد رجالات قومه المشهود لهم بالشجاعة والمكانة.

المعاذب

قرية المعاذب من قرى الرشايدة، ويقع موضعها بالنسبة للمواضع المعروفة حولها على النحو الآتي:

تقع شمال شرق رَخَه، وشمال الذكري غربًا من الكَبّاد، وجنوب قرية البركة غرب الهمجة، وشرق الهديّة، وشيخ المعاذب هو **عوض بن مهل الرميح الرشيدي** من فخذ الرميح، ومن فرسان فخذ الرميح: اخو مَنعا سند الرميح، ونويجي الرميح، وعلي الرميح، وهم من أهل الشجاعة والذكر الحسن بين قومهم، ومنهم كذلك الشاعر مسعود بن مطيع بن مسعود الرميح، وهو ابن الشيخ والشاعر مطيع بن مسعود الرميح، وقد عُرف الشاعر مسعود بن مطيع مسعود الرميح، المشهور بـ **أبو سيف**، بشعره الجزيل وحضوره في المحافل، ومنافحته عن قبيلة الرشايدة، واعتزازه بقومه وحبه لهم، فكان صوته في الشعر معبرًا عن فخره بالقبيلة ومآثرها، ومن قصائده:

من لسان الشاعر اللي حاضرٍ هوجاسه — لو غفى هوجاس غيره ماغفى هجوسه

شاعرٍ عند اللوازم مايموت احساسه — في فياض الشعر كله دايجين عسوسه

ياخذ جزال المعاني من صماص راسه — من هجوسه يوم غيره يشتري بفلوسه

ياسلام الله على اللي شامخٍ نوماسه — وقفته تنشاف ماهي وقفتن مدسوسه

المراجل والشجاعه كل بوها ساسه — ماختفى بالحاضره والماضيه ناموسه

راس قومٍ ماكسر باس الليالي باسه — شجرةٍ في ذروة أمجاد العرب مغروسه

يوم بعض الناس طيبه مشترى وسياسه — طيب عادل ورث جده والفخر ملبوسه

ابن غضوا كل تاريخه فخر وفراسه — من مهامزةٍ تكيد المعتدي وتدوسه

يوم سكان الجزيره ماعليها حراسه — والزمان اللي ماينسون العرب كابوسه

يارسون ولاعليهم فالزمان الرياسه — يرفعون الروس واعلام العدو منكوسه

العمامير معروفه والزمان الدراسه — طيب ماضيهم يدرس لرجال دروسه

لاعتزا عايش وهب من القشر نسناسه والزمان الشين قامن يطحنن ضروسه
ياطفى مقباس غيره ماطفى مقباسه العدو من سيف عايش هيبتة مديوسه
والرشيدي لاسمع طاريه طار عماسه تفخر عيال القبيلة في ذكر ناموسه

وله أيضا :

المدح يزها بالرجال المسمين بني رشيد اهل الصفات الحميده
اللي لهم فالجد رمز وعناوين من ماضي التاريخ ماهي جديده
مجدٍ لهم تشهدله عصور والسنين تمتدبه خضر السنين المديده
بني رشيد اللي على العسر وإلين مع لين جانبهم صخورٍ شديده
من السطر تثور ثور البراكين بركانهم ناره تذوب حديده
للضد بيديهم دمار المعادين قومٍ بوقفات الملاقى عنيده
ولاهل الوفاء بالطيب دايم وفيين يلقابهم راعي الوفاء مايريده
تشهد فعايلهم بكل الميادين مايقبلون الناقصه والزهيده
من يوم ماربي خلقهم غنيين رجالهم كنز القناعه رصيده
تاريخهم مافيه شكن وتخمين شهادة التاريخ فيهم. أكيده
وبين القبائل منزلتهم سلاطين عز الخوي والجار له يوم عيده
قولٍ على صدقه شهود وبراهين الفعل واضح والنوايا سديده
يشهدبه اللي له سجود المصلين علام ماتخفى ضمائر عبيده
ولاهو قصورٍ بالرجال الحشيمين والشك زائل والهقاوي. بعيده
والنعم في كل القبايل على الزين وعند الله أتقاكم بخلق وعقيده

والفعل للي كون ادم من الطين نريد والله يفعل اللي يريده

وختامها لرجال عبس المسمين جسدتها بحروف صدق القصيده.

وللشاعر مسعود بن مطيع الرميح أبياتٌ في الوطن، يقول فيها:

يا رياض المجد غني بالنصرفي صوت عالي ارقصي للعز عرضه مع لحونن سامريه

غردي باحلا لحون النصرمن فوق الجبالي في علو المجد دايم مانزلتي للوطيه

ماتهز هزك الرياح ولاتغيرك الليالي راسيه بالمجد دايم مثل ماترسي طميه

دونك انتي يابلادي لو شرينا المر حالي ابشري بالعز منا دام فينا الروح حيه

والله انا دوم دونك نرخص ارواحٍ غوالي حيث حبك مثمرٍ بالجوف وعروقه نديه

من يخونك خاين قلبه من الايمان خالي خاينٍ دينه وداره والعواقب له رديه

امني في ظل حكامك وعنك الشر زالي امني في ظلهم دايم من الشر محميه

شامخه بخوان نوره فوق هامات العوالي حافظك منهو حفظ بيت الحرم من كل سيه

دام يابلادي جنودك من زحازيح الرجال ومخلصينن بالدفاع وبالحرس والداخليه

من شروقك لغروبك ومن جنوبك لشمالي حصنك سلمان بلي مايهابون المنيه

لانتخى سلمان فينا والله انا مانبالي له وقفنا كلنا صفٍ ونضرب له تحيه

المليك ابن المليك اللي حكمها بالعدالي حاكمٍ في شرع سيف الله وبسنة نبيه

لازهمنا نرمي الغتره وطوحنا العقالي لعنبو راسٍ بوقت الازمه مابه حميه.



الشاعر/ مسعود الرميح أبو سيف

مناصب في المملكة

تأخر أبناء قبيلة الرشايدة في الالتحاق بالتعليم النظامي، مقارنةً ببعض أبناء القبائل الأخرى الذين سبقوهم إلى ميدان التعليم، الأمر الذي أتاح لهؤلاء فرصًا أوسع في الوصول إلى المناصب القيادية في وقت مبكر، ومع مرور العقود، بدأ التعليم ينتشر بين أبناء القبيلة، فبرز عدد من الرجال الذين نالوا حظهم من التعليم، وتولوا مناصب مهمة، وشغلوا وظائف مرموقة في مجالات متعددة، غير أن أبناء الرشايدة المقيمين في مدينة جدة، بحكم استقرارهم في الحاضرة وارتباطهم المبكر بالمجتمع الحضري، كانوا من أوائل أبناء القبيلة التحاقًا بالتعليم النظامي، كما سبقوا غيرهم في الوصول إلى الوظائف والمناصب، وقد أسهم هذا السبق في بروز عدد من الشخصيات الرشايدة في جدة، ممن شغلوا مواقع مهمة في قطاعات ومجالات مختلفة، ومن بينهم، على سبيل المثال:

حسن ابن شمس

حسن بن محمود بن علي بن شمس الرشيدي، من سكان الحجاز في مدينة جدة، ومن أوائل أبناء الرشايدة الذين برزوا في الحياة الاجتماعية والرياضية، تولّى رئاسة النادي الأهلي الرياضي في جدة، وكان له دور بارز مع شقيقه **عمر بن محمود الرشيدي** في تأسيس النادي عام 1357هـ الموافق 1939م، حيث أسهما في وضع اللبنات الأولى لهذا الكيان الرياضي الذي أصبح لاحقًا أحد أبرز الأندية في المملكة العربية السعودية.

النادي الأهلي

تأسس النادي على يد شخصين بارزين من قبيلة الرشايدة، كان لهما دورٌ واضح في البدايات الأولى للنشاط الرياضي في جدة، وأسهم كلٌ منهما في خدمة المجتمع، والمشاركة في نهضة المملكة العربية السعودية في مراحلها المبكرة.

عمر ابن شمس

عمر بن محمود بن علي بن شمس الرشيدي من أبناء الحجاز وسكان مدينة جدة، كان والده محمود بن علي بن شمس معروفًا بين أهل جدة بلقب **الحكيم محمود**، إذ كان يمارس الطب الشعبي ويُقصد للعلاج، تدرّج عمر الرشيدي في السلم الوظيفي الحكومي في عدد من القطاعات، فتولى رئاسة مكتب الجمارك العامة، ثم عمل مديرًا للجوازات والجنسية في جدة، وبعد ذلك أصبح وكيلًا للمباحث والجوازات والجنسية في وزارة الداخلية، واستمر في الترقي في المناصب حتى صدر أمر من **الملك فيصل بن عبدالعزيز** بتعيينه **رئيسًا للاستخبارات العامة** بمرتبة وزير، وبقي في هذا المنصب حتى عام 1397هـ الموافق 1977م.



رئيس جهاز الاستخبارات السعودي الأسبق عمر الرشيدي

الفريق أول إبراهيم الرشيدي



الفريق أول **إبراهيم بن محمد المهيمزي الرشيدي** (رحمه الله) من القيادات العسكرية البارزة في المملكة العربية السعودية، خدم في الجيش حتى بلغ رتبة لواء، وتولى قيادة سلاح المهندسين، ثم أُعيد إلى الخدمة وأسندت إليه مهام قيادية في قوات المظلات والحرس الوطني في بدايات تنظيمها، ويُعد من أوائل من تولّوا رئاسة الجهاز العسكري في الحرس الوطني، كما كان ممن أسهموا مع **الأمير عبدالله بن عبدالعزيز** في تأسيس الحرس الوطني

وتنظيمه في مراحله الأولى، وقد شارك في بناء هذا الجهاز، وتطويره خلال عهود الملك سعود بن عبدالعزيز ثم الملك فيصل بن عبدالعزيز ثم الملك خالد بن عبدالعزيز، وتقديرًا لخدماته العسكرية وإسهاماته في تأسيس وتنظيم الجهاز العسكري للحرس الوطني، أُطلق اسمه على أحد الشوارع في وسط العاصمة الرياض، توفي رحمه الله عام 1404هـ.

سعد بن ناجم

سلك كثير من أبناء قبيلة الرشايدة طريق الخدمة العسكرية، وبرز منهم رجال خدموا وطنهم بإخلاص، وكان فيهم شهداء قدموا أرواحهم في سبيل أداء الواجب.،ومنهم الشهيد ـ **سعد بن ناجم ابن غضوى** ـ، الذي استشهد أثناء حادثة اقتحام الحرم المكي عام 1400هـ (1979م)، حين اندفع بدبابته واقتحم بها باب الحرم، مما مهد الطريق للقوات للدخول وإنهاء المواجهة داخل الحرم.

الرشيدي أميرا للظهران

الأمير محمد بن قاسم الشويلعي الرشيدي، كان من الرجال الذين برزوا في العمل الإداري، والعسكري في شمال الجزيرة العربية والمنطقة الشرقية، بدأ مسيرته في إمارة حائل حيث عمل مع **الأمير سعود بن جلوي،** ثم انتقل معه إلى المنطقة الشرقية بعد تعيينه أميرًا عليها، فأصبح من رجاله المقربين، وتقلّد عددًا من المسؤوليات الإدارية والأمنية في مناطق متعددة.

تولى الأمير محمد بن قاسم الشويلعي عدة مناصب قيادية، من أبرزها:

. أمير منطقة المحايدة **(الوفرة)** التابعة للحكم السعودي آنذاك.

. أمير عين دار.

. أمير انطاع.

. أمير سيهات.

. أمير صفوى.

. أمير الجبيل.

. أمير الظهران.

. كُلّف بإمارة الخبر.

. كُلّف بإمارة جسر الملك فهد لمدة عام عند افتتاحه، إلى جانب عمله أميرًا للظهران.

كما شارك في حرب البريمي ضمن القوات التابعة لإمارة المنطقة الشرقية، وكان له حضور في الأحداث العسكرية في تلك المرحلة، وتولى كذلك إمارة حريص لعدة سنوات عندما كانت تابعة إداريًا لإمارة المنطقة الشرقية.

يُعد الأمير محمد بن قاسم الشويلعي من رجال الإدارة الميدانيين الذين أسندت إليهم مهام متعددة في المنطقة الشرقية خلال فترة توسع الدولة السعودية، وتثبيت إدارتها في مدن الساحل، والخليج العربي.

رجال من قبيلة الرشايدة

برز عددٌ كبير من رجال قبيلة الرشايدة في ميادين العلم والجود، فكان فيهم العلماء والوجهاء وأهل الكرم، وتناقل الناس أخبارهم، لما عُرفوا به من مآثر وسيرٍ حسنة، ونعتذر سلفًا عمّن لم يرد ذكرهم لضيق المقام، ومن هؤلاء:

المُحدث مفلح الرشيدي

هو الشيخ مفلح بن سليمان بن فلاح العدهي الرشيدي، أحد علماء الحديث النبوي، عُرف بعنايته بالسنّة النبوية روايةً ودراية، وباشتغاله بالعلم وتعليمه، وكان له حضور بين طلاب العلم لما اتصف به من معرفة بالحديث واهتمام بخدمته، وللاختصار، نكتفي هنا بما كتبه عنه أحد طلبته، وهو الطالب خالد حمودة، حيث ذكر شيئًا من سيرته وعلمه وفضله:

هو مفلح بن سليمان بن فلاح بن عياد الرشيدي العبسي أبو كاتب المديني، ولد في العشر الأواخر من رمضان سنة 1365هـ - 1946م في قرية الغزالة من قرى حائل، تشفع له الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ليلحقه بأحد المعاهد العلمية التي تمكنه من الاشتغال بالعلم مع إعالة أهله فكان له ذلك.

وكان قد ألقي في روعة دراسة الحديث النبوي فطلب من الشيخ غفر الله له جامع الأصول لابن الأثير فنهاه الشيخ عنه، وأرشده إلى صحيح مسلم فكان بدؤه به ثم لم يزل مصاحبا له دهره كله حتى صار من أعلم من ترى عينيك بصحيح مسلم ورجاله وأسانيده، أول ما عرفته أنه كان قد أهمني تدليس قتادة، وكنت لا أزال أسمع برجل من أهل المدينة مشتغل بالحديث، وله منظومة في ذكر المدلسين فطلبته في هاتفه، وسألته عنه فوالله كأنني قد فجرت بحرا، وأيقنت أنني قد وقعت على كنز مخفي.

أخبرني أنه عرف نقد الحديث، وشغف به لما درس كتاب الشيخ ربيع بين الإمامين وكان يقول عنه: أنه دراسة فذة ينبغي لطالب العلم العناية بها قال وما تعلمت الحديث إلا منها ثم من كتب الشيخ الألباني.

حمل العلم عن جماعة من علماء عصره وأكثر من سمعته يلهج بذكره منهم الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ مقبل الوادعي والشيخ حماد الأنصاري رحمهم الله، وكان أكثر اشتغاله بالحديث ،ولقد رأيته فرأيت رجلا عارفا بذلك الشأن فهما فيه متحققا بأصوله، يزاول حفظ الرجال أسماءهم وكناهم وأحوالهم وأوطانهم وشيوخهم ومن أخذ عنهم،علم قل في الناس طالبه دعك من عارف والمتحقق به، اعتنى عناية خاصة بحديث سفيان بن عيينة وخرج حديثه الذي رواه عنه سليمان بن حرب تخريجا نفيسا جليلا في ثلاثة مجلدات.

كان شغفه بالعلم شديدا تراه يطرب للفائدة طرب من ضربت عنده القيان بالعيدان، ومن لطيف خبره في ذلك أنه لما طبع تخريج الشيخ الألباني الكبير لسنن أبي داود اتصل به رجل من الكويت . وفيها طبع الكتاب يقول له:

نسختك عندي وتصلك بعد شهر، فلم يستطع الشيخ أن يصبر إلى ذلك الوقت فاشترى الكتاب على غلاء ثمنه، وقال لي: والله لقد فرحت به أكثر من فرح من زفت إليه عروسه، ثم

لما وردت نسخته وهبها لغيره، ولقد شهدته يوما، واستأذنه رجل في أن يستعير منه المجلد الأول من الكتاب فاعتذر إليه، وقال: لا أصبر على فراقه.

ومن قصته مع هذا الكتاب:

إنه كان قد اشتغل بتخريج حديث عائشة في الوضوء من القبلة فقرأ في بعض كتب الشيخ قوله: وقد خرجته في صحيح سنن أبي داود من ست طرق، فاتصل بالشيخ، وطلبها منه فقال له الشيخ: أعطني ما عندك أعطك ما عندي، فقال أبو كاتب :

إذنا والله يغنيني الدارقطني يعني أنه قد استوعب طرق الحديث في سننه قال: فلما طبع الكتاب وجدته ما زاد على ما عندي شيئا.

والشيخ مع هذا ضرير البصر، كان يقول :

والله ما فاتني، بسبب ضرري من متاع الدنيا شيء غير كتابة العلم وقيادة السيارة.

يعني حتى لا يحتاج في قضاء حوائجه إلى سائق أو مرافق، فأما كتابة العلم فقد أخلف الله لي ولدي كاتبا، وكان قد سماه كذلك تفاؤلا بأن يشب، ويصير كاتبه، وأما قيادة السيارة فقد بقيت حسرتها في القلب.

وأما أعماله العلمية :

فقد تقدم أن له تخريجا لحديث سفيان بن عيينة وقد طبع قريبا في ثلاثة مجلدات، وأن له نظما في المدلسين نظم فيه الثقات منهم يقع في ثمانين بيتا ضمنه فوائد جمة وتحقيقات مهمة وبعضها من استقراءاته وسماه "ريحانة الجليس في نظم الثقات الموصوفين بالتدليس" يقول في مطلعه :

قال الرشيدي الفقير مفلح الحمد لله به أفتتح

ما رمت من نظم وصلى الله على الذي من خلقه اصطفاه

وله أيضا تخريج مستفيض لأحاديث الوضوء من القبلة طبع قديما بعنوان " توضيح المخبوء فيما ورد في القبلة بعد الوضوء" ثم إنه بسطه، وزاد فيه وحول اسمه إلى" الفصل والتفصيل "فيما جاء في اللمس والتقبيل

فتح الرزاق في الذب عن حديث ابن عباس في جمع الطلاق" يجيء في مجلد كبير، وأصله " مقال نشر في مجلة منابر الهدى بالجزائر

جنى الجنتين فيما يقوله ويفعله المصلي بين السجدتين" بحث فيه أربعة مسائل متعلقة " بهذا الركن في أشياء آخر لم يكمل أكثرها.

كذلك كتب عنه تلميذه كتب ذلك تلميذه أمير بن أحمد قروي الجزائري، الطالب بمرحلة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية :

إن من يصاحب شيخنا المحدث مفلح بن سليمان الرشيدي رحمه الله يقف على ما يعجز عن وصفه مما يشاهده ويلمسه من عزيمة الشيخ وقوته وجلده في التحصيل، وأنا ذاكر لك بعض الشواهد على ذلك مما عايشته، وسمعته من شيخنا :

حدثني شيخنا أنه تعلم الحروف والكتابة من أخيه الأكبر؛ وقد كان ذلك برسم الحروف على - التراب بعود، يقول شيخنا:

(فكنت ألصق وجهي بالأرض حتى أراه، وأتبعه إصبعي)، وكان شيخنا قد كف بصره إلا يسيرا جدا في إحدى العينين، وهو صغير، وبهذه الطريقة تعلم الحروف والكتابة.

كان شيخنا في صغره يمتلك مكتبة صغيرة هي نواة مكتبته العامرة؛ وتحوي: -

رياض الصالحين، وقد حفظه الشيخ في صغره، ومجلدا من تفسير ابن كثير، وآخر من صحيح البخاري، قال لي شيخنا:

(وكنا إذا انتقلنا، وتحولنا عن سكننا، وشرعوا في تحميل العفش، قالوا: احملوا أولا مكتبة مفلح، وكنت أفرح بذلك كثيرا)

كنت أدخل على شيخنا مرارا في مكتبته فأجده واقفا على قدميه، وهو موجه للكتاب إلى - ضوء المصباح في السقف، وملصق وجهه بالكتاب ليلتقط بعض الكلمات التي يريد قراءتها، وكنت إذا دخلت عليه يقول: (جئت في وقتك، خذ نفسا، وابدأ القراءة).

كان لشيخنا عدة دروس يومية بعضها عبر الهاتف لإخواننا في الكويت، ثم بعدها يقرأ من حضر من الطلاب، وقد كنت أحضر الدرسين جميعا ولله الحمد، وهذا من شدة حرصه على الإفادة.

شيخنا مفلح قد لا يعرفه الكثيرين، ولا يعرف حرصه وقوة عزيمة إلا القليل، ولعل قريبا بإذن الله أكتب كل ما أعرفه عن شيخنا برا به ووفاء.

ولعل من إخلاص شيخنا -نحسبه والله حسيبه-؛ أن يعيش (مغمورا) فيموت (مشهوراً). انتهى

سقط الشيخ في غيبوبة عام 1429هـ (2008م)، وظل على ذلك عدة سنوات حتى توفاه الله تعالى عام 1436هـ (2015م)، وقد صُلِّي عليه في المسجد النبوي الشريف، ثم وُري الثرى بعد حياةٍ قضاها في خدمة العلم، ولا سيما علم الحديث النبوي.



عالم الحديث الشيخ مفلح العدهي الرشيدي

مدهاس الحشية

هو **الشيخ مدهاس بن رشيد الحشية المهيمزي الرشيدي**، أحد كبار رجال الرشايدة المعتبرين، نشأ في بيت علمٍ وقضاء، فكان لذلك أثرٌ في تكوينه العلمي، ومكانته بين قومه.

بدأ حياته برفقة **الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**، حيث حج معه أول حجة له، ثم استمر بعد ذلك في أداء فريضة الحج كل عام، ملازمًا لهذه العبادة طوال حياته، وقد رافق في أسفاره للحج عددًا من كبار العلماء وطلاب العلم، حتى بلغ مجموع حججه (102 حجة)، وهو أمرٌ تناقلته وسائل الإعلام، وتحدث عنه الناس لما فيه من مواظبة نادرة على هذه الشعيرة، توفي رحمه الله عام 1431هـ (2010م)، بعد حياةٍ عُرفت بالاستقامة والمواظبة على العبادة، وترك ذكرًا حسنًا بين الناس.


الشيخ مدهاس بن رشيد الحشية الرشيدي

الملك عبدالعزيز كان يقاسمني الحلوة والمرة..

الشيخ مدهاس الحشية

عوض ابن حليس

خلّفت الحرب العالمية الثانية آثارًا قاسية في كثير من مناطق العالم، ولم تكن الجزيرة العربية بمعزلٍ عن تبعاتها؛ فقد تضرّر الاقتصاد، وتباطأت حركة التنمية، وانتشرت بين الناس مظاهر الفاقة والعوز، وفي تلك السنوات كان **ابن مريخان الحيسوني الحربي** جارًا وصديقًا لـ **عوض بن حليس العويمري الرشيدي**، وذات يوم احتاج أبناء ابن مريخان إلى الحليب، فذهب إلى جاره عوض يطلب منه شيئًا من الحليب لأطفاله الجياع، وكان عوض يملك عددًا من الماعز، فجلس عنده وطلب حاجته، لكن عوض أجابه بقوله:

«ما عندي حليب»

تعجّب ابن مريخان من هذا الرد، وعاد إلى بيته متحيرًا! وما إن وصل حتى وجد أمام منزله أربعين رأسًا من الغنم قد أوصلها أحد أبناء عوض، وقال له:

«أبوي ما يعطي الحليب لجاره، أبوي يعطي منايح لين الله يفرّجها»

ففهم ابن مريخان مراد صديقه، وشكر له صنيعه، وبقيت تلك المنايح عنده زمنًا طويلًا ينتفع بها، حتى توفي عوض بن حليس، وتفرّق الناس كلٌ في وجهته، وبعد نحو خمسةٍ وثلاثين عامًا أو أكثر، وفي عام 1408هـ (1988م)، وصل خبرٌ إلى أحفاد عوض بن حليس بأن إعلانًا نُشر في جريدة الرياض، وضعه أحفاد ابن مريخان، يطلبون فيه التواصل مع أحفاد عوض.

تم التواصل وتحديد الموعد، واجتمع الفريقان، وأقام أحفاد عوض ضيافةً لأحفاد ابن مريخان، وهناك أخبروهم أن جدهم ابن مريخان قد أوصى قبل وفاته بردّ المنايح إلى أهلها.

تعجّب أحفاد عوض من هذا الوفاء بعد كل تلك السنين، لكن المفاجأة كانت أكبر؛ فقد كثرت

تلك الغنم وبارك الله فيها عبر السنين، فقام أحفاد ابن مريخان بإرجاعها على صورة أعظم، فقد سلّموا لأحفاد عوض:

. ثمانمائة رأس من الغنم.

. شاحنتين مملوءتين بالعلف.

. شاحنة صهريج ماء.

. ومبلغًا كبيرًا من المال.

وهكذا بقيت هذه القصة مثالًا يُروى عن الكرم أولًا، ثم الوفاء الذي لا يضيع مع الزمن؛ كرم عوض بن حليس حين أعطى جاره ما يغنيه، ووفاء ابن مريخان الذي لم ينسَ المعروف حتى بعد عقود طويلة.

صغت أبيات في هذه الحادثه:

يا سامعين السالفة خذوا من العلم ما طاب — بين الرفاقة والمعاني قصةٍ تشهد زمانه

جارٍ طرق باب جاره يوم ضاقت به الأسباب — يطلب عونٍ من رفيقٍ ما يخيب ظنانه

ما عطاه اللي طلب لكن عطاه أوسع من الباب — خلّى الكرم يمشي معه ويشرح له أركانه

مرت سنينٍ والوفا ما غاب عن ذاك الأحباب — والطيب لو طال الزمن يرجع على عنوانه

يوم التقوا ردّ الجميل أضعاف ما قد كان — عرفٍ قديمٍ بين أهل الطيب محفوظٍ مكانه

هذي سوالف كرم تبقى على مر الأحقاب — الطيب يبقى والوفا تبقى معانيه مصانه.

عواض ابن جردان الثعلبي

هو **عواض بن حاضر بن جردان الثعلبي المهيمزي**، عُرف بين الناس بعفته وكرمه وسخائه، لما أغلقت أبواب الرزق أمامه في الكويت، فتح الله له بابًا واسعًا في منطقة الخفجي، فاستقرت حاله هناك، وكان إذا جاءه قوم يطلبون العون أو قصدوه لحاجة، قضى حاجتهم وأعانهم، ثم يدعوهم بعد ذلك إلى سباق في البر ويكرمهم بالضيافة، ليصرف عنهم حرج السؤال، ويجعل العطاء في صورة كرمٍ ومنافسة، لا في صورة طلبٍ أو حاجة، وبذلك اشتهر بحسن الخلق، وعفة النفس، وبذل المعروف للناس، حتى صار يُذكر بين قومه بالكرم والسخاء، توفي رحمه الله عام 1439هـ، بعد سيرةٍ عُرفت بالخير وإكرام الناس.

عواض بن حاضر فعل طيبه على الناس مشهور
منهلٍ للي قصد باب المعاني وارتجى

ما عرف درب الردى والكرم منه بحور
والفعول الطيبه بذكر الرجال ارتقى

طيبته تشهد لها ديرةٍ ووجوه وحضور
والسخا طبعٍ معه من زمانٍ ما نسى

رحمة الله عليه عد ما هبّ الدبور
يبقى الطيب لراعيه لو العمر انقضى.



الروائي عادل الرشيدي في حديث مع عواض الحاضر رحمه الله

محمد الحاضر

يُعدّ محمد بن عواض الحاضر الثعلبي من أبناء الرشايدة الذين جمعوا بين النشاط التجاري وحسن السيرة، فقد أخذ مهنة التجارة عن **والده،** ثم شق لنفسه طريقًا في هذا المجال بمدينة جدة، وحقق نجاحًا في عمله، وسار على نهج والده في الكرم والبذل ومدّ يد العون لمن يحتاج إليه، وقد ظهر هذا الجانب من شخصيته بوضوح في **بداية الاحتلال العراقي لدولة الكويت عام 1990م،** حين بادر إلى مساعدة الكويتيين الذين اضطروا إلى مغادرة بلادهم، وفتح لهم أبواب بنايته في مدينة جدة، فأسكن عددًا منهم فيها، ولم يقتصر ذلك على معارفه، بل شمل من أبناء عمومته من الرشايدة، وكان من بينهم على وجه الخصوص **عائلة الهيفي من المهيمزات،** حيث وفر لهم السكن وأعانهم في تلك الظروف العصيبة، في موقف يجسد ما عُرف عنه من شهامة ونجدة وصلة رحم.

كما كان له اهتمام بالأدب والتراث العربي، ومن أبرز مبادراته إقامته حفلًا كبيرًا في **دار الأوبرا المصرية** بعنوان – **ملتقى أبا الفوارس عنترة العبسي** -عام 1437هـ، بحضور جمع كبير من المدعوين والمهتمين بالأدب والتراث، وقد جاء الحفل لافتًا من حيث التنظيم والحضور، وحظي باهتمام الصحافة المصرية التي تناولته بالتغطية والحديث، وحرص الحاضر على أن يتجاوز الاحتفاء بعنترة العبسي حدود المناسبة الاحتفالية إلى دعم الأدب والثقافة؛ فقام **بطباعة رواية – ركبان الموت ملحمة داحس والغبراء** - خصيصًا لهذه المناسبة، وتوزيع نسخ منها على الحاضرين، لتكون الرواية جزءًا من فعاليات الملتقى، في مبادرة جمعت بين الاحتفاء بالتراث العربي وتشجيع النتاج الأدبي المعاصر.

يا محمد بن عواض الطيب لك فيه ميراث — من أبٍ خلّى على درب الكرامة مساره

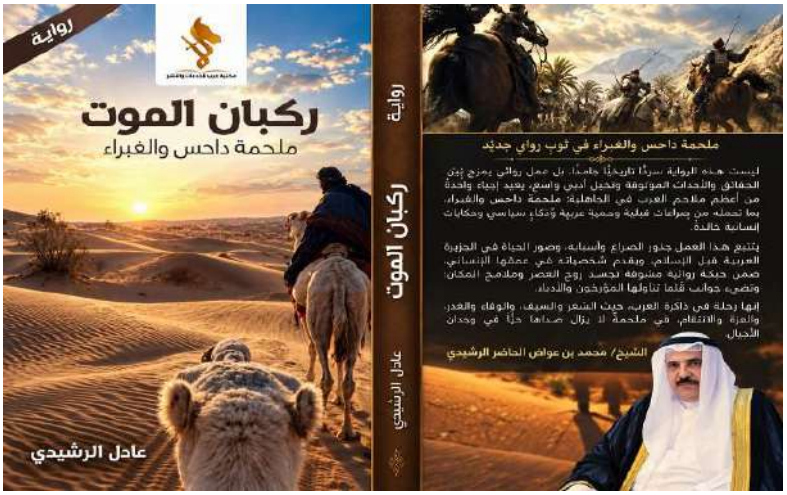
لك بتجّار المعالي في معالي الفعل إحداث — والجود طبعٍ معك من طيب فعلك وشعاره

جمّعت ربعاتك بملتقى الطيب والأنفاس — في دار مصر العريقة واعتلى الطيب داره

والصيت ما هو غريبٍ لا لمع بين الأجناس — اسمك على الطيب يمشي والفعول اعتباره.



جانب من حفل أبا الفوارس، ويبدو على اليمين محمد الحاضر والروائي عادل الرشيدي و مهند محمد الحاضر



رابطة عبس

رابطة عبس العالمية رابطة اجتماعية تأسست عام 1427هـ (2006م)، هدفت إلى جمع أبناء قبيلة الرشايدة في مختلف الأقطار العربية وتعزيز التواصل بينهم، بدأت فكرة الرابطة من جمهورية السودان، ثم برز حضورها إعلاميًا في دولة الكويت، وانتشرت أنشطتها بين أبناء القبيلة في عدد من الدول العربية، وكان لها أثرٌ واضح في توثيق الصلات بين أفراد قبيلة الرشايدة ولمّ شملهم، والتعريف بتاريخهم، وروابطهم الاجتماعية، وفي المملكة العربية السعودية تولّى أمانة الرابطة الدكتور عبدالله بن سعد العويمري، وأسهم مع غيره من أبناء القبيلة في دعم نشاطها وتعزيز حضورها الاجتماعي.

د. عبدالله بن سعد

يبرز الدكتور عبدالله بن سعد العويمري في سجل شخصيات الرشايدة التي جمعت بين الحضور الإعلامي، والوعي التاريخي، والنشاط الاجتماعي، والغيرة على موروث القبيلة ووحدة أبنائها، فمنذ بواكير شبابه، حمل على عاتقه همَّ تاريخ قبيلته، وانصرف إلى جمع أخبارها، وروايات رجالها، وتوثيق أحداثها وموروثها، إدراكًا منه أن الأمم والقبائل إنما تحفظ مكانتها بما

تحفظه من ذاكرتها، وتصونه من أخبار رجالها وأيامها ومآثرها، ولم يكن شغفه بتاريخ القبيلة مجرد اهتمام عابر أو معرفة شخصية، بل كان مشروعًا حمله بعناية ومواظبة؛ سعى من خلاله إلى حفظ ما تناقلته الأجيال من الروايات والأخبار، وربط حاضر القبيلة بماضيها، حتى لا تضيع صفحات من تاريخها بين النسيان، وتبدّل الأزمنة، وإلى جانب ذلك، عُرف العويمري بحرصه على جمع الكلمة، وتوحيد الصف، ولمّ الشمل، وتقوية أواصر الأخوة بين أبناء القبيلة، فكان حاضرًا في مجالسها، ولقاءاتها، واجتماعاتها الكبرى، لا حضور المتفرج، وإنما حضور الرجل الذي له رأي وموقف ومسؤولية؛ يشارك في النقاش، ويبدي المشورة، ويسهم في معالجة القضايا الاجتماعية، ويسعى إلى تقريب وجهات النظر، وإزالة ما قد يطرأ من خلاف، واضعًا مصلحة الجماعة فوق الاعتبارات الشخصية.

وكان من المشاركين في تأسيس - **رابطة عبس العالمية** - ثم تولّى رئاستها، فكان له إسهام بارز في ترسيخ كيانها، وتفعيل دورها، وتنظيم أعمالها، والسعي إلى مد جسور التواصل بين أبناء القبيلة في مختلف البلدان والأقطار، وقد مثّلت الرابطة بالنسبة إليه أكثر من إطار اجتماعي؛ إذ عمل من خلالها على جمع أبناء القبيلة تحت مظلة واحدة، وتعزيز صلاتهم، وإحياء شعورهم بالانتماء، وربط الأجيال الجديدة بتاريخها وموروثها، وخلال مسيرته، ترك الدكتور عبدالله بن سعد العويمري أثرًا لا يُقاس بطول المدة فحسب، وإنما بكثرة الحضور، وتعدد المواقف، وتواصل السعي، وظل اسمه حاضرًا في ميادين العمل الاجتماعي، والتاريخي، والإعلامي، مواصلًا جهوده في خدمة القبيلة، وتوثيق تاريخها، والمحافظة على موروثها، وتقوية الروابط بين

أبنائها، دون أن يتوقف عطاؤه عند منصب أو مناسبة، ولعل أبلغ ما يمكن أن يُقال في وصف هذه المسيرة ما جرى على ألسنة من عرفوا الرجل عن قرب، حين قالوا:

«الدكتور عبدالله بن سعد العويمري رجلٌ أحفى قدميه من أجل القبيلة».

وهي عبارة ذات دلالة عميقة؛ فإحفاء القدمين كناية عن كثرة السير، وشدة السعي، وطول الطريق، وكأن صاحبه لم يدخر جهدًا، ولم يتردد في قطع المسافات، وبذل الوقت، وتحمل المشقة، في سبيل ما آمن به من واجب تجاه قومه، ومن هنا جاءت العبارة لتختصر سيرة رجلٍ جعل من خدمة قبيلته عملًا مستمرًا، ومن جمع أبنائها رسالة، ومن حفظ تاريخها أمانة، ومن توحيد صفها غايةً يسعى إليها ما استطاع.

فقلت في شخصه:

يا ابنَ العُويمريِّ سِرْتَ الدربَ مُجتهدًا — تسعى وتجمعُ شملَ القومِ في هِمَمِ

أحييتَ تاريخَهم في كلِّ مُلتقًى — حتى غدا ذِكرُهم يسمو على القِمَمِ

للقومِ رأيٌ إذا نادى الزمانُ به — كنتَ المقدَّمَ بين الحِلْمِ والحِكَمِ

تمشي لخدمتهمُ صدقًا بلا مَنٍّ — حتى غدوتَ مثالَ السعيِ في الكَرَمِ

قالوا: أحفى قدميه في مسيرته — نعم، فما خابَ ساعٍ صادقُ القَدَمِ.



قال فيه الشاعر سويلم بن مناحي (رحمه الله) :

كيفك تبيها رابطه ولاتبيها منظمه — قلها على اللي في لسانك ياعزيزي ضابطه

لكنها تبقى بعيني عاليه ومعظمه ماادامها رايه لعبس ونظمتها الرابطه

تسرج خيول العز يوم المجد دون بقلمه لفعالنا بعض الاوادم يالبناخي غابطه

ترقى صروح المجد وتولي العصور الظلمه تمشي على وضح النقى ما تلتفت للهابطه

تبحر سفينتنا بوسط بحورها المتلاطمه ترسي على شط الامل رغم القلوب الساقطه

ربانها عبدالله اللي بالوفى رزعلمه والقايد مبارك* نعم ماهي علوم مهايطه



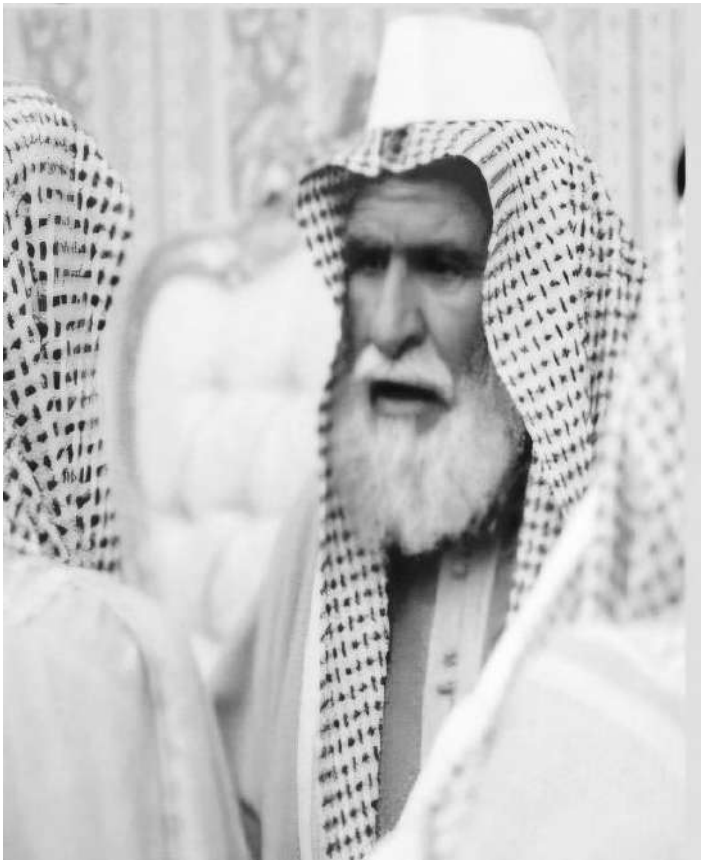
من اليمين د. عبدالله العويمري، الروائي عادل الرشيدي، الشيخ سعيد بن محمد الصقري، جاسم المسيلم، م. مبارك الدويلة.

(مبارك بن فهد الدويلة – الكويت وقبيلة الرشايدة)*

الشيخ نايض بن حماد

وكان من أعضاء الرابطة أيضًا **الشيخ نايض بن حماد،** - رحمه الله -، أحد الرجال الذين عُرفوا بمكانتهم وحضورهم بين أبناء القبيلة، وبما اتصفوا به من مواقف مشهودة في خدمة قومهم، والحفاظ على أواصر المودة والتكاتف بينهم، وقد خلّد الشاعر **مناحي بن حمود العدهي** ذكره بعد وفاته بقصيدة رثائية مؤثرة، عبّر فيها عن عظيم حزنه لفقده، واستحضر من خلالها سيرته ومآثره، وما كان له من قدرٍ، ومكانةٍ راسخة في نفوس قومه، فجاءت القصيدة شاهدًا شعريًا على منزلته، وتخليدًا لذكر رجلٍ ترك أثرًا لا يُمحى في ذاكرة من عرفه.

يالله يامجري قمرها مع الشمس — يا مدبركونه وخالق عبيده
الموت حق ولا بها شك ولبس — من الولي مكتوب والله وكيده
فكيت باب للفرايد وهي حبس — والحزن ولع بلحنايا وقيده
اجبرعزى نفسي وعزي بني عبس — شيخ الشيوخ اي والله انه فقيده
وحمس قلبي من فراقه ترا حمس — عزالله اني فاقد لي وليده
فيه الحمياء مايداني هل الرمس — شامخ ووافي بالخصال الحميده
واصل مع الارحام ومصلين خمس — ومرضي جميع الأقرباء والبديده
عسى ذنوبه تنمحي وتنطمس طمس — وفي جنة الفردوس يكتب شهيده.



الشيخ نايض ابن حماد (رحمة الله)

الشيخ رشيد الداموك

الشيخ رشيد بن جمعان الداموك الرشيدي، معرِّف قرية الحماد، إحدى قرى الجنوب الحائلي، الواقعة على مسافة تقارب 150 كيلومترًا جنوب مدينة حائل، كان من الرجال الذين اقترنت أسماؤهم بالمكانة، والوجاهة، وحسن السيرة، وعُرف بين قومه برجاحة الرأي، وعلو الهمة، ومحبة الوطن، والحرص على تماسك المجتمع، وجمع الكلمة، وإصلاح ذات البين، وصون أواصر القربى، والمودة بين أهله وقومه، وله ديوانٌ عامرٌ على الطريق، لم يكن مجرد مجلسٍ للضيافة، بل كان عنوانًا للمروءة، وموئلًا للرجال، ومقصدًا للمسافر وعابر السبيل، فجعله مفتوحًا للضيوف على اختلاف أحوالهم، وهيّأه بما يليق بالكرم العربي الأصيل، حتى غدا ديوانه معلمًا من معالم الجود في تلك الديار؛ تُفتح أبوابه للقاصي والداني، ويجد فيه المسافر الأمن والأنس، والضيف حسن الوفادة وطيب المقام.



الشيخ رشيد الداموك

الشيخ منصور القنور

الشيخ منصور بن علي القنور العوني الرشيدي، رئيس مركز **عين ابن قنور** بالسر التابع لمحافظة الدوادمي، واحد من الرجال الذين اقترنت أسماؤهم بالمكانة، وحسن السيرة، ورفعة القدر، ممن تركوا في محيطهم الاجتماعي أثرًا يليق بمقام الرجال الذين تُعرف قيمتهم بالمواقف، وتُقاس منزلتهم بما لهم من حضورٍ في حياة قومهم ومجتمعهم، وقد عُرف الشيخ منصور برجاحة العقل، وسمو الخُلُق، وطيب الذكر، وحسن القبول بين الناس، فكان موضع تقديرٍ واحترام، يحظى بمكانةٍ راسخة في مجتمعه، ويُنظر إليه بوصفه من الرجال الذين يجتمع عندهم الرأي، وتُستأنس بحكمتهم، ويُرجع إليهم في الملمات، وشؤون الجماعة.



الشيخ منصور بن علي القنور

تركي بن حمزة

تركي بن حمزة النويعمي المهميزي الرشيدي، ضابط سعودي كان يحمل رتبة رائد عند إقالته من عمله، اشتهر بعد أن كشف عبر شهادات علنية ما قال إنه طرق تهريب للمخدرات إلى داخل **المملكة العربية السعودية**، مشيراً إلى أن وراء هذه الشبكات شخصيات نافذة، وذكر من بينهم سعد الجبري، حاول تركي إيصال صوته عبر القنوات الرسمية، إلا أن مساعيه لم تلقَ استجابة، وأُغلقت الأبواب في وجهه، وتعرض للتهديد، كما أوقفت مخصصاته المالية، ومع ذلك لم يتراجع عن موقفه، فاختار الظهور عبر منصة يوتيوب لعرض ما لديه من معلومات للرأي العام، أدى ذلك إلى توقيفه وسجنه فترة من الزمن، غير أن الدولة تكفلت برعايته بأمر من **الأمير محمد بن سلمان**، الذي كان آنذاك وليَّ وليِّ عهد المملكة العربية السعودية، وبعد أن أصبح ولياً للعهد، غادر سعد الجبري المملكة، ولم يدم بقاء تركي في السجن طويلاً، أصبح تركي النويعمي في نظر كثير من السعوديين مثالاً للمواطن الصادق الناصح، الذي خاطر بمكانته، ووظيفته، وما يملك من أجل إيصال ما اعتبره أمانة يجب أن تُبلَّغ، فحظي بتقدير واحترام واسع في المجتمع.

يا تركي اللي للمواقف مقامه — فعلٍ يبيّن معدن الطيب بأهله

اسمٍ على درب المراجل وسنامه — لا هبّ وقت الشدّ تعلى افعاله

من نسل قومٍ ما تطيح أعلامه — تاريخهم بين العرب شاهدٍ له

يبقى صدى فعله مع أعوامه — والطيب يبقى لو تغيّر زمانه.



المِقدام تركي بن حمزة يتوسط الروائي عادل الرشيدي

و سند بن شداد ابن قائد الدولة

الشيخ عيسى

عيسى بن فالح بن عيادة الخياري الرشيدي من خيار رجال المجتمع، عُرف بحسن السيرة وطيب الذكر بين الناس، وكان والده الشيخ فالح بن عيادة – **رحمه الله** – معالجًا بالقرآن الكريم، له سمعة طيبة في المنطقة، يقصده الناس طلبًا للرقية والنصح، وقد ورث عيسى عن والده وجده عيادة هذه الهبة الربانية، ففتح الله عليه في تعبير الرؤى وفهم دلالاتها، حتى عُرف بين من عرفه بدقة الفهم وإصابة التأويل، وأرى أنه من أفضل معبري الرؤى في محيطه، بل من أندرهم وأصدقهم تعبيرًا، لما عُرف عنه من التثبت، وحسن الفراسة، ومن الوقائع التي سمعتها بنفسي أن رجلًا أعرفه(**خالد بن فارس بن محبوب الخميلي**) رأى في منامه أنه جالس بين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده الأمير سلطان بن عبد العزيز – **رحمهما الله** – وكان ذلك في أثناء حياتهما، فلما أخبرني برؤياه دللته على الشيخ عيسى ليعبّرها له، فلما كلمه الشيخ عيسى قال له:

«يبدو أنك رُزقت مولودًا ذكرًا ولم تذبح عقيقته، وهذا ليس من عادتك».

تعجب الرجل، إذ لم يكن يعرف الشيخ عيسى من قبل، وكانت تلك أول مرة يتحدث معه، فقال:

« نعم، لقد وُلد لي مولود، وأخرت عقيقته حتى يعود والدي من رحلة علاج، ولم يسبق لي أن أخرت عقيقة أحد من أبنائي ».

وهذه واحدة من القصص التي وقفت عليها بنفسي مما يروى عن دقة الشيخ عيسى في تعبير الرؤى، وهي شاهد على ما فتح الله عليه من هذه الموهبة.

مفلح الخضيري

مفلح بن سويلم الخضيري، خالٌ للشيخ عيسى بن فالح الخياري الرشيدي، ومن الرجال المعروفين في محيطهم الاجتماعي بحضورهم ومشاركتهم في الشأن القبلي، وهو مؤسس منتدى سلايل عبس، وقد خصص فيه خانة لتعبير الرؤى والأحلام، إسهامًا في النصح والإرشاد، له حضور في الاجتماعات واللقاءات القبلية، ويُعرف بحرصه على جمع الكلمة ووحدة الصف، كما يتصف بالهدوء، والحلم، ورجاحة العقل، وهي صفات أكسبته تقديرًا بين من عرفوه، ومفلح الخضيري إلى جانب ذلك شاعرٌ له حضوره الشعري، عبّر في بعض قصائده عن تقديره لمؤلف هذا الكتاب القيّم الروائي عادل الرشيدي، فقال فيه أبياتًا من الشعر:

بيض الله وجه عادل على افعاله اشهد انه يرفع الراس بعلومه

متعبن نفسه ومجهد على حاله أخذ من صفحة المجد مقسومه

دون ربعه مبعد الدار يعناله يصنع التاريخ ويدل منجومه

ما نطر رد الجمايل على اعماله لين يصحى مبطي النوم من نومه

عن صنايع عبس كم وصل رساله واحتمى صد المناديب بعزومه

ما نثنى عن كوكب العز برحاله سابقه ردت هواه القوم عن قومه

ما نوى المنكاف والا تحرا له لين قضاء من وراء الجهد ملزومه.

وله أيضًا توضيحٌ **في نسب جماعته الخضرة**، إذ كتب في بيان نسبهم وذكر اتصالهم وأصولهم، موضحًا ما يتصل بتاريخهم وما تناقله الآباء والأجداد من أخبارهم، وذلك حرصًا منه على حفظ الموروث وتثبيت المعرفة بالأنساب بين أبناء الجماعة، كما جرت عادة كثير من المهتمين بتاريخ القبائل وأنسابها، فقال:

اسمع مني ياللي عن خضيرنشاد علمن على الاجداد ماهوجديدي
خضير ابن معتاد علمن بالاوكاد بعطيك عن كثرالكلام المفيدي
نماس جده وله عمان واجداد ثلاثة والا عددهم يزيدي
ابناء غني ابن عمر علم واسناد وعمري ولد بنان جده رشيدي
سلالة منها القعابيب تنقاد وفيهم ملا بني رشيد المجيدي
ومنهم عجاونة الفخر ساس الأمجاد هامات رؤس بالمواقف تكيدي
وشوالعه بالكون ميبست الاكباد نطاحة القالات يوم المكيدي
ومنا وفينا ربعتن جودهم جاد ماعقب شليان عم وعضيدي
ومنا شعبانا خوخويدم ومعتاد عيال نماس الكلام الاكيدي
معربين الجد من بيت الأجواد حماية الفاطركعام العنيدي
كسابة الأمجاد عطبين الأضداد يومن هامات المصايد تصيدي
انشد من اللي رجعو شقح الأذواد ان كان تجهل يوم صاح البجيدي
يوم انتخو دونه مداغيش الاولاد ولحقواعلى ساقة جهام العقيدي
هذا الصحيح اللي له اثبات واشهاد ما قــدم الحجه بليا شهيدي
وأنشد وتلقاء اللي عن العلم رداد اهـل الذمم ما يجحدونه جحيدي
ولاينكرالمعروف والملح والزاد الا جحـــود جعل ذكره بعيدي.



الشاعر الأديب مفلح الخضيري

أقلام الرشايدة

القبيلة، أيّ قبيلة، لا تستغني عن لسانٍ يعبّر عنها، وصوتٍ ينقل صورتها إلى الناس؛ فإذا كان الشاعر لسان القبيلة في ميادين الشعر، فإن الكاتب هو عقلها الذي يدوّن، وذاكرتها التي تحفظ، وصوتها الذي يبقى أثره ممتدًا عبر الأجيال، فالشعراء في القبائل كثيرون، يحملون مآثر قومهم في القصائد، ويخلّدون أيامهم ومواقفهم، غير أن الكتّاب أقل عددًا، وأعظم مسؤوليةً في باب التوثيق؛ إذ يتولّون جمع الروايات، وتدوين الأخبار، وحفظ الأنساب، وتسجيل الوقائع، وصيانة الموروث من الضياع والنسيان، ومن هنا كانت حاجة القبيلة إلى رجالٍ من أبنائها يحملون القلم كما يحمل الفارس سيفه؛ يدافعون عن تاريخ قومهم، ويجمعون شتات أخبارهم، ويضعون بين أيدي الأجيال سجلًا يحفظ ما كان من أمجادهم وأيامهم ورجالهم، وقد برز في قبيلة الرشايدة في المملكة العربية السعودية وغيرها من الأقطار عددٌ من الكتّاب، والمؤلفين، والباحثين، ممن حملوا همّ التوثيق، وأسهموا في تدوين جانبٍ من تاريخ القبيلة وموروثها، وكان لكل واحدٍ منهم أثره، وبصمته في الوطن،، والقبيلة والمشهد الثقافي، وهؤلاء لم يكونوا مجرد أصحاب أقلام، بل كانوا حرّاسًا للذاكرة، وحَمَلةً للموروث، وشهودًا على عصرهم؛ فمن خلال كتبهم، ومؤلفاتهم، وأبحاثهم انتقلت أخبار الرجال، والأحداث من مجال الرواية الشفوية إلى صفحاتٍ مكتوبة، لتبقى شاهدًا للأجيال، ولتكون مادةً لمن يأتي بعدهم فيستكمل مسيرة البحث، والتوثيق، ومن أبرز هؤلاء الذين كان لهم حضورٌ وإسهامٌ في هذا المجال:

مبروك الرشايدة

الدكتور مبروك مبارك سليم الرشيدي، من أبرز رجالات جمهورية السودان، وشخصياتها السياسية والاجتماعية، ومن الأسماء البارزة في تاريخ الرشايدة بشرق السودان، عُرف بقيادته لتنظيم الأسود الحرة، وبحضوره القوي في قضايا شرق السودان، والعمل السياسي، كما شغل عضوية البرلمان، وتولى عددًا من المناصب الرسمية في الدولة السودانية، وكان من أبرز أدواره السياسية الدفاع عن حقوق قبيلة الرشايدة ومطالبها لدى الحكومة السودانية، والمطالبة بتمكين أبنائها، وإثبات حضورهم في مؤسسات الدولة والمجتمع، حتى أصبح لأبناء الرشايدة حضورٌ في عدد من المناصب الوزارية والتنفيذية والإدارية في شرق السودان، وأسهم ذلك في

ترسيخ مكانة القبيلة وحضورها السياسي والاجتماعي في الإقليم، ولا سيما أن الرشايدة يُقدَّر تعدادهم في السودان بأكثر من مليون نسمة وفق تقديرات متداولة، وإلى جانب مسيرته السياسية، كان له حضور في ميدان التأليف والتوثيق، فأصدر كتابه – **الرشايدة طنايا عبس بين اليوم والأمس** – الذي تناول فيه جوانب من تاريخ قبيلة الرشايدة، وموروثها، وأخبارها، وأسهم في حفظ جانب من ذاكرتها، وتدوين تاريخها للأجيال، وقد جمع الدكتور مبروك مبارك سليم بين القيادة السياسية، والدفاع عن حقوق قومه، والعمل الوطني، والتأليف والتوثيق التاريخي، فكان له حضورٌ بارز في وطنه، وبصمةٌ واضحة في تاريخ قومه، ولا سيما في شرق السودان، وما أوردناه هنا ليس إلا اختصارًا لسيرته؛ فحجم الرجل، ومكانته، وطول مسيرته، وتعدد أعماله ومواقفه، وما أدّاه من أدوار سياسية، واجتماعية، كل ذلك يحتاج إلى مجلدٍ مستقل يستوعب سيرته، ويستوفي جوانب تجربته، ويوثّق مسيرته الحافلة، فقلت فيه:

مِن أعلامِ عَبْسٍ، وفي المجدِ شمسُها — تضيءُ دروبَ الرشايدةِ في العُلا

مَبروكُ، يا اسمًا على المجدِ شاهدًا — كأنَّ اسمَكَ للرشايدةِ قد حَلا

شَمْسٌ لهم في الشرقِ حينَ تلبَّدتْ — سُحُبُ الخطوبِ، وكان عزمُكَ ما انثنى

نزعتَ حقوقَ القومِ من بينِ ظُلمِهم — ووقــفتَ حتى عادَ حقُّهمُ لهم

أسَّستَ الأســودَ الحُرّةَ شامخًا — وقُدتَها، فغدتْ لها رايةُ العُلا

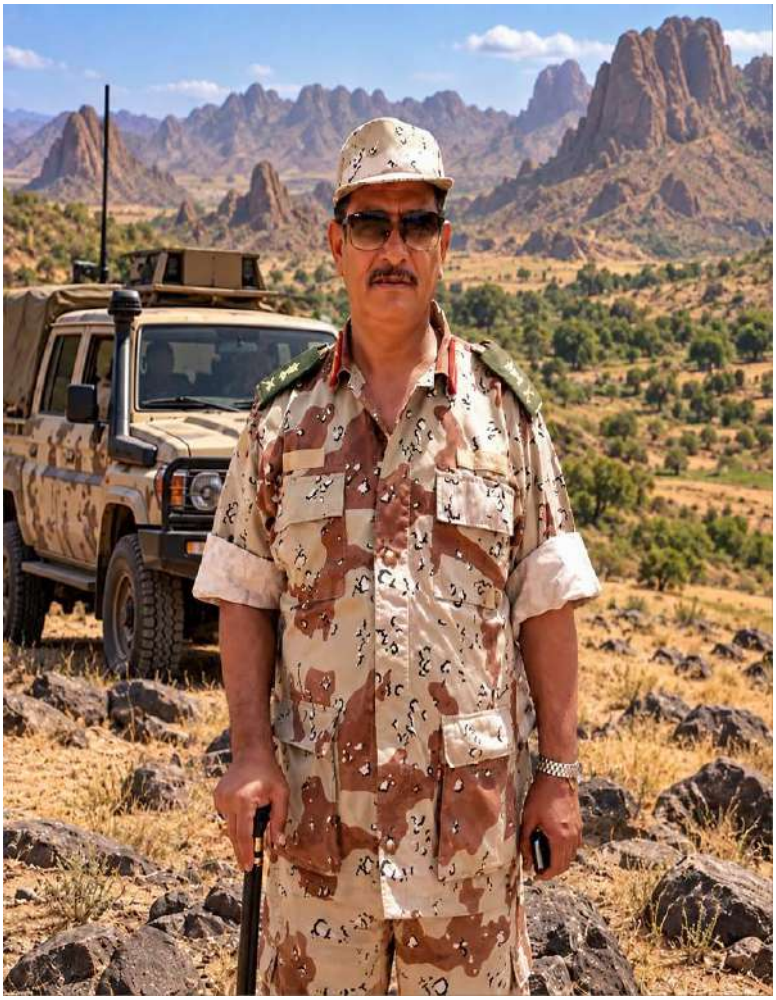
ما كنتَ قائدَ رايــةٍ في ساعةٍ — بل كنتَ صوتَ القومِ إن ضاقَ المدى

وحملتَ همَّ الرشايدةِ في المـدى — فـغدوتَ في تاريخِ قومِكَ ما يُرى

فيك القيادةُ والعروبةُ والوفـا — وبـك المواقفُ تستعيدُ لها صدى

يا مبروكُ، يا فخرَ الرشايـدةِ كلّهم — يا مـن جعلتَ من المواقفِ مُرتقى

إن قيل: من أعلامِ عبسٍ؟ قيلَ: ذا — مَبروكُ، شمسُ الرشايدةِ في السما.



قائد الأسود الحرة مبروك الرشيدي

حميد بن فحيمان

حميد بن فحيمان الذيابي، وُلد في حرة بني رشيد عام 1362هـ الموافق 1943م، وتوفي رحمة الله إثر حادث قرب حفر الباطن عام 1411هـ الموافق 1991م، كان ذا صيتٍ حسن، وسمعة طيبة في زمانه، وتميّز بلونٍ خاص من الشعر لاقى استحسان الكثيرين، ومنهم الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت رحمه الله، وله ثلاثة مؤلفات، وهي:

-ديوان الرشيدي.

-مدينة الأشعار.

-من خيار الأشعار.



حمد بن حميد

حمد بن حميد بن فحيمان الذيابي شاعر وأديب وروائي بارز، جمع بين مسيرته العسكرية وحضوره الأدبي والفكري؛ فقد تدرّج في السلك العسكري حتى بلغ رتبة عميد، ولم يحل عمله العسكري دون مواصلته نشاطه الأدبي، فكان شاعرًا، وأديبًا، وروائيًا أثناء خدمته، كما نال درجة الدكتوراه، وواصل إسهاماته الفكرية والأدبية، برز اسمه في الساحة الأدبية من خلال روايته «**شوال الرياض**» التي نالت جائزة **دارة الملك عبدالعزيز** لأفضل رواية تناولت سيرة المؤسس الملك عبدالعزيز، كما عُرف بكثرة قراءاته للكتب، وكتاباته النقدية التي نشرها في الصحف، حيث قدم من خلالها قراءات تحليلية للأدب، والفكر، والتاريخ، وللذيابي نتاج فكري متنوع؛ فقد أصدر أربع روايات، وكتب عشر دراسات في مجالات القصة، والنقد، والتاريخ، إضافة إلى مجموعتين شعريتين تعكسان تجربته الأدبية، ورؤيته الشعرية:

-للجراح ريش وللرياح وكر

-أبجديات الروح والجسد

وله في المسرح كتابات بعنوان :

-حكايات الرسول السعودي

كما قدم برنامجا إذاعيا عن الأدب العربي.

قال الشاعر حمد بن حميد :

واقلبي اللي صايرن به تقل سوق يباع فيه ويشترى ويتفرج

ماأدري علامي ؟ تالي الوقت مرموق تعبت خطاي مع الطريق وتعرج

طبعي حياوي وأتبع الناس بالذوق واسكت ولو شفت القبيح يتبرج

صحيح بعض فراق خلق الله يلوق لو إني لحالي جلست أتهرج

قالوا وقالوا" كل مطرود ملحوق وأقول أنا رزقك يجي لو تدرج

ليا سلم عود البنادم من العوق ترا همومه بأمر ربه تفرج.

فرد عليه الشاعر فوزي بن مربح القلادي :

شرحك سرا يا شاعر نظرته فوق ما حل في حالك على الحال عرج

كنك موكل وصف حاله ومنطوق تصوير عن قلب الحدث والمدرج

قلب العزيز يصارع الوقت ويتوق ويذوق من درس الزمن ويتخرج

ويزوم لونه من الضيق مزنوق ويمر بحراج الزمن ما تحـــرج

واللي كـما الدلال بالغدر والبوق لا صــاد غرة راعي الزود حرج.

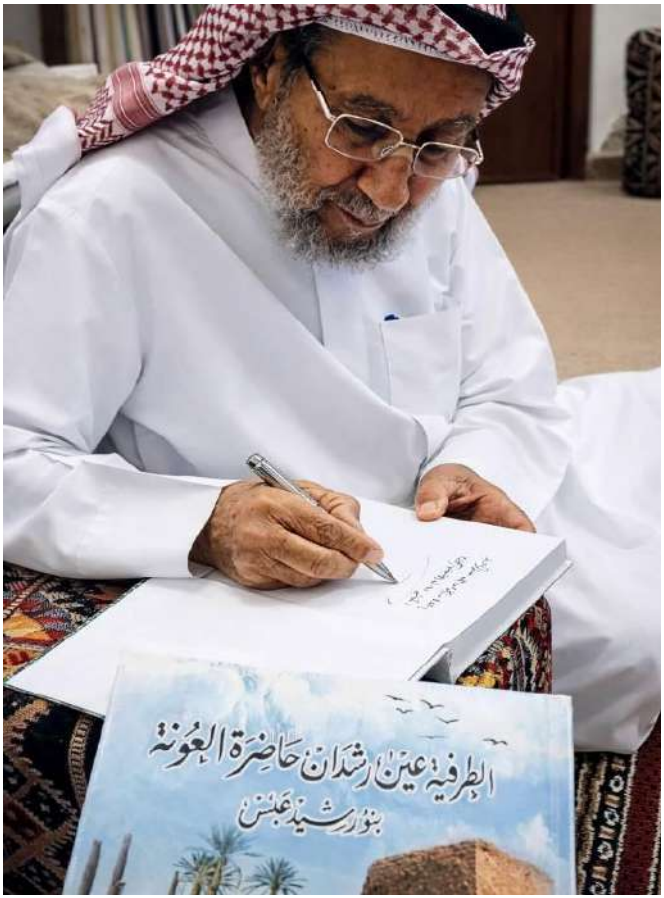


الأديب د حمد الذيابي

مفلح الجبر

مفلح بن جبر الجبر العوني الرشيدي، المولود سنة 1939م، باحث ومؤرخ يُعد من أبرز المراجع في تاريخ قبيلة الرشايدة في دولة الكويت، عُرف بالحكمة، وسعة الاطلاع، ورجاحة الرأي، وصدق العبارة، كما عُرف باهتمامه البالغ بتاريخ القبيلة وتوثيق أحداثها ورجالاتها، وجمع الروايات والوثائق التي تحفظ جانبًا مهمًا من ذاكرتها التاريخية، وأنني أعده أنا الروائي عادل الرشيدي، من أكثر من أفاد من علمهم ومعرفتهم بتاريخ الرشايدة في الكويت، لما يمتلكه من اطلاع واسع، ومعرفة دقيقة بالروايات المتوارثة، وحرص على تتبع مصادر التاريخ وتوثيق ما يتصل بالقبيلة وأعلامها وأماكنها، ولم يقتصر اهتمامه على التاريخ القبلي، بل امتد إلى توثيق تاريخ الكويت وجغرافيتها ومصادر مياهها؛ فكان شغوفًا بجمع الوثائق والخرائط والمعلومات التاريخية، وبذل في سبيل ذلك سنوات طويلة من البحث والمراجعة، ومن أبرز أعماله العلمية - **موسوعة المياه والآبار في دولة الكويت** - وهي مجلد ضخم يقارب ألف صفحة، استغرق إعدادها ما يقارب عشرين عامًا من البحث والتوثيق، وجمع المعلومات المتعلقة بالآبار والمياه ومواقعها وتاريخها في الكويت، كما ألّف كتابًا يتناول تاريخ الرشايدة، ولا سيما قومه العونة، بعنوان - **الطرفية عين رشدان حاضرة العونة بني رشيد عبس** - تناول فيه تاريخ المنطقة وسكانها وأصولهم، وما ارتبط بها من أحداث وروايات وشخصيات، ليكون الكتاب شاهدًا على جانب من تاريخ العونة وموطنهم ورجالاتهم، ومن مؤلفاته كذلك - **أدوار الجيش الكويتي في الحروب وميادين القتال العربية الإسرائيلية في وجهتي سيناء والجولان** - هو عمل يحمل طابع المذكرات والتوثيق، يستعرض فيه تجربته في الجيش الكويتي، ويوثق مشاركاته وما عايشه في ميادين القتال العربية، ولا سيما في سيناء والجولان.

وقد جمع مفلح بن جبر بين الرواية الشفوية، والوثيقة المكتوبة، والخريطة، والمعلومة الميدانية، فكان اهتمامه بالتاريخ قائمًا على الجمع، والتحقيق، والحفظ، فضلًا عن ما عُرف عنه من حب الخير وأهله، ومشاركته في الأعمال التي تخدم مجتمعه، وتحفظ ذاكرته للأجيال القادمة.



مفلح الجبر يوقّع نسخةً من كتابه، مُهدياً إياها للمؤلف.

الروائي عادل الرشيدي

عادل الرشيدي (هدلان) روائي، مؤرخ، وسيناريست عربي، ولد عام 1979م، يُعد من أبرز الأسماء التي كرّست مشروعها الأدبي لخدمة التاريخ العربي والقبلي، واستطاع أن يرسّخ حضوره في ميدان السرد التاريخي بوصفه قلمًا يجمع بين عمق الباحث، وبصيرة المؤرخ، وحسّ الأديب، لم يتعامل مع التاريخ بوصفه مادة جامدة تُروى، بل أعاد صياغته بروح روائية واعية، تستنطق الحدث، وتكشف ما وراءه من الدلالات والمعاني، وتمنحه حياة تتجاوز حدود الزمان والمكان.

تميّزت أعماله بقدرة لافتة على التحليل والاستنباط، فلا يكتفي بسرد الوقائع، بل يعيد قراءتها في سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي، مستخرجًا منها رؤى جديدة، وموازنًا بين الرواية التاريخية، والمصادر، والشواهد، حتى غدت مؤلفاته مراجع تجمع بين القيمة العلمية والمتعة الأدبية، مما منح أعماله هوية خاصة تجمع بين أصالة البيان العربي، ودقة المؤرخ، وخيال الروائي.

يُعَد **مؤرخ قبيلة الرشايدة قاطبة**، إذ كرّس سنوات طويلة في توثيق تاريخ القبيلة، وأنسابها، ورجالاتها، وأحداثها، وانتشارها في الوطن العربي، معتمدًا على منهج علمي يجمع بين التحقيق التاريخي، والوثيقة، والرواية الشفوية، والمقارنة بين المصادر، حتى أصبح اسمه مرجعًا لدى المهتمين بتاريخ القبيلة وتراثها، وقد لُقِّب بعدة ألقاب أدبية وتاريخية، من أبرزها : **مؤرخ القبيلة**، و**قلم عبس**، و**روائي عبس**، و**هدلان**، وهي ألقاب ارتبطت بمسيرته العلمية والأدبية، وعكست حضوره في ميادين البحث، والتأليف، والسرد.

أولى اهتمامًا بالغًا بالتاريخ القبلي، وتوثيق الأنساب، وسير الفرسان والشيوخ، وإحياء الموروث العربي، وسعى إلى إبراز الهوية العربية في صورتها الأصيلة، محافظًا على الأمانة العلمية، ومقدمًا الشخصيات التاريخية في بناء سردي حيّ يجعل القارئ يعيش تفاصيلها وكأنها ماثلة أمامه.

يمتلك مشروعًا فكريًا وأدبيًا متنوعًا، يتوزع بين الرواية، والبحث التاريخي، والسيناريو، والدراسات القبلية، واضعًا نصب عينيه إعادة قراءة التاريخ العربي بمنهج معاصر، يجمع بين التحقيق العلمي والإبداع الأدبي، ويجعل من الماضي مصدرًا للإلهام والمعرفة، ومن أبرز مؤلفاته وأعماله:

الرشايدة - شيوخ الحجاز، والكويت وقبيلة الرشايدة، والمختصر المبين في سيرة خاتم النبيين ﷺ، إلى جانب رواياته التاريخية، وسيناريوهاته الدرامية التي تعالج أحداثًا وشخصيات عربية بارزة، بما يعكس مشروعًا ثقافيًا متكاملًا يسعى إلى صون الذاكرة العربية، وتقديمها للأجيال بأسلوب رصين ومؤثر، ويُعرف عنه شغفه بالتنقيب في الوثائق والمصادر النادرة، وربط الأحداث التاريخية ببعضها، وتحويل المادة التاريخية إلى نصوص أدبية نابضة بالحياة، الأمر الذي جعله أحد الأصوات العربية المهتمة بإحياء التاريخ القبلي والعربي في ثوب أدبي حديث، جامعًا بين أصالة المؤرخ، وبلاغة الكاتب، ورؤية الروائي، ويمتلك إنتاجًا فكريًا واسعًا، يتوزع بين الرواية، والتاريخ، والمعالجة الدرامية، ويعكس مشروعًا يسعى إلى إعادة قراءة التاريخ، وصياغته في قوالب أدبية مؤثرة:

. رواية ركبان الموت (ملحمة داحس والغبراء)

تُعد أول عمل جمع أحداث معارك داحس والغبراء في قالب روائي متكامل، حيث أعاد بناء الوقائع التاريخية برؤية سردية ملحمية تُبرز أبعاد الصراع ودلالاته.

. رواية حينما يبتسم القدر

تناولت رحلة الملك عبدالعزيز آل سعود أثناء توحيد المملكة العربية السعودية، مسلطة الضوء على التحولات الكبرى، والتحديات التي شكّلت مسار التأسيس.

. رواية بيسان الحب والكراهية

عرضت أحداث الساحة السورية خلال فترات الصراع، مركّزة على التداخل بين العاطفة، والواقع السياسي في ظل المواجهات مع حزب البعث السوري.

. كتاب الكويت وقبيلة الرشايدة

بحث في دور قبيلة الرشايدة في نشأة دولة الكويت، مستعرضًا إسهاماتها، وامتداداتها الاجتماعية والتاريخية.

. كتاب المختصر المبين في سيرة خاتم النبيين

قدّم سيرة النبي ﷺ بأسلوب موجز، مستندًا إلى ما ورد في الصحيحين، مع اعتماد منهج يقوم على الاختصار والدقة.

. سيناريو ملحمة داحس والغبراء

عمل درامي أُعدّ لمشروع مسلسل من ثلاثين حلقة، يعيد تقديم الملحمة التاريخية برؤية بصرية حديثة قابلة للإنتاج التلفزيوني.

. كتاب شيوخ الحجاز (الرشايدة)

وهو العمل الذي بين يديك، تناول نشأة قبيلة الرشايدة، ورموزها في جزيرة العرب، والأقطار العربية، بأسلوب مختصر يجمع بين التوثيق والإيجاز.

يقول هدلان والنّوم انهدّ حيلَه
يا كم حِلمٍ طواه الوقت وانطفى نورَه

يا كبدي إن طاح مجدٍ ما نسى جيلَه
ولا بكى فوق طيبه غير من عاش دورَه

رشيديٍ شاف وقتٍ ما رحم خيلَه
وخانعه ما يهاب إلا لهيب النحورَه

أكرم بعبسٍ، ونِعمَ الرجال الأصيلَه
فرسانها سطّروا في الموت سطورَه

وعادلٍ حيّ يا ذكره، وحيٍّ سبيلَه
تعب سنينٍ لأجل اسمه، ورفع شعورَه

حيّ المؤرخ، كتب تاريخنا من حصيلَه
عرقٍ وجُهدٍ وهمٍّ مضمَّنٍ بأشعورَه

مجد الرشايدة وقف شامخ من جزيلَه
واللي ينكره جاهلٍ ما عرف مقدورَه

هذا وذي شجرةٍ ظلٍّ لمنهو يجيلَه
كل حرٍّ تظلّله مِن شموخ جذورَه

واختامها صلّوا على خير الخليقَه
شافع الخلق في يومٍ تذهل شعورَه.

الشاعر: حمدان بن حامد العبسي.



مؤلف الكتاب (هدلان) يلقي على مسامع الحضور مقطعًا مختارًا من كتابه شيوخ الحجاز الرشايدة.

جابر المهيمزي

جابر بن صالح النويعم المهميزي الرشيدي من أبناء منطقة الوجه، جمع بين العمل العسكري والعلمي؛ إذ التحق بالسلك العسكري حتى بلغ رتبة رائد، ثم عُرف كذلك بدوره الديني إمامًا وخطيبًا في أحد مساجد الوجه، عُرف بين الناس بدماثة الخلق، وصدق الحديث، والورع، وكان ذا صلة طيبة بمجتمعه، واهتمام ملحوظ بتاريخ قبيلة الرشايدة وأنسابها، وأخبارها، وله عناية بالبحث والتأليف، فأصدر عددًا من المؤلفات، منها:

.كتاب: **ومضة رحيل عبر الحجاز وأرض النيل**.

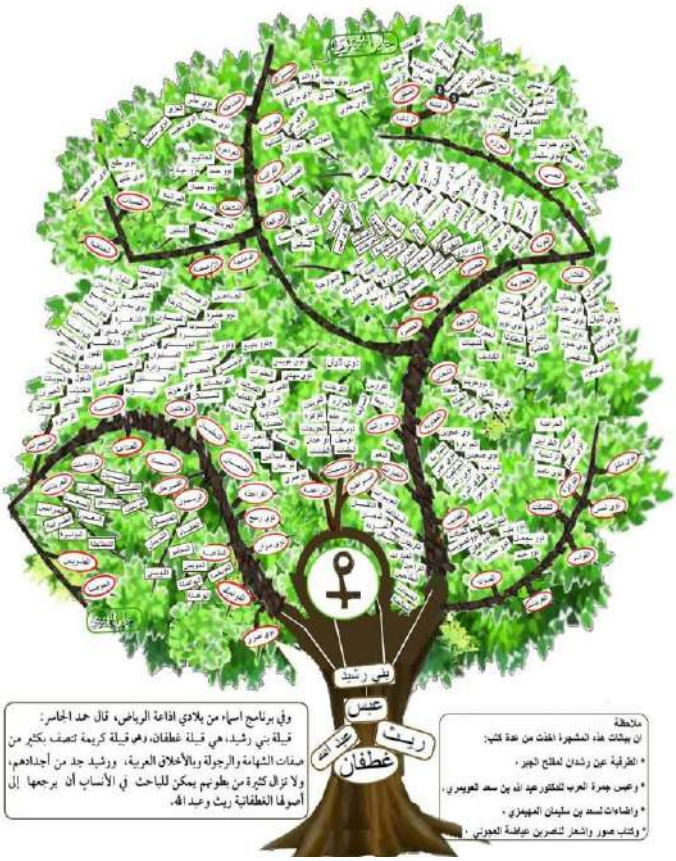
وهو كتاب نافع اشتمل على معلومات تاريخية، ورحلات، وأخبار، بذل فيه المؤلف جهدًا كبيرًا عبر سنوات طويلة في جمع مادته وتحقيقها، فجاء غنيًا بالفوائد والملاحظات التاريخية.

.كتاب: **من مآثر المهيمزات**.

تناول فيه أخبار منبته ونسبه، وسير رجالها، مسلطًا الضوء على جوانب من تاريخهم ومآثرهم، وما كان لهم من أدوار اجتماعية بارزة، مع إبراز سير بعض رجالاتها، وما عُرفوا به من مواقف وخصال.



الشيخ جابر المهيمزي



مشجرة قبيلة الرشايدة من إعداد وتصميم **جابر بن صالح المهميزي**، وهي عملٌ اجتهد فيه جامُعها في حصر فروع القبيلة وتوثيقها، وقد اشتملت على السواد الأعظم من قبيلة الرشايدة، ومع ذلك فإنها لا تمثل جميع فروع القبيلة، إذ لم تتضمن الرشايدة في **منطقة عجلون** بالأردن، ولا الرشايدة في **لبنان**، مما يجعلها مشجرة مهمة، لكنها غير شاملة لجميع انتشار القبيلة.

ناصر بن عياضة

ناصر بن عايضة بن عجوين، وُلِد في مدينة حائل عام 1382هـ الموافق 1962م، باحث وروائي، وشاعر نظم ومحاورة، عُرف باهتمامه بتاريخ قبيلة الرشايدة، وجهوده الواضحة في جمع أخبارها وتوثيق مآثرها، وقد اكتسب اسمه حضورًا ومكانة معتبرة لدى أبناء القبيلة، لما قدّمه من عناية بتاريخها ورجالاتها، ومن إصداراته:

-صور وأشعار بني رشيد

-يتيمات الصحراء (كتاب قصصي)

-علم الأشواق (شعر)

-عبير الأشواق (شعر)

سعد الفديمي

سعد بن سليمان الفديمي المهيمزي الرشيدي، عمل في السلك القضائي، وتدرّج في مناصبه حتى تولّى منصب الأمين العام في محكمة المدينة المنورة، حاصل على درجة الدكتوراه في الإدارة، وعمل محاضرًا في جامعة تبوك – **فرع الوجه** . ، له عدد من البحوث العلمية في مجالات الإدارة والقضاء، منها:

-سيرة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب.

-إصلاح ذات البين وأثرها في حفظ الأسرة.

ومن المؤلفات :

-الخبر الرشيد عن تاريخ بني رشيد.

. إضاءات تاريخية لجانب من حياة بني رشيد القيسية.



سعد بن سليمان الفديمي

جمال الجاسر

العميد المتقاعد جمال بن صالح بن خالد الجاسر الراجحي الرشيدي، أحد ضباط وزارة الدفاع الكويتية، ومن المهتمين بتاريخ القبائل العربية، وتوثيق أنسابها.

ألّف عام 2018م كتابه الموسوم «**الرشايدة بني عبس: التاريخ والأمجاد**»، الذي تناول فيه الانتماء العبسي لقبيلة الرشايدة، مستندًا إلى المصادر التاريخية، والأدلة المعتبرة، سعيًا إلى تأصيل الجذور التاريخية للقبيلة وإبراز هويتها العربية الأصيلة، وقد صدر الكتاب في طبعة فاخرة ذات إخراج راقٍ، واختار مؤلفه أن يتيحه مجانًا للقراء، إيمانًا منه بأهمية نشر المعرفة، وإتاحة المادة التاريخية للباحثين، والمهتمين دون مقابل، إسهامًا في إثراء المكتبة القبلية والعربية، ودعمًا للبحث العلمي في تاريخ قبيلة الرشايدة وتراثها.



جمال الجاسر مستعرضا كتابه في مجلس المؤلف.

مبارك الزبني

مبارك بن عايض بن عوض الزبني، وُلد عام 1378هـ الموافق 1958م، وتلقّى تعليمه الجامعي في **جامعة الملك عبدالعزيز بمدينة جدة**، وتخرّج عام 1409هـ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم الاجتماع، وله إسهامات في توثيق الموروث الشعبي، ولا سيما ما يتصل بالقصص والأمثال المتداولة، كما عُرف بحرصه على توضيح كثير من القصص الشعبية، وشرح معاني الأمثال ودلالاتها، وإبراز ما تحمله من قيم وتجارب اجتماعية، وذلك من خلال ما يقدمه عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مسهمًا في حفظ هذا الموروث ونقله إلى الأجيال بأسلوب واضح وميسر.

صدر له :

-شخصية وتشخيص.

-عجائب أخبار الرجال في الحلّ والترحال.



مبارك الزبني

سيّد الرشيدي

سيد أحمد عبيد أحمد (سيد الرشيدي) روائي، ومؤرخ، وباحث في تراث القبائل العربية، من مواليد 1967م محافظة قنا – نجع حمادي . **(بهجورة عبس)**، ويقيم في القاهرة، حاصل على ليسانس اللغات والترجمة من جامعة الأزهر.

يعمل معلمًا خبيرًا للغة الإنجليزية بالأزهر الشريف، ومتخصصًا في تعليم العربية للناطقين بغيرها، إلى جانب نشاطه الثقافي والأكاديمي، يشغل منصب رئيس مجلس إدارة دار **"رفوف"**

للنشر والترجمة، عضو في عدة كيانات ثقافية، منها: الجمعية التاريخية المصرية، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، رابطة أبولو الشعرية، ونادي أدب الجيزة، أبرز مؤلفات الأديب والمؤرخ سيد الرشيدي:

أولاً: الدراسات التاريخية والتراثية:

. قبيلة الرشايدة في مصر

. قبيلة الرشايدة.. شبهات وأباطيل والرد عليها

. الصحابة من عبس غطفان

. القبائل العربية في الصعيد

. قبيلة الرشايدة من الخليج إلى المحيط

. علمتني غزة

. حكايات من القبيلة

ثانياً: الروايات والمجموعات القصصية:

. عنترة بن شداد (سيف عبس)

. ثورة العميان (كف مصر)

. بلال بن رباح (صوت المدينة)

. أم سليم صانعة الرجال

. خالتي حميدة

. الشيخ حماد

. شارع بولاق

- زمن القرع
- صديق النخلة
- شاعر القبيلة
- ميراث رشدان (قصص)
- الناي يتحدث (قصص)
- صباح الآيس كريم (قصص)

ثالثاً: الدراسات الإسلامية والتربوية والاجتماعية:

- السيرة النبوية دروس وعبر
- القرآن نور يهذب النفوس
- هل تريد بيتاً في الجنة؟
- جواسيس في ثياب الإسلام
- من أجل راحتك النفسية
- سيكولوجية الطغاة
- بديع الزمان النورسي سيرة ومسيرة
- الرفيق قبل الطريق
- صلاة الملائكة على المؤمنين
- العروس المنتظرة
- الحصن الأخير وضبط الشارع
- قطوف من الحب والحياة

. علمتني سورة الفاتحة

رابعاً: الدواوين الشعرية:

. أنا غرس القبيلة (نبطي)

. عرب بوادي (نبطي)

. رسائل قلبي (فصحى)

. قطرات (فصحى)

. كان حلماً.



سيد الرشيدي

شعر المحاورة

شعر المحاورة ليس مجرد فن شعري، بل ميدان مواجهة حيّ، تتقابل فيه العقول قبل الألسن، ويتبارز فيه الشعراء وجهاً لوجه في سجالٍ سريع الإيقاع، حادّ الذكاء، يقوم هذا الفن على البديهة الحاضرة، والقدرة على الرد الفوري، واستحضار التاريخ، والأنساب، مع مخزون شعري واسع يمكّن الشاعر من التفوق وإحراج خصمه أو هزيمته في لحظته، ويُعدّ هذا الموروث من صميم ما أبدعته أو أشهرته قبيلة الرشايدة، التي صاغت ملامحه، ورسّخت قواعده في صورته المعروفة اليوم، فقد كانت **ساحة الرشايدة (ميدان الرشايدة)**في الكويت، منذ عام 1287هـ (1870م)، منبراً حيّاً لهذا الفن، وميداناً تتعالى فيه الأصوات الشعرية، وتُصقل فيه المواهب، حتى غدت مدرسة قائمة بذاتها في شعر المحاورة، ومن تلك الساحة بزغ نجم الشاعر **صقر النصافي الرشيدي**، أحد أبرز أعلام هذا اللون، ممن أسهموا في ترسيخ حضوره وإعلاء شأنه، ولم تكن الساحة مجرد مكان، بل كانت منصة إعلامية وثقافية سبقت زمانها، حتى جاء لاحقاً إنشاء **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** على موقعها، شاهداً على عمق هذا الإرث وأثره الممتد، هكذا ظل شعر المحاورة إرثاً حيّاً، حملت لواءه قبيلة الرشايدة، وأهدته للذاكرة العربية فناً نابضاً بالمواجهة، والفكر، والدهاء، وكان من أعلام تلك الساحة، وفحولها الذين ذاع صيتهم، سبع الملاعب الشاعر **سليمان بن شريم**، الذي حضر إلى ميدان المحاورة حيث احتشد الشعراء، يتقدمهم الشاعر صقر النصافي، فقال:

أنا شاعر وبيدي بندق وين القطاه اللي تباري

فقال الحاضرون : رد عليه يا صقر.

فرد صقر عليهم وهو يبتسم : **أنا ما بي قطاه**.



صقر النصافي الرشيدي

شعراء القبيلة

ذكرنا فيما سبق أن الشعر لسان المجتمع، وطنًا كان أم قبيلةً أم جماعةً بشرية، وأن له أثرًا جليًّا على مرّ العصور، وفي مختلف البيئات، والأعراق البشرية، على اختلاف لغاتها، ولهجاتها، غير أن للشعر ميزته، وحيويته، وشاعريته بلغة البيان والعلم، لغتنا العربية أمُّ اللغات وأصلها، ولغة البشر في أصل نشأتهم قبل أن تتعدد الألسن وتتفرع اللغات وتتباين اللهجات، بحسب ما اقتضته السنن الإلهية في مسيرة البشرية، وتفرقها في الأرض، وللشعر العربي مكانة خاصة في حياة العرب، فهو ديوانهم، ولسان أحوالهم، وسجل أيامهم ومآثرهم، وحافظ أخبار رجالهم ومواقفهم، وقد تجاوز الشعر عندهم حدود القول والمنظوم إلى أن أصبح وسيلةً للتعبير والإصلاح، واستنهاض الهمم، وإغاثة الملهوف، وفضّ كثير من القضايا، والمنازعات الاجتماعية، وقبيلة الرشايدة من القبائل التي عُرفت بالشعر، وفحول شعرائها، حتى عُدَّ شعراؤها في طليعة فحول الشعراء، وكان لهم حضورهم، ورونقهم، ومكانتهم في ساحة الشعر النبطي، وتوارثت أجيالها الشعر جيلًا بعد جيل، فكان حاضرًا في مختلف شؤون حياتها، يسجل أحداثها، ويحفظ مآثر رجالها، ويعبّر عن أفراحها، وأتراحها، ويقف مع أبنائها في مواقف الشدة والرخاء، ولم يكن هذا الحضور الشعري مقصورًا على المدح، والفخر، والرثاء، بل كان للشعر دور في معالجة القضايا الاجتماعية، والسعي في الإصلاح، واستنفار النخوة والمروءة، ومن ذلك ما جرى في عام 1446هـ للسيد **جمعان الرشيدي**، فقد تكفّل أحد أصدقائه من **قبيلة سبيع** بمبلغ قدره مليون وسبعمائة ألف ريال سعودي، وأخرجه من السجن بذلك التكفّل، ثم مضت السنوات ولم يستطع السبيعي سداد المبلغ، فحُجزت أملاك جمعان، وضاقت عليه الحال، حتى أصبح لا يكاد يجد قوت يومه له ولعائلته، وصبر على ذلك سنوات، حتى علم بنو عمومته بحاله، فاجتمعوا وتشاوروا في أمره، وكان قرارهم التوجه إلى منزل **الشاعر زامل السبيعي**، لما عُرف عنه من دماثة الأخلاق، وطيب السيرة، والمروءة، ومكانة الكلمة عند قومه، وكان في مقدمتهم **الشاعر معيبد المضيبري الرشيدي**، الذي حمل قضية جمعان، وجاء إلى زامل بلغة الشعر التي طالما كانت لسان العرب في الملمات والمواقف، فقال في ديوان زامل:

سلام ياللي له قطعنا المسافات
يا شامخٍ يذري عن الضيم جاله

يا ابن الحميدي يا زبون المهمات
يا فزعة اللي ضيّق الوقت باله

يا ابن الرجال محققين البطولات
يا منومس الغلبة، أعزاز السلالة

سبيع مروين السيوف الصقيلات
من دم عيال عنيفٍ قتاله

يوم القبايل بين صولة وجولات
والظلم حاكم والشريعة جهاله

هم أهل الرده نهار الثارات
وملجا الدخيل وستر زاهي دلاله

وليا ثنوا قدم الجموع الغفيرات
حرابهم فال المقاريد فاله

أما تعشّى به سباع مجيعات
ولا رجع يشكي عناه ونكاله

ربعك يا زامل مجدهم حيّ ما مات
ولهم صعيبات الدعاوي سهاله

ورثت منهم عزمهم في الملمات
وقدّامهم لصادقّت كل قاله

جينا وكل اللي نبي منك بالذات
من عبس للسبعان ودّ الرسالة

بلّغ عيال سبيع عوق المغيرات
اللي جنوب الدار واللي شماله

واليَ درو بالعلم ما من كلافات
ولا لك على ذرية آدم وكالة

وصلهم علمٍ شرحته في الأبيات
عن وضع رجلٍ همّنا ما جراله

جمعان عبسي عزومه قويات
متورث في الطيب عمّه وخاله

خاوى سبيعي عموقه عربيات
وفي كل مورد الطيب تارد حباله

خوّة وفا دامت سنينٍ طويلات
وبنيت على عز ومعزّة وصاله

لكن يا زامل للأيام دورات
والوقت تعرف ميلته واعتداله

لحق السبيعي من عنى الوقت ميلات
لين اختله غدر الليالي ختاله

ثم حمّله دينٍ ثقل ضلع أبانات
كسر عظام عضاه واغتال أماله

ويوم انها ضاقت جميع المجالات
ثم أصبحت كل الطرايق محاله

اختصّ جمعان الرشيدي بنخوات
هقواه طيبه وزهمه باتصاله

عنّزعليه وفي إيديه كلبشات
نخاه في سجنٍ توثّق أقفاله

وجمعان ما قابل رفيقه بصدّات
وفا بحق المعرفة والزمالة

قال: أبشر وتامر، ولكن هيهات
مثلك تعرفه زين وتعرف حاله

والله يا لولي هي في رصيده حسابات
يا السجن ما تجلس بفيّة ظلاله

وقال السبيعي: ما لحق فيك شكات
وحنا ما نبغى غير محضر كفالة

والليا طلعت من السجون الكريبات
أدرك سدّ الدين كاشٍ وحواله

وجمعان وقّع له بعشر البصمات
ولولا الشهامة قال: مالي وماله

كفالة ماله وراها طماعات

اشتاله لله جلّ جلاله

مليون وسبعمية له شهود وإثبات
مقيّدة بإسناد وبكمبياله

ويوم حزّات الوفا حتونه جات
وراعي الحلال أصبح يدور حلاله

والليا محاصيل السبيعي قليلات
يبي الوفا مير الزمن ما وفى له

يابي الوفا لكن أيدينا خليات
اللي حداها العسر ما هو بطاله

وأصبح على جمعان دفع الغرامات
إلزام في حكم القضاء والعدالة

ومن قيد اسمه في إيقاف الخدمات
غير التعاسة والشقا وش بقى له

ومن يومها لليوم سبعة سنوات
ما طقّ باب ولا رفيق شكاله

ما ضيّق أصحابه ولا سرّ شمّات
لين أصبحوا مثل اليتامى عياله

ودامه يدور في رفيقه جمالات
من عندنا ماله يكود الجماله

شلناه عن ضيم الظروف الصعيبات
وعن المهونة حاشمن سباله

لكن سبع سنين ما بعدها سكات
أبطى فرجها لين صارت طواله

ولو كان حصل من وراها هلالات
وكان مالٍ زاد به رأس ماله

والله لندفعها بليا مراوات
ونشيل عنه دقاقها والجلاله

لكنها من باب نخوة وفزعات
دعت له الشيمة وصارت عباله

وحتى لو نخلص جميع الطلبات
ونخلي الموضوع تركت كلاله

نخاف يلحقنا من سبيع شرهات
والشان ما يبدي به إلا رجاله

لا شك ما فيها جدال ونقاشات
الحمل حمل سبيع وأنتم جماله

وجمعان له بيضا بروس المنيفات
عقلكم نفسه وفكّوا عقاله

ورقابنا باللي تبونه سديدات
قولوا وما قلتوا علينا احتماله.

كانت الأبيات تشرح حال صاحبها، وتوثّق قصته بما فيها من أحداث وتفاصيل، حتى غدت قصيدةً تختصر حكايةً كاملة، ولعل أبلغ ما قيل في أثرها ما وصفها به الشاعر زامل السبيعي حين قال: «**هذه خطبة جمعة**»؛ في إشارة إلى ما حملته الأبيات من قوة المعنى، وصدق التأثير، وحسن مخاطبة النفوس، ولم تمضِ سوى بضعة أيام حتى قُضي الدين من أبناء السبعان، فكان للشعر أثرٌ مباشر في جمع الكلمة، واستنهاض المروءة، وقضاء الحاجة.

ومن هنا تتجلّى قيمة الشعر في المجتمع العربي؛ فهو ليس مجرد أبيات تُقال وتُحفظ، بل قد يكون كلمةً تفتح بابًا مغلقًا، وموقفًا يجمع الرجال، وصوتًا يستنهض مكارم الأخلاق، ووسيلةً تحفظ كرامة إنسان، وتعيد إليه حقه، وتزداد قوة الشعر حين تصدر الكلمة من شاعرٍ يملك القدرة على تصوير الواقع، ومخاطبة القلوب، وتحريك ما استقر في النفوس من قيم الشهامة، والنخوة، والوفاء.

ومن **شعراء الرشايدة**، اخترنا في هذا الكتاب رموزًا من الشعراء، ونماذج من نتاجهم، دون انتقاص من قدر سائر الشعراء أو التقليل من مكانتهم؛ وإنما جاء الاختيار وفق ما اقتضته مادة الكتاب ومساحته، وما رأيناه من نماذج تجسّد جوانب مختلفة من تجربة الشعر عند الرشايدة، وتكشف عن حضوره في حياتهم، وتاريخهم، ومجتمعهم.

محمد القريبي

محمد القريبي الرشيدي (ملك الرفيحي)، والرفيحي يوازن المحاورة عند أهل نجد، إلا أن الرفيحي له لون ووزن وأداء مختف إضافة إلى استخدام الطبل **(الطار)**، اختص فيه أهل شمال الحجاز، وساد الشاعر محمد القريبي هذا الفن، وأطلق عليه ملك الرفيحي، وله سجالات شعرية على مختلف القنوات الخاصة والعامة حاليا، يقول الشاعر محمد القريبي :

بارك الله بالرجال اللي يسدون اللزوم والله اني عارف اللي يعرفون السلوم

ان بغيتونا دفاع وان بغيتونا هجـوم علم اللي يضرب الأرض لا يكسر عصاه.



ملك الرفيحي الشاعر محمد القريبي الرشيدي

رشيد بن معد

رشيد بن معدي القلادي، شاعر من كبراء شعراء الرشايدة، كما له وزنه لديهم واحترامه، شاعر صدوق اللسان، يعد رشيد بن معدي سيدا من سادات شعر المحاورة، ومن أبياته :

أبكتب التاريخ باحروف وسطور ... بابيات شاعر ماتغير لحونه

تاريخ لأهل المجد والفعل والشور ... بني رشيد ورايهم يجمعونه

ليا كتسى وادي من الوسم ممطور ... أحفاد عبس بطرشهم ينزلونه

بوضحٍ وملح دونهن خيل وسبور ... واللي يحاول كسبهن يدبونه

وشعلٍ وحمر وصفر تقهر بمقهور ... وشقحٍ عليهن وسمهم ياسمونه

كفه على أيمن فخذ حلقه ومجرور ... يعرف بها العبسي وتعرف ضعونه

ليا شافها الغازي توقف على الفور ... بين الطمع والخوف تكثر ضنونه

يدري وراها موت والموت محذور ... وباب السلامة عبس ما يفتحونه

البل لها تاريخ وأدوار وعصور ... تاريخها الفريس ما يجهلونه

من دونها طابور يفتك بطابور ... قبل البلاد ملوكنا يوحدونه

واليوم حنا بأمن وفراح وسرور ... أمن البلاد ملوكنا يحرسونه

واللي عطاه الله من مد ميسور ... يشري فحلها لايتغالى ثمونه

وليا بدت حاجه فلاهو بمعسور ... يبيع في مليون بنت اللبونه

البل ذكرها الله وهو خير مذكور ... في محكم التنزيل خلقه يصونه

سفن الصحاري تصبر شهور وشهور ... على الظما والجوع فيها خشونه

من خلقت الدنيا لها وصف مأثور أوصافها وألوانها يذكرونه
وضحٍ وصا يفهن مثل شعت النور ومن الوبر لون القطن يقطفونه
وبعيرهن مزيون بالزين مغمور أوضح سناد ونابياتٍ متونه
وملحٍ وصايفهن كما الغيم مأمور خيل على حره وساقت مزونه
وبعيرهن بطنه كما قوس باكور أملح سها وياً كما الكحل لونه
وشعلٍ كما الصوان الأشعل لهن طور من شعلة الصوان فيهن نمونه
وبعيرهن وصفه جنيه ومصرور أشعل ووصف الجمر داخل عيونه
وصفرٍ وصف حمسه على غير دافور حماسها ذربٍ طـوالٍ ردونـه
وبعيرهن في وجهه الزين منشور أهـل المزاين كلهم يمدحونه
وحمرٍ وشقح طوال ذرعان وظهور الزين فيهن والبها تاجدونه
زجرة فحلهن كنها دنة نجور ومن السطر تسمع تضارس سنونه
وليا أعترض وصفه كما وصف بابور ليا شافه الوبال هيض شجونه
يأهل المزاين ياشغاميم وصقور بالله علام الجيش ما تزاينونه
وأنتم هل الطولات ما فيكم قصور واجبكم ارث أجدادكم تكرمونه
ورث الفخر والمجد وأبليس مدحور اللي ليا طال المدى تمتطونه
عبدالعزيز الفيصلي ركب بالكور والهجن سجه لين يبست شنونه
يواصل الغاره بغاره ومنصور فوق النضاء والحرب ترقص جنونه
ويوم القبايل بين ناحر ومنحور والجيش بأصله والعدد يحفظونه
شعب الجزيره يحفظ الجيش بفخور وعلى الأصايل وصلوا اللي يبونه
وبعيرنا ريمان بالأصل مشهور الباديه والحاضره يعرفونه
يلحق كراديس السبايا بلاجور وليا أنتحى أهل الخيل مايلحقونه

وخلف لنا ريمات كاصيد مذعور بنات أصيلٍ بالمهر يمهرونه
راعيه شغمومٍ محنك ومسطور كم شيخ قومٍ واجه الموت دونه
قبل الصباح وقبل مالبندق تثور خوفٍ عليه من الرمي يبعدونه
مخصص له فارسٍ ذرب ممرور فريدسياً بندقه ما تخونه
وليا أعترض صابور في وجه صابور فرادسه يوم اللقى يحتمونه
وريمان رقم أثنين بالأصل مخبور بريمان الأول بالعدد يركزونه
أبعير أبو سته ومدهاله القور أصيل وأصل الجيش له ينسبونه
ينزل من الإكليل لفياض عثمور والراس الابيض مرتعه في ركونه
من طيب ساسه دونه الدم منثور عوامره بسيوفهم يمنونه
ريمان لبن غنيم ما فيه منكور بريمان الأول بالعدد يثبتونه
أصيل وكواعه بعيده عن الزور ما تلحقه بالجري كل امعنونه
الفضل لله ثم راعيه مشكور قال الجمل عن عبس لا تمنعونه
وخلال عقد انتاج ريمان مكثور ريمان ابن ريمان وصفه ولونه
انتاج حرٍ بأصله الجيش معمور بني رشيد بجيشهم يملكونه
كتبت عن ماضي وحاضر ومنضور وهرج الصحيح الناس ما ينكرونه
وكل القبايل تمتلك مجد موفور طيب وشهامه والثناء يكسبونه.



رشيد بن معدي القلادي

عيد بن مربح

عيد بن عوض بن مربح بن حمد القلادي ولد عام 1367 هـ - 1948م، يعد من كبار شعراء المملكة العربية السعودية، وسيد من سادات فن المحاورة، علم من أعلام القبيلة ومصدر فخر لها، كان رحمة الله يكن محبة عظيمة لقبيلته، وله الكثير من الأبيات المتداولة بين الناس، توفي عام 1439هـ - 2018م.

ياعـلاوي نجد علّك مراديم السحاب ديرةٍ فيها تربيت يوم اني صغير

ياطبيب النفس وشو علاج الأكتئاب أعطني وصفة علاجه ترى وضعي خطير

عشت في غربة حقايق وفي وضع اغتراب والتجارب عرفتني على الشي الكثير
شفت ناسٍ ترسم الورده على صدر الغراب والغراب أليا بغيت ألمس الورده يطير
أستفدت من الذيابه ومن نبح الكلاب وأستفدت من الرغا وأستفدت من الهدير
ولاكسبت إلا معرفة عزيزين الجناب ولاخسرت إلا معرفة عديمين الضمير
أقترب لامقترب يا شين بعض الأقتراب أبتعد لامبتعد شيئ في حقي كبير
ياسؤالي كل ماطرحك ما ألقالك جواب مالي إلا الصبر وأهل الصبر توعد بخير
وصف خلان الرخا مثل ضحضاح السراب يفرح العطشان شوفه يحسب انه غدير
الردي لو هو ولد عم لاتحسب له حساب كم عزيزٍ ذله الوقت بضيافة حقير
الدروس أنواع تطبيق والا انتساب بس أنا اللي طبق الدرس قدام المدير
يا غريب ان مت شلني اليا هك الهضاب حط قبري بين عنتر وابن عمه زهير
حطني في مقبرة عبس مروين الحراب حطني بأعلى علم عبس مروين الشطير
وان عسرك الوقت نطلع ونرجع للتراب ويارث الأرواح الإله الأول والأخير
اول الدنيا طرب وأوسط الدنيا عذاب وأخرتها الموت والقبر وحسابٍ عسير
ياجزيل الملك ياكافل رزق النياب إلهي من عذابك برحمتك أستجير.



عيد بن مربح والمؤلف 1426هـ

عوض بن خيران

يُعد **عوض بن خيران العازمي الرشيدي** أحد أبرز شعراء قبيلة الرشايدة، ومن فحول الشعر النبطي في الجزيرة العربية خلال العصر الحديث، عُرف بجزالة لفظه، وقوة سبكه، وتمكنه من بناء القصيدة، حتى أصبح اسمه حاضرًا في المحافل الشعرية والمناسبات القبلية، ونال تقدير جمهور الشعر داخل الجزيرة العربية وخارجها، ويمثل ابن خيران مدرسة شعرية محافظة، تجمع بين أصالة الموروث البدوي وجمال الصياغة، ولذلك بقي شعره متداولًا بين الرواة والمهتمين بالأدب الشعبي.

ومن جميل ما قال:

إن كبتت عندي ودقت ودقيت
يحرم علي إلا أخذ الصاع وافي

مثل الرجال وقدها ما تخفيت
وأقول كلمة حق بيّن وخافي

والشعر يشهد لي اليا أقبلت واقفيت
ولا طاحت السمعه ولا طاح قافي

واليا فقدت من الجزاله ولو بيت
مثل السنافي لا فقد له سنافي

واسمي مسجل مع هل الشعر والصيت
اسمي واسم مرشد وصقر النصافي

ونعمه من الله لا مرضت وتعافيت
العبد ماهو كل يوم متعافي.

ويُذكر أن بداياته الشعرية كانت بتشجيعٍ من **الشاعر علي بن ساكر الرشيدي**، أحد أبرز شعراء قبيلة الرشايدة، والذي عُرف بجزالة شعره، وإتقانه، وعلو كعبه في الشعر الصعب، وقد

استشهد له ببيتين من الشعر، كان لهما أثرٌ في تحفيزه على مواصلة طريقه الأدبي، حيث قال علي بن ساكر:

عديت لي في راس علطا علوطه

عمردن كأنه من الجص مبلوط مرقاب

ما نول المولع يهوطه

متعين كأنه من الجو مشفوط.

يقول ابن خيران:

ياالله حسن الخاتمه بالنهاية وياالله بالتوبة ياالله بالأفراج

وياالله بحظ ولا تخيب رجايا افتح لي الخزنة لصرت محتاج

وادمح خطايا المذنبين و خطايا وأعني على قل الدراهم والإحراج

والفقر ما هو مضعفٍ مستوايا أضفي عليه حِجاج وأرفع له حِجاج

وين الرجال اللي رست في البداية راحوا هوا بين الهبايب والأمواج

وبيتٍ أبي أقوله وفيه الكفايه بيتٍ لابن باتل وطيب ما يحتاج

صحيح أخير من العلاج الوقاية مير البلا لا وقايه ولا علاج.



عوض بن خيران

البحر الميت

الشاعر عبدالله بن باتل القلادي الرشيدي، أحد أبرز شعراء قبيلة الرشايدة في العصر الحديث، ومن الأسماء التي تركت أثرًا واضحًا في مسيرة الشعر النبطي بجزالة لفظها، وقوة معانيها، وإحكام بنائها، امتاز شعره بمتانة السبك، وصدق العاطفة، وعمق الفكرة، حتى أصبحت قصائده ميدانًا يتجلى فيه تمكنه من ناصية الشعر، وقدرته الفائقة على تطويع المفردة، وبناء الصورة الشعرية المحكمة، وصياغة المعاني في قالب يجمع بين الفخامة والجزالة، وتقديرًا لهذه المكانة الشعرية، أطلق عليه **صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سعود** لقب «**البحر الميت**»، وهو لقب يحمل دلالةً على عمق تجربته الشعرية، وقوة نظمه، ورسوخ أسلوبه، إذ كانت قصائده زاخرة بالحكمة، مشحونة بالصور البليغة، تمتاز بجزالة اللفظ، وقوة التركيب، وتماسك البناء، حتى غدا من الشعراء الذين يُحتج بشعرهم، وتُستشهد قصائدهم في المحافل الأدبية، ويُنظر إليهم بوصفهم من أعلام الشعر النبطي في الجزيرة العربية، توفي – **رحمه الله** – في عام 1444هـ الموافق 2022م.

ومن نظمه:

أمسيت كني طايرٍ بات مقضوب — وقت الغروب الله من الجو جابه

في صحصحٍ خالي وفي طرّف أهضوب — شاف العشاء يلمح وجوعه رمابه

ولحظةٍ عرف نفسه بجربوعٍ منكوب — صادت مخاليبه اسلوكٍ تشابه

وكفخ بعد ما أصبح على الأمر مغلوب — يوم أقبل الشباك تلفح أثيابه

وده يموت أو يدخل الأرض ويذوب — عينٍ بالأرض وعينٍ تبغا السحابه

أو ذيبٍ أرقب سمع له حنّة ازهوب — ويديه زلت فيه من راس لابه

طاح وتعور وانكسر فيه عرقوب — يبي الضلال وطاح وسط الشطابه

ما عاد له رجعة، ولا نزلة، ولا دروب — سمع الحساس وشاف ظل الذيابه

من شي لونه مقدرٍ ومكتوب في حالٍ لا والله لا مرحبا به
هذي هي البلوى، وهذا هو النوب وهذا الذي ما كنت حاسب حسابه
راح بخبر كان وهو فيه عذروب بين النظام وبين كيد العصابه
لكن إليا فكرت ماهو بمغصوب خلّه عسى ما يثور حضرت جنابه
أما يدل الدرب بعدين ويتوب ويسد عن ريح الغرابيل بابه
أو ياخذ ألف حساب ويصير محسوب.

وله أيضا:

مستقبلي يرقص على طبل عفريت
أمشي على جمر الغضا رايحٍ له
جحدت لكن تالي الوقت قرّيت
إن الدراهم عزّ والقلّ ذلّه.

كذلك له:

بعض العرب ما ينعطى وجه بالحيل وليا عطيته وجه صار لك علّة
وبعض العرب ماله سنع، لكنه حليل بالضبط كانك لا تمعنت ظلّه
وبعض العرب شقرا، وشقرا مع الخيل ما ينفعك لولا الرموش المظلّة
وبعض العرب لا يعجبك ثرثرة ليل وباكر ترى ما قال لك شيٍ لِلّه
وبعض العرب مرسال، مادري مريسيل يساير العالم وهو حاصل له
وبعض العرب يصلخ وينفخ، وهو ريل وفي زعمه أنه يفهم الكون كلّه
وبعض العرب ما غير بندق ودربيل ومنين ما هبّ الهوا جايز له
وبعض العرب يطلع كما طلعة سهيل ويغيب نجمه قبل دربه تدلّه
وبعض العرب يوذيك بالقال والقيل تجلس معه ساعة، ولا أخرى تملّه

نذل وخسيس يفصل الهرج تفصيل ولیا لقی له طیب یستغلّه
وبعض العرب منظر وكشخة وتحليل شبحٍ بحال، وحاله أخرى كَزْلَه
لا شفت زوله من خيار الرجاجيل ولیا عرفته ما تجيه بمحله
وبعض العرب ماضيه ليلٍ على ليل كذ بصموه وصوروه الأدلّة
وبعض العرب لا والله إلا تهاويل مهما عقدت الحبل لازم يحلّه
كذ دربوه ولكعوه الرجاجيل من قبل لا يصير الحدث جاهز له
وكانك شجاع صحيح حارب إسرائيل قبل اليهود القدس لا تستحلّه
وكلّش يهون إلا الثلاث الغرابيل

وآخرا:

صحيحٍ خيرٌ من العلاج الوقاية مير المصيبة لا وقاية ولا علاج
لا تنصحوني، كلٍ أبخص برايه وقت النصايح فات، واليوم محتاج
ما بالنصايح فود عقب النهاية عقب النهاية ما بها غير الإحراج
وبعض الوسايل ما توصلك غاية والصبر يقضي نوبٍ من قلّة الإفراج
ودرب الضلالة غير درب الهداية ولكل مخلوقٍ بدنياه منهاج
ولا كل رامٍ يجيد الرماية ولا كل عدٍّ ناردهِ مثل هدّاج
والناس، بعض الناس، مثل الراية يضحك بوجهك، وإن مشى منك هرّاج
يبحث خفاك، وعنك ينشر دعايه ويجني عليك بصحبته همٍّ وإزعاج

وأنا عسى المعبود يجبر عزايه ويشفيك يا جرحٍ ورى ضامري لاج

من بعد ما طال العنا والشقايه وتهت ببحر همّي وصارعت الأمواج

ويخضر يباس أرضي ويصفى سمايه وتنام عينٍ ما اهتنت بالتمهلاج.



عبدالله بن باتل (البحر الميت)

مساعد ربيع

ختام الكتاب مع زعيم الشعر، **مساعد بن ربيع الخياري،** رحمه الله، أحد أعلام الشعر وفرسانه، وشاعر إذا ذُكر اسمه في ميدان الشعر كان في مقدمة الصفوف؛ فحيثما وُضع اسمه كان **مبتدأً للقول، وعنوانًا للتميّز، وموضعًا للاستشهاد،** وُلد عام 1382هـ الموافق 1962م، وعُرف بلقب شاعر الخيال، لما امتاز به شعره من سعة التصوير، وعمق الخيال، والقدرة على بناء الصورة الشعرية بأسلوب يأسر السامع والقارئ، كما عُرف بقدرته الفريدة على طرق أبواب الوصف الصعب، والتعبير عن المعاني التي يعجز كثير من الشعراء عن بلوغها، ولم يكن شعر مساعد قائمًا على التقليد أو محاكاة الآخرين، بل كان له فرائده ونظمه الخاص وبصمته التي تميّزه؛ فإذا قال عُرف قوله، وإذا وصف أدهش بوصفه، وإذا طرق معنىً صعبًا جاء به في صورةٍ محكمة لا تشبه سواها، وقد ترك رحمه الله شعرًا يحمل شخصيته، ويكشف عن شاعرٍ واسع الخيال، دقيق الملاحظة، متمكنٍ من أدواته، قادرٍ على تحويل المشهد والمعنى إلى صورة شعرية نابضة بالحياة، ومن جميل قوله في وصفه وتصويره، يقول:

لا تسمّع باهتين الذوق شعرك وأنت شعرك من عروق البرق راضع

ولا تواضع للوضيع يضيع قدرك منت مجبورٍ على بعض التواضع.

له العديد من الكلمات المغناة منها:

-إنتي نسيتي (محمد عبده)

-ذكرى جراح (عبدالمجيد عبدالله)

-حزين من الشتا (أحلام)

-وضح النوايا (حبيب الدويلة)

صدر له ثلاثة دواوين:

-سيف العشق.

-حبات رمان على ثلج.

-مراهيش. (ديوان صوتي)

قصائدة :

وضح النوايا

ادخل على الله واسلم الامر تسليم واستغفرة واستذكرة واستميحة

وضح النوايا والمساري مجاهيم والحلم غالي والليالي شحيحة

سادت مفاهيم وبادت مفاهيم ويح الزمن يابنت الاجواد ويحة

خلي علوم أمسسين المرازيم واخذي علوم مصمصمين القريحة

حنا طنايا عبس يامذير الريم حنا مقابيس الوغى ياملیحة

حنا سلايل قاسم الخيل ودليم وزعتنا يوم المكايد رجيحة

بدو حفايا مانصفتنا المقاسيم وبصدورنا عز تطارخ فحيحة

نرعى رفيف البرق في ساقة الغيم ومن يستبيح حدودنا مانبيحة

ولايا ترع في هرجتة دفش وبهيم خطو الهبود اللي تكابر فطيحة

عن ساقط الهرجة نطق الملاطيم ومن طاح فيها مارحمنا مطيحة

نكبر عن الطفسة ونجزع من الضيم ونموت ما ناطا شليل الفضيحة

نزوم زومات الرجال المحاشيم ونهد هدات النور الجريحة

ربع على در المنايا مفاطيم من هازنا زاغت عجوزة تصيحة

اليا تغشلينا عسير الشغاميم لومك على اللي مايبرهن مديحة

وان لولشن محشمات الملاثيم والموت حثرب بالحناجر ضبيحة

جينا من اقصانا سحايب مراديم كل يذكي حروتة عن نطيحة
يازين دح قفوشنا لة ترانيم والعج واقف والفعايل صريحة
كان المنايا سوقها مابعد سيم والخوف برك بالقلوب الكسيحة
حنا زباينها على الملازيم علما يقرية النصيح لنصيحة
واللي بنى بيتة نبية ابراهيم انا طريق المستميت لضريحة
بني رشيد ان عتم الجو الجو تعتيم ماللردى فينا ملامح وليحة
أجسر من الرعاد واكرم من الديم سمر الجباة اهل الوجية الفليحة
خوينا نقرية عزة وتحشيم دخيلنا دونة عن الموت صيحة
يابنت ماحنا فقارا معاديم لوماسكنا القصور الفسيحة
تجار لوحاشت يدينا ملاليم ومن الغناة قلوبنا مستريحة
مانستضيق ليالفونا معازيم لضيف لونذبح حدينا ذبيحة
دايم ايدينا للعطايا مواليم لي خانت الفزعة وجية كليحة
طال القريض ومقبل الود ومقيم والبال عيا طارقة لايريحة
اقولها وابصم على القول تبصيم والعلم بين زايفة من صحيحة
ماهو قصور بالحرار الصماصيم كل بدرب العز قد هب ريحة
مدحي لربعي مايذم الاكاريم ولايستشك الا خبيث الشريحة
والحق واضح لرجال المفاهيم والحقد يخرث بنفوس القبيحة
والشر من جيت مع معزي وهو نيم واليوم وحدة والشريعة سميحة.

سيف العشق

كيف أطفي الريـح بثيابك وكيف اشعلك كيف اتنثر على جمرك وكيف احتويك
نقضت ليل الحرير وجيت ماانت ل هلك سمّيت باللي فتني بك وقلت ابتديك
هذا اول الدرب او هذا الطريق اولك جيت آتوقّا عذابات المدى واهتديك
شوقي مسافة وهمساتك مدار وفلك ان ماظميتك غلى ياعلني ماارتويك
إية اعرفك واعرف اني من غلاك اجهلك مرات اضمّك واخاف اني مشبة عليك
مرات اشوفك بنفس الوقت واتخيلك وانشد كفوفي عن اخر سالفة من يديك
أعنّ لك لو تصّب الموت ...واتهيّلك وأجوع لك وآتمنى خنجرك واشتهيك
ماقلت لك عمر سيف العشق مايقتلك ماتشوفني حي قدامك وانا اموت فيك
اشتقت لك قبل اجيك وجيت واشتقت لك البارحة طول ليلي بين هذي ..وذيك
مليت جمر انتظارك واستحيت أسألك واحسبتني ما بعد جيتك وفكرت اجيك
اثرك بقلبي من البارح وانا استعجلك واثري نسيتك من الفرحة وقمت احتريك.

وكان ختام قصائده رحمه الله في النائب فراج العربيد :

من مواكير الزعامة لجمهور القصيد الرجاء ربط احزمتكم ولفت الانتباه
الرشيدي دله الله على الرأي الرشيد يوم ما فالح خايب الرأي والله ماهداه
يا سلام الله سلامن مطالبته بعيد يا عريبين المجاني رفيعين الجباه
عدد ماهبت نسايم ومااميل جريد وعد ما ناحت حمامة وما غنت قطاه
وعد ما فزت مشاعر على لمات عيد وعد ماكبر وهلل ونادى للصلاه

وعد ما طالبو ربوعي إليا عز العضيد وعد ماعديت شعري ورى النجم وسماه

يا مضارب عبس جينا نسمعك الفريد الفريد إليا جاك يغني عن سواه

قادحينه من صواني لها قلبن حديد عزها دايم امفلي ومفلاها نفاه

وخالطينه من عزاوي ومن سجات بيد ومبعيدنه عن ردي الضنون وعن سماه

وذاخرينه للمحميا ليا جار الضديد في نهارن ميت النار ما يروي ضماه

يا مطاليق الجماعة هل المجد التليد في ديار اخوان مريم امنزحت العداه

<u>بشرو عبس الفعايل بهداج الجديد</u> وعلمو هداج تيما يحسن مستواه

ذا زمن فراج بن زبن مزبان الطريد نادرن ريح ضميره وتعب من وراه

ان ثنى للحمل شاله ولا مهاب الوعيد وان سرى يسرى لحاله ولا يسرى معاه

وان خيط صدره بيده خذ العلم الوكيد من غلامن قال قولن ووقف واحتماه

قدها ياخو هيا من لها غيرك عقيد وانت عبسين عليها موصينك وصاه

يا حفيد الخيل والسيف والفعل المجيد وياسمي أموصل العلم لآخر منتهاه

هد يا العربيد يا فراج يالحر الفريد هدتك منها غنايم ولا منها تجاه

هدتك صبت وهجها بنبضات الوريد بعد ما ضاقت خواطر ومايبشت شفاه

كنها نيزك سماوي على صحراء جليد أو تقل شمسٍ تصاصي على قمة صفاه

زم عمرك للمعالي بعزمن ما يبيد خل مرقاب المعالي يذعذع بك هواه

ذا مكانك يا بيض الوجه والصيت الحميد <u>والله انه لايقن فيك مقدارن وجاه</u>

فارقن بالجود سهما وفارق بالرصيد من يمد الجزل شرواك لا شلت يداه

بك تفاخر لابة العز باليوم الشديد حي والله من رقى قمة الطيب وزهاه.



مساعد ربيع والمؤلف 1436هـ

يقول الشاعر ركان بن محمد :

عندما تلقيت خبر وفاة الشاعر مساعد بن ربيع رحمه الله عام 2017م، وعرضت صورته عبر قناة الشهامة، كتبت بيتي رثاء فيه :

يا قناة الشهامة وش يفيد القصيد بعد ما راح دستور الشعر والكلام

أحسن الله عزاكم في وفاة العميد وأحسن الله عزانا ف البيوت الحسام.

فراج العربيد رسالة شكر ووفاء

عبر التاريخ

إننا، معشر المؤرخين، ولا سيما مؤرخي القبائل، نحمل على عواتقنا أمانةً عظيمة، ونبذل في سبيلها جهدًا لا يدرك حقيقته إلا صحيح العقل، سليم الفهم، ذو المروءة، كريم النفس والروح، فالتاريخ ليس صفحاتٍ تُجمع وتلصق، ولا رواياتٍ تُنقل فحسب، بل هو ذاكرة الجماعة، وسجلّ مآثرها، ودليل مسيرتها عبر الزمن، ومن أدرك هذه الأمانة، علم أن حفظ تاريخ القبيلة وتوثيق أخبار رجالها وأحداثها يتطلب وقتًا طويلًا، وعنايةً متواصلة، وتضحيةً من المؤرخ بجهده، وماله، وراحته.

فكم من مؤرخٍ آثر خدمة قومه على مصالحه الخاصة، وشغل وقته في البحث والتدوين، وأنفق من ماله في سبيل جمع الروايات، والتحقق من الأخبار، وحفظ ما يخشى عليه من الضياع والنسيان، وربما ترك جانبًا من الكسب والتجارة، أو أرجأ شؤونًا من حياته، ليمنح أبناء قبيلته تاريخًا يليق بماضيهم، ويصون ذاكرتهم للأجيال القادمة، وليس من الإنصاف أن يُنظر إلى هذا الجهد على أنه أمرٌ يسير أو واجبٌ لا يستحق التقدير؛ فالمؤرخ الذي يهب من عمره وماله لخدمة قومه إنما يؤدي رسالةً تتجاوز ذاته، وتبقى آثارها بعد رحيله.

ولا أشك في أن أصحاب النفوس الكريمة، وأهل المروءة والبصيرة، يقدّرون هذا العمل حق قدره، ويدركون أن دعم المؤرخ وتشجيعه والوقوف إلى جانبه من وجوه الوفاء لأهل العطاء، فما قيمة قومٍ لا يقدّرون مؤرخيهم، ولا يحفظون لمن حفظ تاريخهم مكانته، ولا يرون في صون ذاكرتهم مسؤوليةً مشتركة؟ إن تقدير المؤرخ ليس تكريمًا لشخصه فحسب، بل هو تقديرٌ للتاريخ نفسه، واعترافٌ بأهمية حفظ الموروث، والهوية، والجهد الذي بُذل في سبيلهما.

ومن هذا المنطلق، ابتدأنا هذا الكتاب بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لكل من كان سببًا، بعد الله عز وجل، في المضي قدمًا في تأليفه، والاستمرار في تدوين مآثر **قبيلة الرشايدة**، والدفاع

عن تاريخها، وإبراز ما تزخر به من إرثٍ أصيل ورجالٍ تركوا بصماتهم في صفحات التاريخ، بما ينفع المجتمع ويثري المعرفة التاريخية عن القبيلة وأعلامها.

وكان **للسيد فراج بن زبن بن عربيد بن جلوي بن عربيد الخيل العامر الراجحي الرشيدي،** نائب مجلس الأمة الكويتي الأسبق، أثرٌ بالغ في دعم هذا المشروع، والوقوف إلى جانب مؤلفه، **الروائي عادل الرشيدي،** مؤرخ قبيلة الرشايدة، ومن أسرة **عربيد الخيل،** التي تمتد جذورها في أرض الطيب والمروءة، جاء هذا الموقف الذي يستحق الذكر والتقدير.

تعود قصة هذا الشكر إلى ظرفٍ عصيب مرّ به مؤلف الكتاب(2017م)، حين تعرّض منزله للبيع في المزاد العلني بسبب مشكلات مالية، بلغت قيمتها مئة وتسعين ألف دينار كويتي **(190,000 دينار كويتي)**، فكان ذلك حدثًا بلغ صداه أرجاء الجزيرة العربية، وألقى بظلاله على حياة المؤلف، ومشروعه التاريخي الذي كرّس له جهده، ووقته، وعلى إثر ذلك، وجّه المؤلف نداءً إلى أبناء قبيلته الرشايدة، طالبًا مدّ يد العون والمساندة في تلك المحنة، فما لبثت المبادرة أن وجدت استجابةً سريعة، وتحرّكت نخوة أبناء القبيلة خلال ثلاثة أيام، في مشهدٍ تجلّت فيه معاني التكاتف، والتآزر، والوقوف إلى جانب أبناء القبيلة في أوقات الشدة، وفي خضم تلك الظروف، كان للسيد فراج بن زبن العربيد موقفٌ بارز، إذ بادر إلى مدّ يد العون للمؤلف، وأسهم في سداد المبلغ المالي البالغ مئة وتسعين ألف دينار كويتي (190,000 دينار كويتي)، لحل المشكلة المالية التي واجهته، وإنقاذ منزله من تبعات البيع في المزاد العلني، وكان لهذا الموقف أثرٌ بالغ في نفس المؤلف، ودافعًا له على مواصلة مشروعه في جمع **تاريخ الرشايدة** وتدوينه، وحفظ مآثر رجالها وأعلامها للأجيال القادمة.

وإننا، ونحن ندوّن هذه الكلمات في كتاب **شيوخ الحجاز الرشايدة،** نرى أن الوفاء يقتضي حفظ الجميل، وأن المواقف الصادقة لا تُقاس بحجم العطاء وحده، بل بما تحمله من معانٍ إنسانية، وأخلاقية، وما تتركه من أثرٍ في حياة من شملتهم بالعون، والمساندة، فله منا خالص الشكر والتقدير، وجزيل العرفان والامتنان، على ما قدّمه من دعمٍ وموقفٍ كريم، سائلين الله عز وجل أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك له في عمره وعمله، وأن يجعل ما قدّمه في ميزان حسناته، وستبقى المواقف الكريمة شاهدًا على أصحابها، كما تبقى صفحات التاريخ أمانةً في أعناق من يدوّنونه.



العم **زبن بن عربيد العربيد**، وعن يمينه شقيقه العم **جلوي**، ثم **هداج عبس**، السيد فراج العربيد، في صورة تذكارية خلال حفل موروث قبيلة الرشايدة عام 1438هـ، الذي أقامه هداج عبس تعبيرًا عن كرمه ومحبته لقبيلة الرشايدة، وحرصًا على إحياء موروثها وتراثها الأصيل، ولم يقتصر الحفل على أبناء الرشايدة وحدهم، بل امتد ليشمل القبائل الأخرى، التي شاركت في هذا المحفل التراثي الكبير في جزيرة العرب، وقد تكفّل هداج عبس بمفرده بجميع تكاليف إقامة هذا الحفل الضخم، والتي بلغت نحو **نصف مليون دينار كويتي**، في صورة تجسّد ما أولاه من اهتمام بالموروث الشعبي، وما بذله من جهد ومال في سبيل جمع القبائل وإحياء تراثها.

قيلت في مواقف السيد فراج العربيد العديد من القصائد النبطية والعربية الفصحى، وتناقل الناس خبره، حتى غدا موقفه مضربًا للمثل في الكرم، وسرعة النجدة، ونبل المروءة، وقد اخترنا

من تلك القصائد هذه الأبيات الفصيحة، تخليدًا لموقفه، وتعبيرًا عن عظيم الشكر، والامتنان لما قدّمه من دعمٍ ومساندة، أسهمت في **تجاوز المحنة، واستمرار مسيرة التأليف والتدوين:**

ألا إنَّ ليالي الدهرِ غدّارةٌ تُداولُ بين الناسِ عسرًا وميسرا

فلا تأمنْ دنيا تُزيّنُ وجهَها فكم أضحكتْ قومًا وأبكتْ بهم دُهرا

وما المرءُ في هذي الحياةِ سوى امرئٍ تُـــقلّبه الأيامُ شرقًا ومَغْربا

يُشيّدُ من الآمالِ صرحًا لنفسِهِ فـــتأتي الليالي فتهدمُ ما بنى

وكم فارسٍ كانت له الأرضُ موطنًا أمــالتْهُ أحداثُ الزمانِ فأغثرا

وكم من كريمٍ ضاقَ عيشُهُ برهةً فأصبحَ بعد العسرِ بالعزِّ مُزهرا

ألا فاذكروا عادلًا إذ نذرَ القلمْ لــتراثِ قومٍ صانَهُ أن يُبدَّدا

سعى في دروبِ العلمِ لا يبتغي بها سـوى حفظِ تاريخٍ توارثَهُ الندى

يُدوّنُ مآثرَ قومِهِ ووقائعًا ويجمـعُ من أخبارِهم ما تفرّدا

فما كانَ قلمُهُ للمدحِ عابرًا ولـكنهُ للتاريـخِ كانَ مُشهدا

أقامَ من الحرفِ الحصينِ منارةً لتبقى حكايا الرشايدةِ في المدى

وأفنَى لياليهِ في البحثِ والنهى يُقابلُ صعبَ الدربِ صبرًا وتجلُّدا

فلما أتتْهُ من صروفِ زمانِهِ شدائدُ أضحتْ حولَ دارهِ تُوقدا

وأوشكَ بيتُ العيشِ أن يبتاعَهُ مـزادٌ، وضاقَ الأمرُ حتى تلبّدا

مئةٌ وتسعـونَ ألفًا من الدنانيرِ قد أحاطــتْ بهِ همًّا وأمرًا مُشدَّدا

هنالكَ هبّتْ من مواقفِ قـومِهِ يدٌ جـعلتْ وجهَ الملماتِ أسعدا

فكانَ هَدّاجُ عبسٍ في مقدّمِهم فراجُ العربيدِ الذي المجدُ قد شَهِدا

تقدّمَ لا يبغي لنفسِهِ شهرةً ولا يطلبُ الذكرَ الجميلَ تودُّدا

ولكنهُ رأى في الموقفِ واجبًا فلبّى نداءَ الخيرِ حتى تنفّذا

وحملَ عن الرشايدةِ الهمَّ كلَّهُ وسادَ الموقفَ، ثم أنجزَ ما عَدا

فيا فراجُ العربيدِ يا ابنَ مروءةٍ لكَ الثناءُ ما دامَ في الناسِ مُنشدا

حملتَ لواءَ النجدةِ حينَ تفرّقتْ سبلُ الرجالِ، وكنتَ للحقِّ مُسنِدا

وأبقيتَ للتاريخِ بابًا مفتّحًا ليواصلَ عادلٌ مسيرتَهُ غَدَا

فإن كانَ عادلٌ قد أقامَ بجهدِهِ صرحًا من التدوينِ، فأنتَ لهُ العَمَدا

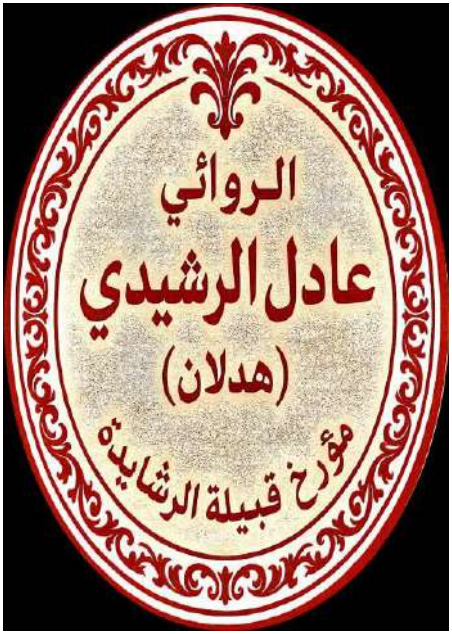
لهُ القلمُ الجاري، وللحقِّ شاهدٌ ولكَ موقفٌ في الشدائدِ قد بد

سيبقى على مرِّ السنينِ مواقفٌ تُروى، ويُذكرُ أهلُها حينَ تُبتغى

فشكرًا لفراجٍ، ما تعاقبَ ليلُنا وما خطَّ مؤرخٌ على الدهرِ ما بَقِيَا.

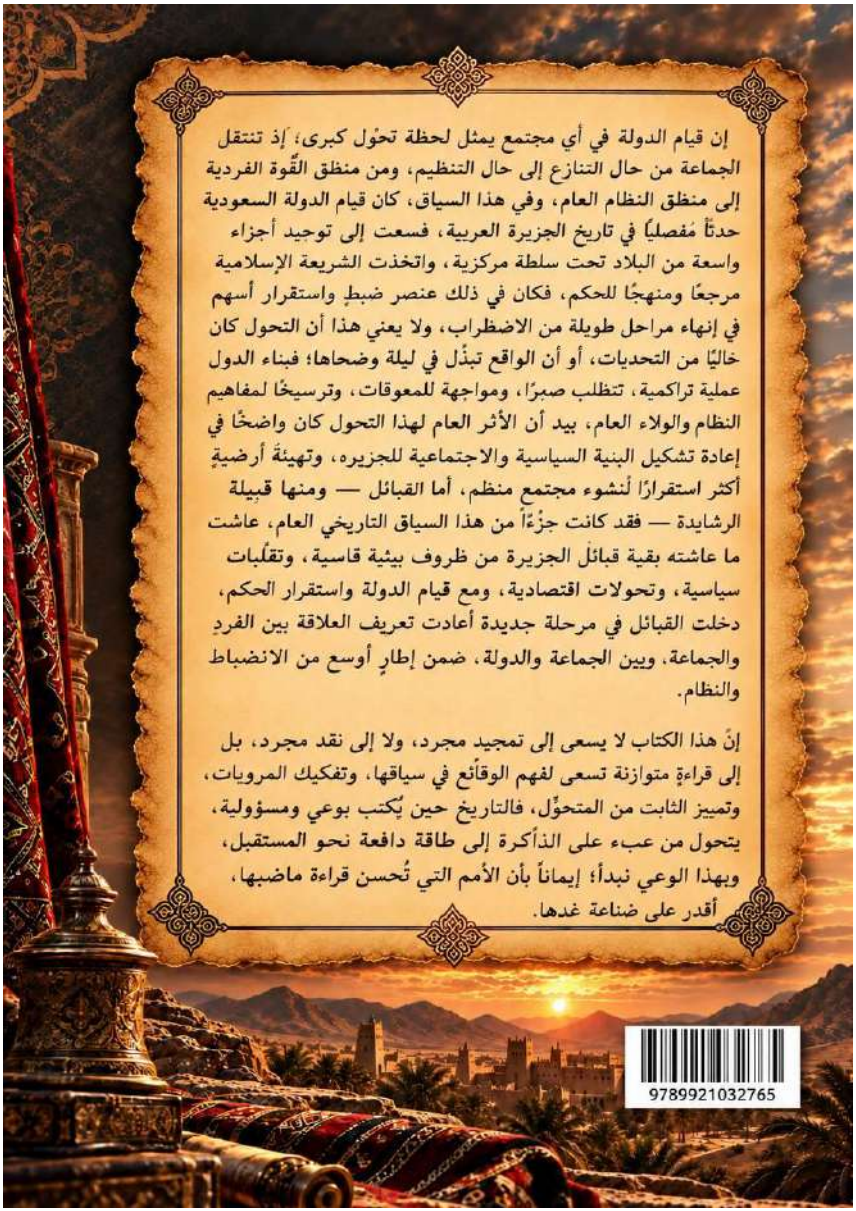
مراجع كتاب
الرشايدة شيوخ الحجاز

م	المؤلف / المصدر	المرجع
1	محمد البسام التميمي	درر المفاخر في أخبار العرب الأواخر
2	الشريف محمد الحسني	العقود اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسينية الهاشمية في المملكة العربية السعودية
3	عثمان بن بشر	عنوان المجد في تاريخ نجد
4	الشيخ خالد بن محمد القاسمي	موسوعة الإمارات
5	عبدالله بن محمد بن خميس	راشد الخلاوي: حياته، شعره، حكمته، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي
6	عادل الرشيدي	الكويت وقبيلة الرشايدة
7	محمد ضرار	تاريخ شرق السودان: ممالك البجة، قبائلها وتاريخها
8	مفلح الجبر	الطرفية: عين رشدان، حاضرة العونة بني رشيد، عبس
9	محمد العلي العبيد	النجم اللامع في النوادر جامع
10	سعد الصويان	أيام العرب الأواخر
11	عبدالله الوليعي (ترجمة)	معجم القبائل. والبلدان
12	سعد بن عبدالله الصويان	الشعر النبطي: ذائقة الشعب وسلطة النص
13	حباب السندي	ديوان ابن عبس بين اليوم والأمس
14	أ. محمد بن ظاهر الرشيدي إشراف د. فيصل الوزان	هجرة قبيلة الرشايدة من شبه الجزيرة العربية إلى شرق السودان
15	جابر المهيمزي	ومضة رحيل عبر الحجاز وأرض النيل
16	أوليا جلبي	سياحت نامه
17	هدلان	ابن هديا – هدلان
18	الأرشيف الوطني البريطاني	The National Archives (UK), FO 882 Series: Arab Bureau Papers, 1916–1918
19	دراسات قبلية غير منشورة	روايات شفوية مَحلية مَتداولة في الحجاز وشرق الأردن
20	سليمان موسى	الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، عمّان، 1966، ص 214–220
21	T. E. Lawrence	*Seven Pillars of Wisdom*: ص 312–318، بحسب الطبعة
22	الأرشيف العثماني (BOA)	الأرشيف العثماني. 1918–1917، وثائق متعلقة بالحجاز
23	فخري باشا	مذكرات فخري باشا، ترجمة عربية، ص 175–182
24	—	المرجع نفسه، ص 201–205
25	وثائق الدولة اليمنية	مراسلات سياسية يمنية، 1919، صنعاء
26	عبدالله الفريح	القبائل العربية في الحرب العالمية
27	د. خالد الرويس	الرشايدة: تاريخ وهجرة


الروائي
عادل الرشيدي
(هدلان)
مؤرخ قبيلة الرشايدة

تـم

بحمد الله وفضله


إن قيام الدولة في أي مجتمع يمثل لحظة تحوُل كبرى؛ إذ تنتقل الجماعة من حال التنازع إلى حال التنظيم، ومن منطق القُوة الفردية إلى منطق النظام العام، وفي هذا السياق، كان قيام الدولة السعودية حدثاً مُفصلياً في تاريخ الجزيرة العربية، فسعت إلى توحيد أجزاء واسعة من البلاد تحت سلطة مركزية، واتخذت الشريعة الإسلامية مرجعًا ومنهجًا للحكم، فكان في ذلك عنصر ضبطٍ واستقرار أسهم في إنهاء مراحل طويلة من الاضطراب، ولا يعني هذا أن التحول كان خاليًا من التحديات، أو أن الواقع تبدّل في ليلة وضحاها؛ فبناء الدول عملية تراكمية، تتطلب صبرًا، ومواجهة للمعوقات، وترسيخًا لمفاهيم النظام والولاء العام، بيد أن الأثر العام لهذا التحول كان واضحًا في إعادة تشكيل البنية السياسية والاجتماعية للجزيره، وتهيئةً أرضيةٍ أكثر استقرارًا لنشوء مجتمع منظم، أما القبائل — ومنها قبيلة الرشايدة — فقد كانت جزْءاً من هذا السياق التاريخي العام، عاشت ما عاشته بقية قبائل الجزيرة من ظروف بيئية قاسية، وتقلّبات سياسية، وتحولات اقتصادية، ومع قيام الدولة واستقرار الحكم، دخلت القبائل في مرحلة جديدة أعادت تعريف العلاقة بين الفردِ والجماعة، وبين الجماعة والدولة، ضمن إطارٍ أوسع من الانضباط والنظام.

إنَّ هذا الكتاب لا يسعى إلى تمجيد مجرد، ولا إلى نقد مجرد، بل إلى قراءةٍ متوازنة تسعى لفهم الوقائع في سياقها، وتفكيك المرويات، وتمييز الثابت من المتحوِّل، فالتاريخ حين يُكتب بوعي ومسؤولية، يتحول من عبء على الذاكرة إلى طاقة دافعة نحو المستقبل، وبهذا الوعي نبدأ؛ إيماناً بأن الأمم التي تُحسن قراءة ماضيها، أقدر على صناعة غدها.

9789921032765